روايات عبير

سالى كووك

سنا الحب

WWW.REWITY.COM

مرموريه

٢٠٢

مكتبة مدبولى الصغير

Scanné avec CamScanner

روايات عبير

HARLEQUIN - «ABIR» - No. 202

ميناء الحب

كان قضاء فصل الصيف مع عائلة عمتها فى جزيرة مينوركا، يمثل للوسى أجازة بديعة مرحة، بعيداً عن دراساتها الجامعية، وكان يبهجها استمتاعها بعملها كمرشدة سياحية حول ميناء مدينة «ماهون»، على الزورق السياحى، «سان فيليب» الذى كان يمتلكه زوج عمتها.

ومضت حياتها وديعة على هذا النحو، حتى بدأت تحدث أشياء غريبة، وكانت تبدو فى مجملها من تدبير أحد مستأجرى الفيلات لقضاء فصل الصيف وهو لوران باكلى، أحد رجال البنوك التجارية.

ولم تكن لوسى تخشى التحرى والتحقيق فى الأمر، ولكن مع لوران، وجدت واكتشفت أكثر مما كانت تتخيله وتتمناه لنفسها...

لبنان	٢٢٥٠ ل ل	الكويت	١,٥٠٠ د	اليمن	٦,٤٠ ر	U.K. 2,40	
سورية	٤٠ ل س	الامارات	١٩,٢٠ د	تونس	٢,٤٠ د	France F 16	
الأردن	١,٥ ف	البحرين	٢,٤٠ د	ليبيا	١,٦٠ د	Greece Drs 320	
العراق	١,٢ ف	قطر	١٩,٢٠ ر	المغرب	٨ د		
السعودية	١٠ ريال	عمان	٢,٤٠ ر	مصر	٣٠٠ ق	Cyprus P 2,40	

Scanné avec CamScanner

الفصل الأول

كان الزمان أحد الأيام الحارة، والحارة جداً فى شهر أغسطس، وكانت طبيعة اليوم تغرى سائر السياح بالتفكير فى تأجير الزوارق، وكانت جميع التذاكر تنفد سريعاً وقبل منتصف النهار. نشرت لوسى المظلة على زورق «سان فيليب» حتى أن معظم المقاعد الخشبية صارت واقعة تحت الظل.

اندفع طفل صغير السن، ربما يبلغ من العمر السادسة أو السابعة مباشرة إلى مقدم الزورق وجلس القرفصاء، ثم أخذ يزحف عبر الألواح الخشبية المطلية باللون الأبيض، التى تشكل المؤخرة المستدقة الطرف للزورق. تبعته أمه وجلست ببطء على أحد المقاعد، وعزمت لوسى على تحذير المرأة كى تنادى على الولد ليجلس بجوارها. حيث لا يعرف السياح مدى عمق ميناء «ماهون»، إنهم يعتقدون أنه آمن بما فيه الكفاية، لأن المياه فيه ساكنة راكدة.

وكان «سان فيليب» زورقاً صغيراً. وكان خوان يحشر فيه أكبر عدد ممكن من السياح يستطيع أن يقحمهم فيه فى الأيام التى تحفل بالعمل، غير أنه كان لا يفلح أحياناً فى حشرهم على هذا النحو، طالما كانوا يدفعون أربعمائة بيزيتا أسبانية للنفر. وكان هناك خمس وثلاثون زبوناً قد انتهوا من دفع الأجرة فى تلك الظهيرة: وهى السعة الكاملة للزورق،

Scanné avec CamScanner

بالإضافة إلى خوان، ولوسى نفسها. راحت لوسى تربتهم فرداً فرداً وهم يركبون. لم يكن ثمة ألمان، وكانت هناك سيدتان فرنسيتان مسنتان، ترتديان عباءتين سوداوتين أنيقتين، وتلاهما الإنجليز:

زوجان زوجان من الشبان والشابات قادمون من الفنادق الرخيصة، وعائلات يصحبن معهن أطفالهن قادمات من الشقق المفروشة، وزوجان متعددون من النساء والرجال متوسطى العمر قادمون من الفندق الممتاز الواقع على قمة جرف المنحدر الصخرى على عند الشاطىء. تأكدت من أن جميع السائحين قد استقروا فى أماكنهم، وأومأت برأسها لخوان ثم وثبت عائدة إلى الشاطىء. جذب خوان اللوح الخشبى المستخدم للعبور من البر إلى المركب، وفكت لوسى حبل مرسى الزورق. ثم وصل خوان ومد لها يداً لمساعدها على العودة إلى ظهر الزورق، ثم انطلقوا.

سرعان ما فرجوا من خليج كالا كورب الضيق، حيث كان يرسو زورق سان فيليب، وأحدث صوتاً انفجارياً خافتاً وهو يعبر الجانب الجنوبى الغربى لمدخل الميناء الرئيسى. كان خط الشاطىء كله كثيف السكان. خلجان، ومطاعم، وبيوت تاريخية، وزوارق كبيرة وصغيرة، تتابعت أحداها وراء الأخرى بوفرة غزيرة. أما ڤيلا كارلوس الوديعة الناعسة، فقد أفسحت الطريق لمدينة ماهون المشحونة بالضجيج والجلبة، ونادى البخت، بأرصفته التجارية، حيث كانت ترابض سفن النقل العملاقة، وتفرغ العبارات راكبيها القادمين من بالما وبرشلونه، كما تواجدت بالمدينة المحطة البحرية.

ظل خوان محاذياً خط الشاطىء بدقة على امتداد هذا الجانب، برغم أن المرفأ كان ضيقاً إلى حدما فى كل مكان، ولم يكن يتسع بأكثر من نصف ميل أبداً من ناحية أى الشاطئين. ثم أتى بزورق سان فيليب عبر أنف الميناء، متجهاً أسفل الجانب الشمالى الشرقى.

ظهرت المنشآت البحرية بمدينة ماهون أولاً: السفن الرمادية التابعة للبحرية الأسبانية، والمبانى الشهباء التى يرجع تاريخها إلى الزمن الذى

نزلت فيه البحرية الإنجليزية إلى مراسى نفس المواقع. ثم سرعان ما أصبح المرفأ والشاطىء أكثر حدوداً. لم يكن ثمة مدن صغرى على الشاطىء الشمالى الشرقى للمرفأ، ولا قرى كذلك. كل ما كان هناك هو عبارة عن سلسلة متتابعة من الڤيلات، التى بركت على خط الشاطىء شديد الانحدار.

احتفظ خوان بمسافة أكبر بعيداً عن الشاطىء فى هذا المكان، طالما كان الكثير من البخوت رأسية فى المياه الهادئة الوادعة. وراح السائحون يحدقون بلا مبالاة فى الڤيلات الجلية المهيبة. وعلمت لوسى أن هذه المرحلة تمثل المرحلة الأقل تشويقاً واستمتاعاً فى رحلتهم البحرية. وهى تعرف بعض مرشدى الزوارق الأخرى، وهم يذكرون أسماء المقيمين فى تلك الڤيلات من مشاهير القوم، فيضيفون لمسة من الحيوية المفعمة بالتسلية.

إلا أنها لم تستطع أبداً أن تحفظ كل الأسماء: فقد كانت ترى أن ذلك تطفل على حياتهم، وعلى الرغم أن أن كل الناس الذين يعيشون ههنا هم من الأغنياء، كان القليلون منهم يحظون بشهرة دولية كافية لأن تصبح أسماؤهم معروفة للسياح والزوار. وبدلاً من ذلك سرعت تحادث الركاب من تاريخ مينوركا والأيام التى عهدت وشهدت سيطرة الانجليز على الجزيرة.

كان الميناء هادئاً بينما زورق «سان فيليب» يمخر عباب المياه شاقاً طريقه ومتجهاً ناحية الاتجاه الأسفل. وكانت العبارات الكبرى لاتزال تحمل وهى رأسية على حوض السفن، وكان الصيادون يستمتعون بالقيلولة وقت الظهيرة. وشق القليل جداً من البخوت والزوارق التجارية الطريق عبر القنال الواسعة. عندئذ اقتحم زورق عملاق قادم من الشاطىء طريق زورقهم، وكان على مبعدة خمسين ياردة من مقدمة الـ« سان فيليب».

أغرقت الضوضاء لوسى فضاع منها تسلسل تعليقاتها لحظة. ورأت شفتى خوان تتحركان بلعنات من شتى الأشكال والألوان، حينما اقتحم

Scanné avec CamScanner

اندفاع الماء الناتج من سرعة الزورق العملاق، سان فيليب فأغرقه قليلاً. ارتفعت مقدمة الزورق وبرزت من المياه، وتمايل مترنحاً حينما مرت الأمواج من تحته..

قالت لوسى:

ـ آسفة عن ذلك، سيداتى آنساتى. إنها مجرد عينه لما سوف نراه ونحس به حين نجول فى نهاية الميناء.

ابتسم نفر ضئيل من شباب الإنجليز من السواح ابتسامة تنم عن الأدب، واحدقت السيدتان الفرنسيتان المسنتان بوجهها الساحبين إلى أن شرعت لوسى تترجم ماقالته إلى اللغة الفرنسية.

لم تصل إلى نهاية الجملة الفرنسية، حتى عاد الزورق العملاق، وهو يتخذ مساراً كالقوس ويستدير، ويعود مسرعاً نحو سان فيليب. وفى هذه المرة اقترب جداً، حتى صار على مبعدة عشرة ياردات من مقدمة زورق سان فيليب، وعندها زجر على امتداد وصول الزورق المتباطأ، مما أدى إلى اهتزاز مظلته ذات الخطوط العرضية، ورج الركاب الذين يجلسون على ظهره.

قال الولد الصغير الجالس فى المقدمة:

ـ أتمنى لو كنا نركب زورقاً بسرعة ذلك العملاق.

أخذ تعليق خوان يتضاءل قليلاً. وعاد يلوح بقبضته نحو الزورق العملاق. لقد كان ثمة رجل واحد يتولى عجلة القيادة، غير أنه تحرك بعيداً جداً وبسرعة لم تمكن صياح خوان من الوصول إلى الربان.

كان السواح يغيرون من أماكنهم وهم يتململون على مقاعدهم الخشبية. وحاولت صوفى أن تفكر فى إحدى النكات كى تسليهم وتسعدهم. وما أن بدأت فى الإعتذار مرة ثانية، حتى عاد الزورق العملاق ليدور حولهم للمرة الثانية، واقفاً تماماً عند مقدمة وجهة زورق سان فيليب، وقد ارتطم بسلامة بأحد جانبيه.

انفجر رجل انجليزى بدين فى أواسط عمره، وهو يقفز ناهضاً على

قدميه، ويقول:

ـ هذا تصرف شائن وشنيع!

قالت لوسى بيأس:

ـ أرجوكم اجلسوا، سيداتى آنساتى. أعتقد أنه زورق منافس وهذا قائدة يمزح معنا مخترعاً التلفيقات

صرخ الرجل الانجليزى:

ـ لابد من أن تفعلوا شيئاً.

ساءلت لوسى نفسها وهازال الذى باستطاعتهم أن يفعلوه؟ إن كبائن الزورق العملاقة المعادية صاروا أقل اذعاناً للعقل والمنطق من قواد سيارات السبق فى الرياضة. لم يكن ثمة شرطة بحرية فى الأفق، وبرغم من أن الزورق العملاق كان مزعجاً، إلا أنه لم يتمادى فى الواقع على نحو خطر كى يقدم إنذاراً بوليسياً.

دار حولهم الزورق مرة ثانية، وراح خوان، وهو يسحب عجلة القيادة، يجذب سان فيليب، قليلاً مبعداً إياه عن الشاطىء..

إفتقدهم الزورق العملاق بهامش واسع هذه المرة، واحتفظ خوان بالسيطرة على توجيه عجلة القيادة بانحراف عبر القنال الخاوي. زجر الزورق حولهم، مرة أخرى، كما لو كان كلباً يحرس الغنم، ثم رحل بعيداً متخذاً منحنى قوسياً، وبدا كما لو كان قد اتجه إلى مرساه الأصلى.

تنفست لوسى الصعداء. لكن كان ثمة قدر كبير من العمل قبالتها، تستطيع هى أن تراه: كل الركاب أصيبوا بالإنزعاج، وبدا أحدهم كما لو كان يقضى نحبه.

سألت خوان باللغة الأسبانية، بصوت خفيض خافت قائلة:

ـ هل سوف تتجه إلى كالا بيدريدا؟

أومأ خوان برأسه قائلاً:

ـ سوف نجعلهم يستقرون هناك، وآنذاك سوف ننظر ماذا سنفعل:

حدقت لوسى مرة ثانية وقد علا وجهها البشارة:

Scanné avec CamScanner

ـ حسناً، سيداتى آنساتى. بعد تلك الإثارة أعتقد أنكم تفضلون الخليج الهادى. نحن متوجهون إلى المدخل الجميل المسمى كالا بيدريدا. ربما يعرفه بعضكم سلفاً: أنه على مرمى البصر من مركز ڤيلا كارلوس. إن ذلك الخليج ليس ملائماً للأطفال للسباحة فيه، إلا أن البالغين من هم سباحون ماهرون بوسعهم الغطس هناك ويعبرون صخور الماء، وكذلك هناك بعض البقع والأماكن الطيبة لصيد الأسماك. ثمة مقهى فى نهاية الخليج، أيضاً، ولذا تستطيعون أن تستمتعوا بشراب بارد ينعشكم بعد المشى فى المدينة. وإذا تحدثنا عن أنواع المشروبات فهى....

ولما تذكرت لوسى بينها وبين نفسها أن تلك تمثل نهاية الرحلة بالزورق، اعتراها بعض الاكتئاب، وراحت تتأمل ذلك، غير أن جميع السياح رحبوا بالرحلة والمرحلة الأخيرة، ولم يتأثر خوان من جراء ذلك من بعيد أو قريب.

ـ أتتذكرون، لقد أوضحت لكم معمل تقطير الجن «الشراب المسكر»، وموقعه عند مقدمة مرفأ «ماهون». هل تفتكرونه أم لا؟ إن معمل التقطير مفتوح لكم لكى تقوموا بزيارته، ومرحباً بكم وأنتم تأخذون عينات من إنتاجه، حينما تصلون إليه. غير أننا نعتقد أنكم سوف تستمتعون بمذاق بعض الخمور التى ينتجونها على الجزيرة. وفى هذه القارورة أعددت لكم كوكتيل الجن «المسكر القوى»، وتلك الزجاجة الخضراء تحتوى على خمر الأعشاب اللذيذ المصنوع من نبات البابونج.

ساعدوا أنفسكم بأنفسكم، سيداتى آنساتى. أما أنتن سيداتى، فأقدم لكن شراب الموز المسكر.

وقدمت لوسى زجاجة من شراب الموز المسكر الحلو للسيدتين الفرنسيتين المسنتين، بابتسامة مستحوذة لطيفة، وقالت:

ـ هل أستطيع أن أساعدك يا سيدتى.

ثم التفتت بسرعة، وأضافت بصوت عال:

ـ أما بالنسبة للركاب صغار السن، فقد أعددت ليموناده طريفة

جداً. أننا نخطط للمكوث هنا لعشر دقائق أو هذا القبيل، سيداتى آنساتى، وبعدها سوف نأخذكم فى زيارة حول «لازاريتو»، الجزيرة الكبرى الواقعة عند ثغر الميناء، ثم العودة نحو كالا كورب، الخليج الذى شرعنا رحلتنا منه. هلا واظبتم على مناولة تلك الزجاجات لبعضكم، سيداتى آنساتى. دعونى أناول تلك الزجاجة إلى أقصى الطرف، إن هذه خمر ظريفة جداً مصنوعة من النعنع البستانى، وأما هذا الشراب الذى أرسله إلى السيد الظريف الجالس فى المؤخرة فهو القهوة المخوجة. بوسعكم جميعاً شراء مايلزمكم بأية كميات من معمل التقطير بطبيعة الحال ومن الكثير من محلات السوبر ماركت الواقعة على الجزيرة.

بعد ذلك بدقيقتين، كان جميع السواح يتحدثون بألفة ومحبة عن الكؤوس البلاستيكية الصغيرة التى يحتسون فيها المشروبات المسكرة الفوية. انتزعت لوسى لنفسها فترة راحة قصيرة وسقطت هامدة بجوار خوان، وهى تزدرد وتتجرع ملىء كأس من الليمونادة كانت سبيلها لتقديمه إلى الأطفال.

كان خوان عادة ما يوجه دفة الزورق مباشرة نحو الشاطىء الشمالى الشرقى، عبر القنال الضيق للغاية، الذى يفصل «لازاريتو» عن اليابسة، ثم يعرج خارجاً باختصار نحو عرض البحر، وإلى الخليج التالى، الواقع إلى الاتجاه الغربى، حيث توجد جزيرة كالا سانت استيبان حيث قدمت لوسى المشروبات. لم يستطيعوا أبداً من أن يعتقدوا أن الظروف قد تضطرهم إلى تغيير خططهم فى فترة وجيزة للغاية. وكان يتعين على لوسى أن تتفقد بنفسها أن أحداً لم يشرب حتى الثمالة، أو أن بعض الركاب قد أصابهم دوار البحر، أو مرض من جراء مناعب ومشاق الرحلة؛ وكذا أن تتبين ما إذا كانوا بحاجة إلى إيجاز الرحلة، فلا يزوروا الخليج الآخر، إذا ما أرادوا العودة فى نفس الزمن المقرر سلفاً.

لقد كان حادث الزورق العملاق أمراً غريباً. إنه لم يكن تعاد هكذا على غير هدى، لقد بدا كما لو كان القائد يأتى عمداً إليهم. مربكاً

Scanné avec CamScanner

إياهم، ومحذراً، وطاردهم بعيداً عن خط الشاطىء.

لماذا؟ لم تستطع لوسى أن تفهم. إن خوان الذى يصادق الجميع محبوب، كما أن أحداً من أصحاب الزوارق الذين يضطلعون بتنظيم رحلات مماثلة من فيلا كارلوس الواقعة على الخليج الآخر، فى «كاليس.فونس» يمكن أن يلجأ إلى ذلك النوع من الحيل لترويع زبائنه.

وتعجبت عما إذا كان خوان قد أدرك أن الرجل الذى كان يقود الزورق الآخر يعرفه أم لا. وعلمت أنه من غير المجدى أن تسأله أمام الركاب، على الرغم من أنها بدلاً من ذلك، التقطت الميكروفون مرة ثانية، وبدأت فى مناولة الحقائب، حيث يستطيع السواح أن يضعوا فيها كؤوسهم الفارغة، وراحت تخبرهم وتقصص عليهم تاريخ «لازاريتو»، مرة باللغة الانجليزية، ومرة أخرى باللغة الفرنسية.

بدت الرحلة عادية تقريباً فى الوقت الذى أحضر فيه خوان زورق سان فيليب مرة ثانية إلى كالا كورب. كان الخليج الصغير هادئاً حالماً. وكان أول محل من البارين على وشك أن يفتح أبوابه للسهرة الليلية، وكان اثنان من الصيادين يتفقدان ويستكشفان شباكهما عند رأس الخليج، بينما كانت مجموعة من السواح الإنجليزية يتسلقون الصخور مقتفين أثر الطريق والخطوات التى أدت بهم إلى الفندق الكبير:

الـ «دون كارلوس».

قالت لوسى فى الميكروفون:

ــ أمل أن تكونوا قد استمتعتم بالرحلة سيداتى آنساتى. وإذا كنتم قد استمتعتم بها، هل يوسعنى أن أوصيكم بمصاحبتنا فى رحلتنا القادمة الاعتيادية، يوم الخميس بعد الظهر، والسبت صباحاً؟ إننا نطلق عليها الرحلة الغامضة، ولكن ذلك بسبب أن الرياح والطقس هما اللذان يقرران إلى أين نحن ذاهبون.

ففى كل مرة نقوم بزيارة خليجاً آخر، وعادة مايكون خليجاً لا يمكن الوصول إليه عن طريق البر، وتعود لكم وتخصص الوقت للسباحة

وتشميس أجسادكم قبل أن تعود أدراجنا بالرحلة مرة ثانية.

هل تعلمون أن ثمة حوالى مائة وعشرين شاطئاً مختلفاً فى مينوركا؟ وبناء عليه، مهما كانت أجازتكم طويلة، سوف تكونون قادرين على تجربة أحد الشواطىء الجديدة فى كل يوم!

اقتحمت لوسى الركاب بلطف لتشق طريقها نحو المؤخرة، وقفزت إلى المرفأ. وألقى بها خوان حبل الرسو. فجذبته، بينما راح هو يقرب الزورق نحو حافة الماء تدريجياً. فدعمت الممر الخشبى المؤقت للعبور، المصنوع من الألواح الخشبية المتينة، والذى ربط بين الزورق والأرض الصلبة المتحدرة. ثم مكنت نفسها بحيث تستطيع معاونة الركاب أثناء هبوطهم، والتأكد من أنهم جميعاً قد لاحظوا الطبق الضحل المكتوب عليه عبارة «تعليمات للكابتن والمرشد».

وربما نزل آخر الركاب، وثب خوان من مؤخرة الزورق، بينما كان يحمل حقائب الكؤوس البلاستيكية فى أحد يديه، فأومأ برأسه لها، مخبراً إياها أن الوقت قد حان للعودة إلى الفيلا.

كان خوان عماً لـ لوسى بالزواج، بزواجه من شقيقة أمها صوفى. وعندما كانت لوسى تتطلع باحثة عن وظيفة شاغرة لتعمل أثناء أجازة الصيف، قبل أن تبدأ دراستها للسنة النهائية فى الجامعة، كتبت صوفى تقترح أن تأتى لوسى إلى مينوركا وتساعدهما بالعمل فى الزورق الذى أداراه وشغلاه معاً كل فصل وموسم صيفى.

وكانت هى قد وصلت منذ شهرين ــ وكانا شهرين رائعين، مليئين بالشمس الساطعة والبهجة والضحك. ولقد تمتعت هى بالعمل تمتعاً شيقاً. وأحبت الزورق. وأحبت البحث فى تفصيلات تاريخ مينوركا، من أجل الاستعانة بذلك فى تعليقاتها للسواح، كما أحبت ممارسة لغاتها والتحدث بها من السائحين والزوار.

وكان اليوم يمضى سلساً سعيداً بدون أية سحب فى الأفق، حتى وقع حادث الحماقة فى تلك الظهيرة.

إن ذلك كان حقاً حماقة، حادثاً منعزلاً أحمق. وألقته بعيداً عن ذهنها.

كان منزل خوان وصوفى عبارة عن ڤيلا حديثة واقعة على ضواحى ڤيلا كارلوس، ذات حوائط بيضاء، وسقوف حمراء، ومشهد مذهل مدهش يطل على أسفل الميناء الرئيسى. وكانت الساعة السابعة تماماً حينما بدأ خوان ولوسى فى الوصول إلى البيت، وبالرغم من أن الشمس كانت لا تزال فى كبد السماء، كانت هناك نسمة منعشة باردة فى الجو.

كانت الڤيلا ترفل فى الفوضى كالعادة. فقد كان المطبخ يبدو وكأنه مليء بالقنابل أو موقع حربى، وكانت الطفلة كارا متعبة ومنهكة القوى، وأما ماتويل البالغ من العمر ستة سنوات، وماريا البالغة من العمر ثلاث سنوات، فقد ظهرا وكأنهما قد وجدا كومة أخرى من الألعاب ليضيفوها إلى المجموعة الدائمة المتناثرة حول الغرفة الأمامية.

تجاهل خوان كل تلك الورطة والفوضى متصنعاً السعادة، وبالمثل فعلت لوسى. وكانت أحياناً تتشكك هل صوفى لاحظت تلك المسألة. كانت صوفى دائماً سعيدة، ودائماً راضية، مهما كانت درجة الفوضى الضاربة حولها. وبالرغم من الدمار الواضح الكائن فى المطبخ، إلا أن الطعام ــ سمك الأنقليس المطبوخ بصلصة الطماطم الكثيفة ــ كان لذيذاً مجيداً.

تساءلت صوفى على مائدة العشاء قائلة:

ــ هل ستكونين بالمنزل، الليلة يا لوسى؟

هزت لوسى رأسها وقالت:

ــ سوف أقابلُ ڤانيسا هذه الليلة فى الساعة التاسعة مساء.

ــ إذن سوف تعودين فى ساعة متأخرة؟

ــ ليس فى ساعة متأخرة جداً، وكلمة متأخرة فى مدينة كارلوس، تعنى الساعة الثانية أو حتى بعد الثانية. إذ لا يذهب أحد إلى الفراش مبكراً؛ إنهم جميعاً ينامون ظهراً نوم القيلولة، ويستيقظون عندما تغرب

كانت ڤانيسا تعمل ممثلة لاحدى الشركات السياحية، ومقرها فى فندق دون كارلوس، وهو أحد أكبر الفنادق فى مدينة كارلوس. وكانت تبيع التذاكر لرحلات زورق سان فيليب، فى شتى الفنادق الواقعة فى الجانب الشمالى الشرقى من المدينة الصغيرة؛ وكانت عاداتها أن تمزح وتتسامر وتشرب مع أى شخص يحدث أن يزور المدينة.

وبمرور الوقت وصلت لوسى فندق دون كارلوس، لتجد أن ڤانيسا قد جففت شعرها الأحمر بعد حمام السباحة المسائى، ومشطته، وتزينت بأدوات التجميل فى وجهها، وارتدت أحد فساتينها الأنيقة.

قالت لوسى:

ــ ياله من فستان أنيق. أنت بهذا تغرين الرجال، أليس كذلك؟

وبخها ڤانيسا قائلة:

ــ لوسى، لوسى، أنت تعرفين القواعد!

ابتسمت لوسى. لقد كان أحد الأشياء التى تجذبها إلى صديقتها ڤانيسا، حقيقة أن الفتاة الأخرى لم تكن تطارد الرجال بإلحاح، مثل الكثيرات من الفتيات الإنجليزيات فى جزيرة مينوركا. لقد كان لڤانيسا قواعدها، التى تلتزم بها. ورقم واحد: هو عدم إعطاء مواعيد لمقابلات غرامية مع السياح. وبدلاً من كثرة التردد على صالات الديسكو، باحثة عن مجموعة من العلاقات الغرامية لنهاية الأسبوع، كانت قد أقامت دائرة جيدة من الأصدقاء، بعضهم من الإنجليز، والبعض الآخر من الأسبان، من بين أولئك الذين يتصفون بأنهم شبه مقيمون إقامة دائمة فى الجزيرة. وكان يسعد لوسى أن تكون واحدة من أولئك الأصدقاء.

قالت لوسى، مقرة بموافقتها على ما قالت ڤانيسا:

ــ أعرف. غير أن لكل قاعدة استثناء، أحياناً.

قالت ڤانيسا بحزم:

ــ ليس فى هذه المرة. على أية حال، ليس ثمة شخص أحاول أن أراه مرتين فى طائرة مانشستر القادمة هذه الظهيرة. وفى الواقع هذا

الشمس.

ألمحت صوفى لمحة تنم عن تقطيب وعبوس وجهها، قائلة:

ـ إنى متأكدة من أن ليز تعتقد أنك تقومين بالمزيد من العمل، بأكثر مما أنت تعملين فعلاً، يالوسى.

ليزا هى والدة لوسى، ربة أسرة، أكبر من صوفى شقيقتها بعشر سنوات.

وتلك سحابة ضئيلة أخرى تعبر سماء لوسى الزرقاء. لقد كانت أمها تظن وتتخيل أنها عاكفة على كتبها كل يوم لساعات مطولة. غير أن ليزا لم تدرك ماهية الحياة فى مينوركا، وكيف أن الجزيرة برمتها غير مؤهلة للقيام بالدراسة والإطلاع. لم تكن لوسى ترغب فى أن تتصرف مثل السائح طوال الصيف، فتشرب وترقص كل ليلة وتسهر حتى الفجر، ولكنها صممت على أن ترى الناس، وكان الكثير من الناس هناك يوفرون فرصة أن يراهم الآخرون وأن يمدا هم الآخرين، وحتى بعد الساعة الحادية عشر ليلاً. ولقد استقرت على أن تحاول وأن تنجز المزيد من ذلك الذى أحبت، ولكن ليس فى هذه الليلة.

ـ أنا أقوم بعمل اللازم والكافى.

قالت لوسى ذلك بإيجاز ونهضت من على المائدة، وقد شعرت بالقلق من جراء كلام صوفى الذى جعلها تحس بأنها مذنبة. أضافت:

ـ لدى بعض الوقت كى اصطحب كارا إلى الحمام بدلاً منك قبل انصرافى.

هزت صوفى رأسها، وقالت:

ـ لقد أخذت حماماً وغطساً فى وقت مبكر من هذا النهار. وسوف أعفيك من ذلك إذا استحببت وقمت بالعمل لمدة ساعة.

ابتسمت لوسى ابتسامة ساخرة، وقالت:

ـ أوكيه، سوف أقرأ الفصل التالى فى كتاب علم الاقتصاد، واستعد للخروج بسرعة مضاعفة لإنجاز الوقت.

ما يجعلنى أشعر قليلاً بالإحباط. وأحسب أننى سأفعل شيئاً لكى أعوض عن ذلك. لقد كان اليوم واحداً من تلك الأيام التى تكثر فيها الشكاوى العابثة بشأن أعمال السباكة، وأسعار تأجير السيارات. والسؤال الأغبى الذى يتبعه سؤال آخر.

قالت لوسى، وهى توافقها على ما قالت:

ـ إننى أعانى من تلك المشكلات أيضاً.

ثم رمقت فانيسا من المرآة المثبتة على باب الدولاب. وأعتقدت أنها كان يجب عليها أن تتزين هى الأخرى وتستعمل أدوات المكياج، غير أنه فات الأوان. لقد كان كتاب علم الاقتصاد جافاً غير مشوق، ولكنها كانت تشعر بالذنب وتأنيب الضمير لأنها استذكرت جدياً فيه لمدة ساعة واحدة فقط، ولم تفرد لنفسها من الوقت سوى عشرة دقائق فحسب لكى تستعد خلالها للخروج.

كان شعرها على ما يرام، ولم يكن لديها من الوقت ما يعينها على تسريحه، إلا أنها كانت قد غسلته فى صبيحة ذلك اليوم.

وبدا شعرها جميلاً وهو منسدل حراً طليقاً على كتفيها. وقد أدت الشمس إلى تحويل لونه إلى لون أجمل من لونه الأشقر المعتاد أما اللون الأصفر الضارب إلى السمرة، فقد تحول إلى لون بنى ذهبى.

وكانت ملامحها متناسقة، برغم من أن المقارنة مع فانيسا لم تسعدها: فقد كانت الفتاة الأخرى تتمتع بوجه حاد لذيذ مفعم بالحيوية والنشاط بعينيها الزرقاوين الواسعتين، وابتسامتها الدائمة، وفى المقابل، كانت لوسى، بالقليل من المكياج، شعرت بأنها تبدو غير مشوقة. وكان شكلها العام مقبولاً، لا تستطيع رؤية الكثير من مفاتنه تحت طقم ملابسها الخضراء الناعمة التى ارتدها. لقد كان يتعين عليها أن تلبس فساتين أكثر إيحاء بالأنوثة. ولكن لماذا يتعين عليها ذلك؟ إنها لم تكن تسعى منطلعة إلى مصاحبة أحد الرجال، مثلما كانت فانيسا كذلك لا تسعى.

تساءلت فانيسا، وهى تلتقط حقيبتها وترتدى الصندل الأبيض قائلة:

Scanné avec CamScanner

«مال»؟

، إنه الأفضل، مالم يسبقنا إليه صحبته مانكيونيان.

ساحت فانيسا بابتهاج قائلة:

ـ ليس إلى ذلك من سبيل، حيث إننى أمرتهم بالتوجه إلى صالة الديسكو فى «ليدى هاميلتون».

ثم تجولا معاً عبر الحدائق وبساتين فندق دون كارلوس، وناحية الجنوب من الدرج غير المستوى الذى يؤدى من حافة الفندق وأراضيه إلى الخليج الواطىء تحته. وكانت الساعة تشير إلى تمام التاسعة والربع. وهى ساعة مبكرة طبقاً لمعايير جزيرة مينوركا. وفى ذلك الوقت من الصباح يكون بار «مال» خاوياً. وحينذاك يكون مال نفسه متواجداً هناك. وعند رؤيته لها لاشك سوف يرحب بها ملوحاً.

كان مال يدير كهفاً حوله إلى بار بنصف بطباع وأصالة جزيرة مينوركا، وكان يمثل ثانى بار فى كالالورب. وكانت المناضد فى الخارج لاتزال خالية شاغرة، حينما وطئت المكان لوسى وفانيسا. وكان الإعلان المثبت على أحد الجدران يعلن «عزف موسيقى بالجيتار وأغانى يبدأ من الساعة العاشرة والنصف»، وكان ذلك الإعلان يحمل صورة فوتوغرافية للسيد مال، وهو بعد يبدو أصغر سناً بكثير عن عمره الحقيقى، وأكثر جاذبية من السيد بيدرو، الشاب الصغير القادم من جزيرة كارلوس، والذى كان يعزف على الجيتار فى البار.

إنذاك دخلا إلى وسط البار. وكان الكهف ضيقاً وعميقاً، ملىء برائحة الخمور والسردين المطبوخ. وكان ثمة «طاولة» خشبية طويلة على أحد الجانبين، ومناضد ومقاعد مغطاة بالفنيل الأحمر بطول الجانب الآخر. وكان هناك أضواء كاشفة، تمتد سلوكها عبر الصخر العارى للسقف، تضيىء مشكاوات الحوائط غير المستوية، والتى كانت تحتوى على بعض حطام السفن الطافية على سطح الماء، تلك التى التقطها مال وكان يسعده أن يقول إنها أفضل من معروضات محلات الخردة فى سيوداديلا.

شاهدت لوسى البار فى وقت النهار، وأدهشها أن تكتشف كم كان حقيراً فى الواقع. ولكن فى الليل، عند إضاءة الأضواء الكاشفة، الباهرة، ومحادثات مال، كان ساحراً ومريحاً وبديعاً يضاهى أفضل حافات مينوركا.

كانت محادثات مال ضرورية لملىء فراغ البار، لقد اكتشفت لوسى تلك الحقيقة: حيث لم يكن هناك سوى زبون واحد. وكان مال يدير الحانة من منظور الأعمال التجارية، وكان الزبون جالساً على أحد المقاعد المواجهة له. فهو رجل ذو شعر داكن، فى أوائل الثلاثينات من العمر، يرتدى بنطلون الجينز، وقميصاً أبيض، وقد شمر عن أكمامه لأعلى الذراع ليظهر ساعدين مسفوعين باللون الأسمر من جراء التعرض للشمس.

استدار كلا الرجلين ملتفتين حينما دخلت الفتاتان. فالتقت عينان بنيتان بعينى لوسى الخضراوين. فاحتفظنا بالتحديق فيها هنيهة، ثم نظرت بعيداً، وقد أقلقها استجابتها لنظرة الرجل، وأخذت تنظر إلى مال.

ـ فانيسا، حبيبتى!

أطلق مال صرخة عالية حادة، وهو يخرج من خلف البار كى يستقبلها بحفارة، وقد حملها معانقاً إياها عناقاً كريماً، وأردف:

ـ أنت تبدين فاتنة للغاية هذه الليلة، صدقينى. وكذلك تبدو لوسى الجميلة.

ثم انحنى انحناءة احترام أمامها، وصاح:

ـ أيتها العزيزتان لدى، لقد تغيبتما عن هذا المكان عدة أيام!

ابتسمت فانيسا، وقالت:

ـ مال، حبيبى، إننا فى الخليج كل يوم. ولكن دائماً فى غير الأوقات التى تتواجد أنت فيها.

ـ يالخسارتى أيتها العزيزتان، إنها لخسارة كبرى. والآن، ماالذى أستطيع أن أقدمه لكما من المشروبات.

أنزلقت لوسى جالسة على أحد المقاعد، على بعد ثلاثة خطوات من

Scanné avec CamScanner

Scanned with CamScanner

الرجل ذى الشعر البنى. وألفت عليه نظرة من طرف عينيها، ثم التفتت مسرعة مرة ثانية. وكانت النظرة توشى بأنها دعوة له للتحدث وشراء أحد المشروبات كلها، غير أنها لم تكن تقصد ذلك بكل تأكيد. فهى لم تكن شغوفة بالتقاط الرجال من الحانات. قالت:

ــ زجاجتان صودا، من فضلك يا مال.

عدلت فانيسا ذلك الطلب، وقالت:

ــ زجاجة مياه الصودا، وكأس خمر بيضاء. أم تراك تفضلين أن تشرب سوياً كأسين خمر، يالوسى؟ لقد قلت إنك عانيت من يوم عسير وأعتقد أن المشروب سوف يساعدك على تحمل ذلك.

ــ أظن ذلك، حسنا، يا مال، فلتأتنا بكأسين من الخمر.

بكل سرور، يا سيداتى.

وانشغل مال بنفسه وهو يصيب الخمر، واستدارت فانيسا نحو الرجل الآخر، وقالت بانشراح صدر:

ــ وأنت أيها الجالس هناك، ألا تصاحبنا فى الشراب؟

ــ أصاحبكم فى الشراب؟

شعرت لوسى بأن جسدها يتحول إلى اللون الأحمر ــ بسبب تصرف فانيسا. هل فانيسا دائماً يلزم عليها أن تخاطب كل غريب تقابله؟ وراحت تتدبر ذلك، وقد انتابها القلق، ونسيت أنها كانت دائماً معجبة بفانيسا وروحها الطيبة المنطلقة. هل كان يتعين على فانيسا أن تستخدم تلك العبارة المزعجة؟ علمت لوسى أنها لم تكن تقصد دعوة صريحة لإقامة علاقة صداقة، ولكن من يضمن أن الرجل سوف يؤمن بذلك، وكيف تراه يظن بها؟

مهما كان شعوره، فهو لم يظهره، ولكن فانيسا واصلت حديثها، قائلة:

ــ إننى أعرف معظم الرواد الذين يرتادون كسياح منطقة عملى، إذ أننى دائماً أتذكر وجوههم. وأنت لم تكن من بين أولئك القادمين على الطائرة التى وصلت من «مانشيستر» أو تلك القادمة من «لوتون»،

أليس كذلك؟

ــ كلا، كلا، لم أكن من بينهم.

ــ أجل لقد كنت واثقة من ذلك.

استجابت فانيسا بحرارة، ومدت يداً، وأخذت تعرفه بنفسها:

ــ اسمى فانيسا چينكينز. وأنا أستضيف جميع رواد فندق دون كارلوس القادمين بالطائرات. وكل ما تريد معرفته بشأن مدينة كارلوس، سلنى عنه فحسب.

ــ كفى، كفى، يافانيسا. لقد كنت أخبرت صديقى توًّا بأن يسألنى عن أى شىء يحتاج إليه. وإنى معرفته ههنا.

قال الرجل بأدب وهو يرد عليها:

ــ إذن، سوف أسأل كلا كما. حينما يكون هناك أى شىء أريد أن أعرفه، بمجرد حدوث ذلك.

رفع مال أحد حاجبيه تأثراً بذلك، ولاحظته لوسى. وراحت تحدق فى سقف البار، ثم لاحظت وجود كأسين فارغين، بجانب الكأسين المترعتين بالخمر اللتين طلبتها فانيسا. إذن ذلك الرجل الغريب كان قد اشترى مشروباً لمال. وكان يسأل مال أسئلة قبيل وصولها، لقد أيقنت من ذلك؛ غير أنه الآن لا يعتزم كما هو واضح أن يسأل المزيد من الأسئلة.

واصلت فانيسا كلامها قائلة:

ــ أو باستطاعتك أن تسأل لوسى، إذ أن الموضوع المفضل لديها هو تاريخ الميناء، كما أنها على معرفة طيبة بالمحلات والحافات بالمثل. وهى ممتازة جداً فى معرفتها الوثيقة بمواعيد قيام الأتوبيسات.

اندفع الدم فى عروق لوسى للمرة الثانية. يالها من تقدمة!

أسقط الرجل الغريب يد فانيسا، وكان يجذب يدها من يدها.

لقد لاحظت أن قبضة يده كانت محكمة وحازمة وباردة، بأصابعه الطويلة. وظلت تنظر فى أصابعه، وهى معرضة ذات فجأة عن ملاقاة

تلك العيون البنية مرة ثانية. قال بصوت خفيض:

ـ إسمى لوران.

لوران، اسم فرنسى. غير أنها لم تلاحظ وجود أى لهجة فرنسية. رفعت لوسى عينيها قليلاً، وراحت تنظر فيه.

لقد كان بنطلون الجينز من الطراز الغالى، حسن التفصيل، مناسباً تماماً له. أما القميص فقد كان جديداً، على مقاسه بالضبط. أما الجسم الكائن تحتها كان طويلاً؛ إذن لابد وأن يكون طويلاً جداً، حينما ينهض واقفاً. لقد كان ممشوق القوام. إن ملابسه محافظة، وأسلوب وطريقة ارتدائه لها محافظة كذلك: فلم يكن يعرض صدراً مملوءاً بالشعر مثلما يفعل بعض الشباب، ولا يمسك بميدالية، ولا يلبس خواتم ثمينة. وبالمثل لم يكن يلمح بدلائل تشير إلى جنسيته. فيما عدا أنها افترضت أنه انجليزى، وهى نادراً ما تفعل ذلك الخطأ.

وأخيراً تلاقت عيناها بوجهه. كان وجهاً نحيفاً نحيلاً أيضاً، بملامحه وتقاطيعه الظريفة، التى توحى على نحو مميز بملامح النبلاء الرومان والأرستقراطيين. ذقن حازم، أنف مستقيم، فم ظريف. وكان شعره قصيراً، حسن التهذيب. أما تلك العيون ـ فقد تلاقت عيناها بها مرة ثانية فى نظرة محدقة، وشعرت بصدمة ضئيلة تسرى فى جسدها. لم يكن ثمة ماينفى تلك المشاعر، لقد كان جذاباً على نحو مدمر. قال مال:

ـ أقدم لك لوسى، إنها المرشدة التى تعمل على زورق «سان فيليب». إن رحلاتها بالميناء ليست بالتى تنسى أو تجهل. إن الرحلات تبدأ يومياً فى الساعة الثانية والنصف، أليس كذلك يا لوسى؟

صابت لوسى إلى رشدها. لقد كانت تحدق فيه. لقد كان يقلقها أنها يتم تقديمها إلى الرجل الغريب بأسلوب ملائم، ولذا فقد قام بذلك مال نيابة عنها.

ـ تكلمت لوسى وشعرت أنه من الواجب تصحيح ماوقع فيه مال عمداً من خطأ بشأن المواعيد، قالت:

ـ فى الساعة الثالثة والنصف. وهى الساعة التى لايكون فيها مال مستيقظاً أبداً.

ـ وأنت بدورك، يا عزيزى، هل يحدث أن تكون مستيقظاً فى الساعة الثالثة والنصف صباحاً.

ـ كيف أصارحك، يا إلهى، على أية حال أنا عند حلول الساعة الحادية عشرة مساء، أكون نائماً كالموتى.

أصدرت فانيسا أنيناً بصوت عال، وأخذت أحد المقاعد الموجودة بين لوسى ولوران، ووضعت رأسها على قمة المنضدة الرئيسية.

قال مال:

ـ هل كان يوماً شاقاً؟

ـ شاقاً؟ بل كان يوماً طاحناً.

رفعت فانيسا رأسها وهى تقول ذلك، واحتست بعضاً من الخمر، وشرعت فى عد صاخب للرواد الذين جروها إلى حاماتهم، وحثوها على جمع عينات من درجات حرارة مياه الحمام.

ولدى وصولها إلى نهاية الحكاية، كانت لوسى قد استرخت بما فيه الكفاية وهى تضحك مع مال ولوران. ولذا راحت تجاذب نفسها أطراف الحديث قائلة إذا كان لوران أبى رجل قابلته طوال الصيف، فلماذا تحبط نفسها؟ ينبغى عليها أن تتمتع بمغازلته لا أن ترتعد فى كل مرة ينظر إليها فيها.

كانت لوسى تتبع بعض الآداب العامة، تماماً مثلما كانت تفعل فانيسا: الكثير من المتعة والضحك، ولكن بدون التورط فى علاقات حب وصنع قصص غرامية فى الاجازات. ولم يكن يتعين على لوسى أن تكسر من تلك القواعد من أجل لوران. إذ يجب أن لاتتجاوز الأمور الأكثر من الحدود التى رسمتها واختارتها هى إذ ربما لاتراه أبداً مرة ثانية. فلا بأس ولا خير من تمضية ليلة فى الاستمتاع برؤيته والإعجاب به. ولاتثريب فى رؤية وملاقاة تلك العيون البنية، ولابأس من الاستمتاع بذلك الوخز

Scanné avec CamScanner

الذى يسرى فى أوصالها ..

تساءلت فانيسا قائلة :

ـ إذن ماذا كانت الكارثة التى غانيت منها ، يا لوسى ؟

عبست لوسى ، وراحت تتدبر فى كيف تكون كارثة ، مقابلة ذلك الرجل . إن ذلك ليس كارثة . إنها مجرد تسلية سعيدة ، قالت : فانيسا مردفة :

ـ لقد أمضيت يوماً شاقاً أيضاً ، لقد قلت ذلك ؟ .

وبطبيعة الحال جاء دورها كى تسلى الرفاق بحكايات عن الزبائن الرواد المزعجين . ولأول مرة منذ ساعات ، تذكرت لوسى الزورق الضخم .

راحت لوسى تتفكر بسرعة . هل يجب أن تقص عليهم الرواية ؟ لم تكن من ذلك النوع من النوادر المضحكة التى يتوقعونها ، وعلى الرغم من أنها كانت حادثاً تافهاً ، إلا أنه قد تسبب فى عواقب غير سارة بالمرة . فهى لم ترغب فى نشر أية حكايات من شأنها أن تؤثر على حجوزات زورق الـسان فيليب . قالت لوسى :

ـ برغم من أن المياه كانت هادئة غير عاصفة اليوم ، إلا أننا صادفنا بعض المتاعب من جراء الزورق العملاق .

قمعت وكبتت لوسى شكوكها واستطردت تسرد الحكاية ، محاولة أن تضفى عليها رونقاً يجعلها خفيفة ومستساغة . فهى لم ترد أن يتهمها لوران بأنها مملة عند المقارنة بفانيسا ، وفى حقيقة الأمر هو لم يفعل ذلك . إذ لم يكن مرتاحاً مع فانيسا ، وهى قد استشعرت ذلك . إن عينيه كانتا مثبتتين على لوسى طيلة الوقت .

وهى قد أحست به وهو يركز عليها بينما كانت تتكلم . وهو الأمر الذى سره أن يستمع إليها ، وهى تحكى من الأشياء الشاذة والغريبة التى تحدث فى الميناء . وبطبيعة الحال لم يكن هو مهتماً على وجه الخصوص فالحكاية الغبية ؛ إذ كان جلياً أنه مجذوب للفتاة التى كان تحكى .

قالت فانيسا عندما انتهت لوسى :

ـ يالها من قصة ساحرة .

هزت لوسى كتفها هزة ضئيلة ، وقالت :

ـ لقد حسبت أن ذلك أمر غريب فى ذلك الوقت ، ولكننى الآن أعتقد أنه ليس وراءها شىء فى حقيقة الواقع . لقد كانت مجرد نكتة . وعلى أية حال ، وبرغم كل شىء ، فالأمور بدت كما لو كانت نوعاً من أنواع المزاح الشاذ .

قال مال :

ـ كان يجب عليك أن تتحققى من حقيقة ذلك الزورق من « آنا » ، فهى بمقدورها أن تخبرك عما إذا كان الزورق الأزرق ، أو غيره من الزوارق ، قد فعل نفس الشىء معها .

قال لوران :

ـ أنا على يقين من أنه ليس ثمة مايدعو إلى عمل ذلك . إنها تبدو حادثاً منعزلاً بالنسبة لى . ربما كان أحد السياح المخمورين . وأحسب أنه من الأفضل لك أن تتناسى الموضوع .

لقد كانت تلك هى المرة الأولى التى يتكلم فيها منذ دقائق عديدة . نظرت لوسى إليه محدقة . وكان يبدو واثقاً من نفسه . لقد كان على حق . إذ ينبغى عليها أن تنسى المسألة ، ولقد نستها ، بالسماء ، إنها حتى ما كانت لتذكرها مالم تذكرها بها فانيسا .

قالت لوسى :

ـ سوف أنساها . إنها مسألة منتهية بالفعل . والآن جاء دورك ، بالوران . هل حدث أى شىء غريب لك اليوم ؟

ابتسم لوران وهز رأسه وكتفيه . لقد كانت ابتسامته لطيفة ، ولكن لم تصل إلى عينيه . وشعرت لوسى لحظة أنها قد أزعجته بسؤالها . ولكنه كان منطقياً تماماً بالنسبة لها ، إذ أنها هى وفانيسا قد قاما بتسليته ، فلماذا لا يسليها هو بدوره ؟

Scanné avec CamScanner

قال لوران :

ــ حتى أكون أميناً معكم. أنا لم أبرح الڤيلا التى أنزل بها طوال اليوم، وحتى المجيىء إلى هنا هذا المساء، وبناء عليه يؤسفنى القول بأننى ليس لدى من القصص الظريفة أو النوادر ما أسرده عليكم.

قالت ڤانيسا، وبصوت ودود:

ــ لقد أفسدت اللعبة. أين تكمن الڤيلا التى تنزل بها يا لوران؟

ــ خارج الـ «ماهون» مباشرة.

علمت ڤانيسا بوضوح أن ذلك كلام مبهم غامض، وغامض جداً وصرحت متسائلة:

ــ على هذا الجانب من الميناء.

ــ كلا، على الجانب الآخر.

ــ على الجبهة المطلة على الماء؟

ــ نعم، تماماً.

إذن أنت لم تكن بعيداً عن المكان الذى طارد فيه الزورق الضخم زورق الـ«سان فيليب» هل لاحظت ورأيت شيئاً؟

وكان تساؤل ڤانيسا لا يزال ودوداً، ولكن كان واضحاً للوسى من الآن أن لوران قد أصيب بالقلق. لقد كانت إجاباته موجزة، حيث كان يرد بأدب، كلما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

قال:

ــ لا.

ــ لو كنت شاهدتها لكنت قد استطعت أن تحل الغموض الذى أصابنا.

أردف لوران:

ــ لكم كنت أتمنى أن أفعل. ولكننى أعلم النذر اليسير عن الموضوع.

وامتدت يده نحو كأس فأخذه وأفرغ محتوياته، وأضاف:

ــ إذن، لقد كانت فرصة ظريفة لأن أقابلكما أيتها الفتاتين؟

نادى مال عليه، وهو يشرع فى الخروج قائلاً:

ــ لا تنسى أن تأتى هنا مرة ثانية فى وقت آخر.

سادت فترة من السكون. وبدا فيها البار هادئاً جداً. ولا يزال غير موجود أحد من الرواد، وبرغم من أن ذلك لم يكن أمراً غير معتاد، إلا أن الأمور بالحانة، سوف تكون مفعمة بالنشاط فيما بعد الساعة العاشرة.

قال مال متدبراً:

ــ لقد أزعجته يا ڤانيسا.

ردت ڤانيسا قائلة:

ــ أنا لا أعلم لماذا أصيب هو بذلك. وأنا آسفة على التسبب فى انصرافه، برغم ذلك، يا لوسى.

ــ آسفة؟

ــ حسناً، لقد اعتقد أنكما ربما...

ــ أوه.. كلا!

ردت بتلك الإجابة لوسى متسرعة، وأضافت:

ــ ألا نتناول مشروباً آخر؟

تحسست ڤانيسا حافظة نقودها. بينما راحت لوسى تتفكر على حين غرة، إنه لم يكن لوران، هل كان هو، ذلك الذى كان يدير عجلة الزورق العملاق؟ كلا، بطبيعة الحال، إن هذا أمر لا يمكن حدوثه.

Scanné avec CamScanner

الفصـــل الثانـــى

عند الساعة الحادية عشر والربع صباحاً، انطلقت لوسى من فندق دون كارلوس متوجهة إلى كالا كورب، مرتدية الـتى شيرت، وقد تهدل على المايو البكينى. لقد كانت فى الفندق لاسترجاع حجوزات والتذاكر غير المباعة من فانيسا، بخصوص الرحلة التى ستبدأ فى الظهيرة، وتوانت متباطئة من أجل السباحة فى الحوض. وكان جميع العاملين يعرفونها، وكانوا كذلك سعداء للسماح لها باستخدام الحوض فى السباحة.

كان الخليج شبه مهجور: لقد كان ثمة سائحين رجل وامرأة فقط على مدى الرؤية والبصر، ونصف دسته من الصيادين ــ بما فى ذلك خوان. وكانت ترى لوسى من خلال الخطوات أن خوان قد انتهى من اصلاح شباك الصيد الخاصة به. وعندما وصلت إليه، اعتذرت له عن تأخيرها فى العودة إليه. ولكنه لم يكن منضايقاً من ذلك منها، إذ مكث فحسب لاختبار موقف التذاكر قبل أن يختفى مع الصيادين الآخرين.

ذهبت لوسى كى تملأ دلواً بالماء من الصنبور الواقع على الرصيف، وشرعت فى مزاولة أول مهمة من مهام وظيفتها اليومية ــ ألا وهى تنظيف خزانة المشروبات على ظهر زورق سان فيليب.

اتساق زوج من السياح هابطين إلى الخليج، واشتريا تذاكر بينما كانت هى تنهى وتنجز عملها. ثم انصرفت لتجلس فى ضوء الشمس بجوار اللافتة التى تعلق عن الرحلة الغامضة التى ستقوم هذا النهار. جذبت الـتى شيرت على رأسها مرة ثانية، واستقرت جالسة على كرسى من الكراسى القابلة للطى، وهى تمسك بكتاب تقرأ فيه، وقد أفردت غبنا وأذنا لكى ترى السياح من الرواد.

بدأ الخليج يزدحم ويصطحب رويداً رويداً. لقد كان البار الثانى الذى على شكل كهف، وهو «إيللا بلانا» قد افتتح أبوابه، على موعد الغذاء والعشاء، وتحرك الساقى بالحانة لأسفل الميناء، وراح ينظم ويرتب الموائد والمناضد موزعاً إياها توزيعاً حسناً على جانب رصيف المرفأ. جاذبته لوسى أطراف الحديث لدقائق قليلة، واشترت منه بعض فحم الكوك، وباعت ثلاثة تذاكر أخرى وراحت تتفكر فى حوض السباحة الواقع على قمة الجرف فوقها. جاء بعض الأطفال أسفل الدرج حاملين عصى الصيد وجرادل بلاستيكية؛ وظهر نفر قليل من السياح حول الرعن: وهو قنة الجبل الخارجة منه والداخلة فى البحر، وقد أصابتهم الشمس بحرارتها فى الأعقاب تسلقهم على الصخور، وتوجهوا تجاه البار. أخذ زوجان من البحارة زورقيهما إلى الخارج، وأوماوا للوسى، بينما كانا يبحران.

قرأت عدداً قليلاً آخر من صفحات كتابها. لقد كان كتاباً دراسياً، ثمين المتن. وأصبح الوقت مبكراً جداً بالنسبة إليها كما تتناول ساندوتشاتها. لقد أصابتها الشمس بالنعاس، وكانت عيناها واسعتين. وأيقظها صوت رجولى أجش عميق، قائلاً:

ــ أيتها الآنسة!

التفتت لمواجهة صاحب الصوت. لقد كان رجلاً داكن البشرة، ريان ممتلىء الجسم، ذا لحية ضئيلة، مرتدياً البنطلون الذى لا شكل له، وقميصاً بنياً، وهو الزى الذى كان يرتديه عادة صغار صيادى الأسماك. واتضح لها أنه ليس مشترياً محتملاً لأية تذاكر للحجز بخصوص الرحلة الغامضة.

Scanné avec CamScanner

ـ نعم؟

ـ الزورق؟ سان فيليب؟ هل هو ملك لك؟

عبست لوسى قائلة:

ـ إنه ملك خالى.

كان الرجل يتحدث بلغة الكاتالان، ولهجة مينوركا، بدرجة كثيفة حتى أنها اكتشفت أنه من الصعب متابعته. لقد كانت تتحدث لغة كاستيلان بتبيان، وهى اللغة الفصحى الأسبانية، غير أن لهجة ولغة الكاتالان فى جزء منها غير كبير، هى التى أصبحت اللغة الرئيسية على الجزيرة منذ نهاية عهد الجنرال فرانكو. قال الرجل:

ـ اخبرى خالك أن يبتعد عن الفيلات. أخبريه أنه ليس فى صالحه أن يبحر بزورقكما بهذه الدرجة من الإقتراب من الشاطىء. إن ملاك الفيلات هناك لا يحبذون ذلك.

وأعرض مولياً نحو الميناء، وهو يصرح:

ـ أخبريه، بأنه يتعين عليه أن يبتعد.

أقطب لوسى وعبست، وقالت ببطء:

ـ أنا لا أفهم. من أنت؟ من الذى أرسلك هنا؟

فكر الرجل كلامه قائلاً:

ـ أخبريه فحسب. أنه يتعين على الزوارق أن تلزم هذا الجانب من الميناء. إذ ليس فى صالحكم أن تبحروا على مقربة من الفيلات. اخبريه بذلك.

بحلقت لوسى فيه. يالله من أمر شاذ. لمن يوجه تلك المحاذير، وماذا كان يفعل فى كالا كورب؟ لقد شعره بالفزع والخوف على حين غرة. لقد كانت قلقة، وهى تجلس على الكرسى الواطىء، بينما كان هو يلوح مهدداً إياها. دفعت نفسها بعيداً، وتحركت مقدار خطوات منه. قال الرجال:

ـ إذا فعلتم ذلك، فلن تكون ثمة متاعب لكم.

ولكن إذا لم ينفذوا ما اقترحه؟ يالله، هذا يمثل تهديداً! نظرت لوسى فى كل جانب. لقد اختفى كل صيادى السمك وتوجهوا من أجل تناول طعام الغذاء وقيلولة الظهيرة. كان ثمة القليل من السياح يأكلون خارج البار، ولكن ليس ثمة شخص تعرفه على مرمى بصرها، لم يكن هناك أى شخص تستطيع أن تناديه ليأتى وينقذها.

فقالت بطريقة وديعة ضعيفة:

ـ الرأى عندى أن تعاود المجيىء ثانية حينما يكون خالى متواجداً. لم يتأثر أو ينفعل الرجل، وكرر قوله:

ـ يتعين عليك أن تعلميه بذلك.

ووقف هناك برهة من الوقت، وهو ينظر محدقاً فيها، ثم التفت وذرع المكان بخطوات واسعة متوجهاً ناحية أسفل الخليج الصغير كانت لوسى تراقبه، وقد أصابها التنويم المغناطيسى. لقد مر بطول صف الزوارق الرأسية. ثم توقف على مقربة من نهاية الصف، وقفز إلى أحد الزوارق، وشرع فى الإبحار.

لقد كان زورقاً أبيض. يا للسماء، اعتقدت صوفى أنه لابد أن يكون ذلك الزورق الذى طارد زورقهم سان فيليب فى اليوم السابق!

ولما كان الرجل يدير المحرك، ويزمجر بالزورق خارجاً من الخليج الصغير، منطلقاً عبر الميناء، كانت لوسى تحدق كالعمياء فى الأثر الذى خلفه الزورق فى المياه وانتشر فى أرجاء المرفأ. تجنبوا الإقتراب من الفيلات. لقد بدأ الكلام يفصح عن معانيه. إن ذلك الرجل هو بالتأكيد الذى كان يقود الزورق الضخم فى اليوم السابق، وصار واضحاً لها الآن، أن ذلك هو ما كان يفعله ويهدف به فى محاولة لإبعاد زورق سان فيليب بما فيه الكفاية عن الفيلات الكائنة فى مقدمة الميناء. والآن لقد جاء شخصياً لتعزيز تلك الرسالة. هل كان يمتلك إحدى تلك الفيلات؟ إنه لا يشبه للناظر إليه ومن بعيد أنه ينتمى إلى مجموعة المشاهير الأغنياء العالميين الذين يعيشون بطول جبهة الماء. إذن لابد وأن يكون مكلفاً

Scanné avec CamScanner

بالعمل لصالح أحد أولئك الملاك ـ إذن سيده هو الذى أصدر إليه الأوامر ـ يقيناً ـ بأن يباعد زوارق السياحة عن الفيلا والأراضى المجاورة لها.

لم تُروَّعْ لوسى من جراء ذلك، ليس لأن الرجل انصرف. ولكن، طالما أنه قد انصرف، اكتشفت هى أنها غاضبة كلية وخانقة. يا لها من وقاحة! إن الميناء مثله مثل الطريق: لا يستطيع أحد وليس بمقدور أحد أن يمنع القوم من أن يستخدموه، حتى ولو كانوا قد اقتربوا من شواطىء الفيلات قرباً كبيراً لأغراض التسلية وخلافة. لقد كان خوان والملاك الآخرون للزوارق السياحية يستخدمون المرفأ فى السياحة لسنوات طويلة وهم لن يغيروا مسارهم لمجرد أن بعض المقيمين من الأغنياء يعتبرون ذلك ضجيجاً وصخباً.

لقد صدمها فيما بعد ذلك، فى وقت متأخر لاحق، أن تعلم أنها كان يجب أن تقول له ذلك. حسناً، لقد كان طيباً أنها لم تفعل. إذ كان يبدو الرجل قوياً وعدوانياً على نحو مخيف مروع، ولم تكن تحب أن تخاطر بمجازفة بمعاداته عداء سافراً. لسوف يقول له ذلك خوان، إذا ما أصر على هذه الحملة الغريبة. لأنه، كما تظن لوسى، هى وخوان لن يسمحا بأن يستسلما لتوعداته؛ إنهما لن يغيرا من مسار زورق سان فيليب ولو مسافة بوصة واحدة.

تساءل خوان متسائلاً:

ـ أو قد فعل؟ لماذا، إننا لم نفعل شيئاً. سوف ننتظر لنرى ما سوف يحدث.

أضافت صوفى:

ـ على أية حال، ليس ثمة ما نستطيع أن نفعله. رجل ريان ممتلىء الجسم مطلق شعر لحيته، داكن البشرة، ويرتدى ملابس العمل. فكيف يتسنى بحق السماء أن نكتشف هويته؟ هناك الآلاف من الرجال مثله حولنا.

كانوا جالسين حول المائدة يتناولون طعام العشاء، تلك الأمسية، ولم تكن ثمة اضطرابات جديدة فى رحلة الزورق عند الظهيرة: ليس ذلك بالأمر المدهش، لأن الرحلة الغامضة لزورق سان فيليب لم تمر على مقربة من الفيلات الواقعة على الجانب الشمالى الشرقى من الميناء. ولكن لوسى أقنعت نفسها، وهى تتدبر الأمر، فى تلك الظهيرة، أن خوان كان ينبغى عليه أن يتخذ إجراء أو أن يفعل شيئاً بشأن ذلك الوعيد المستتر الذى تلفته.

قالت:

ـ إننى أعلم كم هو أمر شاق أن نقتفى أثره. وإنى لأعرف أن هناك عشرات الزوارق الكبرى المطلية باللون الأبيض، تماماً مثل الزورق الذى رأيته، ولكم كنت أتمنى أن أرى وألاحظ الأسم المكتوب فوق الزورق بالأمس. إننى لم أستطع قراءته البوم، لقد كان بعيداً جداً، غير أنه كان الزورق عينه، وإنى لعلى يقين من ذلك.

قال خوان:

ـ لقد كان يتعين على أن أقرأ الاسم، ولكننى لم أفعل.

ـ وماذا نحن فاعلون؟

ـ هل أنت تريدين أن تفعلى شيئاً؟ حسناً، إذا كنت عازمة على ذلك، بوسعك أن تسألى «آنا» وجايم. فربما تعرض هو أيضاً لمطاردة الزورق. وربما استطاعت «آنا» أن تخبرك، وإذا ما وقع ذلك، هناك فرصة طيبة فى أن تكون قد رأت اسم الزورق.

لقد كانت تلك هى النصيحة التى أشار بها «مال»، أن تستشير «آنا». وكان ذلك يبدو معقولاً لدى لوسى. إذ ظنت أنه إذا كان رجل مينوركا جاداً بشأن إبعاد الزوارق السياحية عن الشاطىء، إذن فلابد وأن يكون قد تغابى على ملاك الزوارق الأخرى، بالمثل. قالت:

ـ سوف أفعل ذلك صباحاً.

كان الزورق الأزرق الذى يمتلكه جايم وآنا يرسو فى خليج كاليس

Scanné avec CamScanner

فونس، أكبر خليجين تم حولها بناء مدينة كارلوس. شقت لوسى طريقها هناك فى اليوم التالى عند الصبيحة، متوجهة إلى البار حيث تباع تذاكر الزورق.

كانت «آنا» إمرأة جميلة قادمة من برشلونة. وكانت تجلس على أحد المناضد خارج البار، تطلى أظافرها باللون الأحمر. قالت لوسى:

ــ أهلاً بك يا «آنا».

ثم جلست فى المقعد المقابل لها، وصاحت:

ــ لقد اقترح خوان على أن أستشيرك فى أمر هام. هل تعرضت أنت وچايم لأية متاعب فى الآونة الأخيرة، من جراء الزورق العملاق فى الميناء؟

ضاقت عينا «آنا». ومدت يداً ذات مخالب حمراء اللون إلى زجاجة ضئيلة من طلاء الأظافر والتقطتها بعناية، وقالت:

ــ هيا بنا إلى الداخل.

اتبعتها لوسى داخلة إلى أعماق البار. جلست آنا على أحد المقاعد الواطئة، وأودعت طلاء الأظافر على أحد المناضد ذات الغطاء الزجاجى. قالت:

ــ إذن، تعرض خوان للمتاعب أيضاً.

ــ يوم الأربعاء. ولم نقم برحلة الميناء بالأمس، ولذا لا أعلم ما إذا كان الزورق الضخم قد عاد ثانية أم لا.

ــ لم يعد، كلا، بيد أننا قد تعرضنا للارتباك والمضايقة منه يوم الأربعاء، تماماً مثلما تعرضتم أنتم. إنها سانت كاتيرينا. وچايم يعرف الرجل الذى استخدمه، ولكنه باعه إلى أحد أحواض إصلاح الزوارق منذ شهرين، فى ماهون.

ــ هل بمقدورك أن تخبرنا من أية فيلا جاء؟

هزت «آنا» رأسها، وقالت:

ــ لقد أبحر من رصيف طويل خشبى يشارك فيه الفيلات الأربع.

ــ أربع فيلات!

ــ حسناً. آخر فيلا على الطرق تمتلكها مطربة من برشلونة، ولكنها كانت ترد إلى الجزيرة منذ سنوات، وهى ليست من النوع المثير للمشكلات.

لقد أطلقت عليها «آنا» تعبير: إحدى مطربات الأغانى الشعبية، معروفة بأسلوبها العاطفى. قالت آنا وهى تضيف:

ــ ثم يأتى فى أعقابها فيلا أكبر تغير مالكوها منذ عام مضى أو مايقارب ذلك وهى يسيرة الرؤية والتحديد، إنها تقع على ثلاثة مستويات، وداخلة مباشرة فى جانب الهضبة. وهى تنتمى إلى أحد رجال البنوك الفرنسيين، على ما أسمع. وليس من بينهم أية مشاهير. ثم بعد ذلك هناك فيلا مطلاة باللون الأخضر تنتمى إلى مالك أحد النوادى الليلية فى ماهون، أما الأخيرة، وهى التى تقترب من الرصيف فيمتلكها زوجان انجليزيان متقاعدان. قالت لوسى:

ــ مالك أحد النوادى الليلية.

ــ حسناً. إن له تعاملات وصلات بشرطة الجزيرة لمرة أو مرتين. وكانت هناك شائعات فى الصيف الفائت أن فرقة مكافحة المخدرات فى مدريد قد أرسلت أحد رجالها إلى الجزيرة للتحقيق معه واستجوابه.

ارتعدت لوسى وهى تقول:

فرقة مكافحة المخدرات! وقالت فى نفسها ربما لم يكن المقصود بالتحقيق هو مالك النادى الليلى. وراحت تسأل «آنا» قائلة:

ــ وماذا عن الزوجين الانجليزيين؟ ربما استطعنا سؤالها عن جيرانها، لنرى ما إذا كان أحد ما قد ذكر أنه سينخذ إجراءات قمع ضد الزوارق.

نشرت «آنا» أظافرها الطويلة وصاحت:

ــ أنت تعرفين الإنجليز. إنهم يمكثون على الجزيرة طوال الشتاء، حينما يغادرها القوم العقلاء متوجهين إلى أماكن أخرى ويؤجرون الفيلا مقابل إيجار دورى كمقابل، ثم يعودون أدراجهم فى فصل الصيف. أما الإنجليز

Scanné avec CamScanner

فهم يؤجرون القبلات ويعودون إلى وطنهم انجلترا الممطرة.

ضحكت لوسى. فلم تكن تعتقد أن تلك حماقات يرتكبها الانجليز، ولكن كان ذلك صحيحاً، ويتعين عليها الاقرار والاعتراف بذلك.

أنهم يبدون كما لو كانوا يتمثلون الجنسية الوحيدة التى تتصرف بهذا السلوك.

ولذا جايم يعتزم أن يفحص الزورق الضخم أولاً؟

ترددت «آنا» فى ردها على ذلك السؤال الذى وجهته لوسى، وأردفت:

ــ بمقدوره أن يسأل فى حوض اصلاح الزوارق ــ أعتقد ذلك ــ غير أننى أظن أنه لن يكلف نفسه المشاق. لماذا يبحث عن المتاعب؟ بمقدورنا أن ننحاز قليلاً إلى الخارج بعيداً عن الشاطىء، حينما نصل إلى الرصيف. وكل شىء سوف ينسى فى خلال أسبوع أو ما يقارب ذلك. وربما يحل الموسم القادم، سوف نكون قد عدنا أدراجنا إلى المسار القديم.

احتجت لوسى قائلة:

ــ ولكن الرجل ليس مخولاً حق تهديدنا بهذه الطريقة!

ــ أجل، إن تصرفه ليس ظريفاً، ولكن ما الذى لدينا أن نفعله بخلاف ذلك؟

كان ثمة شىء بوسعهم أن يفعلون. إنهم يستطيعون أن يخاطبوا ويبلغوا البوليس؛ وبوسعهم القيام بعمل تحريات بأنفسهم. ولكن جايم كان مثل خوان تماماً، حسبما ظنت لوسى. كسول، ليس من النوع الذى يعرض نفسه للمتاعب، أو يبذل جهوداً غير ضرورية.

على أية حال، برغم أن خوان وجايم ظهراً وكأنهما يعتقدان أن الأمر غير ذى ضرورة لأن يكلفوا أنفسهم الجهد بشأنه، إلا أن لوسى كانت لا تزال غير واثقة من أنها اقتنعت. قالت:

ــ إذات اقنعنا أحد ملاك إحدى القبلات بأن نغير المسار، فإن الآخرين ربما يفعلون نفس الشىء.

هزت «آنا» كتفيها، وصاحت:

ــ إذا فعلوا ذلك، سوف نتدبر الأمر ونفكر فيه مرة ثانية.

ونظرت عبر المنضدة، لترى تعبيرات وانفعالات لوسى، وأردفت:

ــ آه، إنه الشعور الانجليزى المعهود لديكم فى تحرى العدل والحق! أنت تريدين للرجل أن يعاقب. قالت لوسى:

ــ ليس العقاب، بالضبط. حسناً ــ أجل، أعتقد أننى أحب ذلك. ولا أظن أننا سوف نتركه يفلت بما اقترفه من متاعب لنا.

ــ لوسى، يا عزيزتى، إن غالبية القوم يتسامحون ويغتفرون أعمالاً أكثر سوءاً من ذلك الفعل!

ضحكت لوسى مع «آنا». ولكنها كانت قلقة فى نفس الوقت ــ ومصابة بالفضول. من كان هذا الرجل، راحت تعجب وتتساءل، ومن ذلك الذى كان شغوفاً بمثل هذه الدرجة للحفاظ على ابتعاد الزوارق السياحية؟ ولماذا؟ هل كان الأمر لا يعدو كونه إحساساً مفرطاً بالرغبة فى التمتع بالخصوصية والعزلة؟ بيد أن سائر ملاك القبلات يعلمون يقيناً أن ذلك يمثل خطورة، طالما كانت حياتهم على مشارف الشاطىء، حيث يستمر التدفق الدائم للأجانب عبر المنطقة الواقعة تحت أقدام حديقتهم المطلة على الماء. كانت ثمة أمور غامضة مبهمة ههنا، وهى قد عقدت العزم على سبر غورها.

ودعت «آنا» وعرجت نحو كالا كورب، وهى بعد تصمم وتخترع خطة فى ذهنها بينما كانت تقطع الطريق بالمشى.

لقد كان خوان يعمل على ظهر زورق سان فيليب البخارى. عندما قالت له:

ــ سوف أكون متواجدة ههنا طيلة الصباح. تستطيع الإنصراف، لو أحببت، حتى الثانية والنصف.

ــ ألا تريد العون والمساعدة يا خوان؟

كشر عن ابتسامة، وقالت:

Scanné avec CamScanner

ـ أنت فى طريقى، أليس كذلك؟

ـ هل بمقدورى أن آخذ زورق «صوفى»؟

كان الـ«صوفى» قارب تجديف صغير، مزوداً بمحرك بارز، كان يستخدمه خوان فى صيد الأسماك. وقال:

ـ املئى الخزان أولاً. وهناك بعض طعم السمك فى السقيفة إذا رغبتى فى الصيد.

ـ شكراً يا خوان.

مضت لوسى إلى السقيفة الصغيرة حيث يحتفظ فيها خوان بالشباك والامدادات. وأخذت صفيحة البترول، عود الصيد الذى كانت عادة تستخدمه لنفسها، وصفيحة غليون صغيرة بها شص احتياجى، وغمازات للطفو، وحقيبة بلاستيكية، وقارورة بلاستيكية، نصف مليئة بطعم الأسماك من القواقع. ووضعت كل أولئك فى قارب «صوفى» الصغير، وأضافت ساندويتشاتها وعلبة فوار البرتقال، ثم تفحصت المحرك، وخلعت الشورت: البنطلون الصغير ـ على الرغم من أنها تركت قبصها الـتى ـ شيرت الأبيض اللّين منسدلاً على مايو البكينى الذى كانت ترتديه ـ وتبلويحة إلى خوان، ابحرت منطلقة عبر الخليج الصغير. ولم تخبر خوان إلى أين هى تعتزم الذهاب. أو حتى أنها ذاهبة لصيد الأسماك، على الرغم من أنه لاحظ بوضوح متخيلاً أنها ستفعل ذلك. وهى ظنت أن اعتقاده هذا بمثابة تمويه وخداع له.

وصيد السمك سيكون منعة على حافة الرصيف الخشبى الطويل فى الطرف الأقصى للميناء، كما هى الحال فى الخلجان الصغيرة التى كانت ترتادها غالباً.

انحرفت عن المرفأ الرئيسى، آخذة القارب الصغير بعيداً عن مرمى بصر خوان ـ وهى بعد لاتتوقع منه أن ينظر إلى أين هى قاصدة ـ وعندئذ عبرت قنال السفن الرئيسى قاطعة إياه بمجرد أن خلى أمامها. أوصلها مسارها على مقربة من نصف الميل إزاء جنوب شرق صف الفيلات التى

كانت تستهدف الوصول إليها. ودلجت ببطء نحوها، محافظة على تواجدها فى حمى وملاذ اليخوت الرأسية، حتى وقع بصرها على الفيلات ذات الطلاء الأخضر التى ذكرتها لها «آنا».

كانت هناك ثلاثة زوارق مربوطة على الرصيف الخشبى الطويل. ولم يدهشها ذلك. لقد كانت كل فيلا بها من المتاع مايشمل على الأقل أحد الزوارق، وفى فصل الصيف، نادراً ما كانوا يتجشمون متاعب إعادتها إلى مكامنها. أحدثت صوتاً انفجارياً قصيراً وهى تنظر إليها بعناية. كان هناك اثنتان من القوارب الصغيرة، تشبه إلى حد كبير قارب الـ«صوفى»، ويخت صغير، مطلى بالكروم. ولم يكن هناك أى أثر للزورق الضخم الأبيض.

لم تكن هناك يخوت رأسية على امتداد الماء فيا وراء الرصيف. إذ يفترض أن رجل مينوركا ـ الربان مليىء الجسم قد طاردها جميعاً حتى أخرجها من المسار ومداه. حسبت لوسى، وقد انتابها عدم الارتياح، أنها قد تبدو واضحة للعيان، على غير ما كانت تضمر. إلا أن الأمر لم يكن غريباً لأى فرد فى أن يتوقف فى أية بقعة على امتداد الماء مثلها؛ كما أن عود أو قضيب الصيد الذى تمسك به فى يدها يقدم عذراً وتبريراً لسلوكها.

قاربت صوفى من الشاطىء رويداً رويداً حتى صارت على بعد ياردات قليلة، ثم مالبث قارب الـ«صوفى» أن توقف. لم يكن هناك أية تيارات فى الميناء، وحتى بدون مرساة كان القارب الصغير غير منتظر له أن يتحرك بعيداً. مدت يدها لوسى لتصل إلى علبة الخيوط، والقواقع، وكسرت أحدى القواقع على أحد جوانب القارب، وبدأت تنثر محتوياتها على الشص.

كانت لوسى عصبية بأكثر مما تظن، واستغرق الشروع فى الصيد منها إلقاء الشص ثلاث مرات قبل أن تستطيع وضع الخيط على نحو مقبول. ثم استقرت براحة على أحد مقعدى القارب الصغير وراحت تنظر.

Scanné avec CamScanner

كانت «آنا» تعرف الميناء معرفة وثيقة، قالت ذلك لوسى فى نفسها. لقد كان صف الڤيلات تماماً كما وصفته. إن الڤيلا ذات الجوانب الشاهقة، والطلاء الأبيض، المحتوية على فيراندا مواجهة للميناء، لابد وأن تكون مملوكة للمطربة. لقد كانت مصرعة الأبواب والنوافذ كلية. وبالتالى يتعين على لوسى أن تصعد عائدة إلى اليابسة. ثم تلاها الڤيلا الواطئة ذات الثلاثة مستويات، وكانت تلك المسكونة: حيث كانت المظلات الشمسية مشرعة على النوافذ، غير أنه لم يكن ثمة أحد على مرمى البصر. ثم الڤيلا الخضراء الأنيقة، ذات الدرابزون الهابط لأسفل درجها، المطلى باللون الأبيض حديثاً، ولائحتها المحاطة بالأضواء الملونة. وعلى الارتفاع بعدة خطوات تمثل المسافة المؤدية إلى الرصيف الخشبى، كانت تقع الڤيلا المسطحة التى يمتلكها الزوجان الإنجليزيان.

كانت إحدى العائلات تستأجرها؛ وتستطيع لوسى أن تسمع الأطفال يصرخون من النافذة، وحوض السباحة.

ولما كانت مستغرقة فى تفحص خط الساحل، ضاع منها الغمز الأول الذى مرق بالسنارة. وبمرور الوقت، هربت منها السمكة التى تعلقت بالشص. وبينما كانت تعنى، وضعت قوقعة أخرى على السنار وألقت للمرة الثانية.

وكانت يبعث على النوم والنعاس مشاهدتها لفلين الطفو وهو يتذبذب إلى فوق وإلى أسفل بتأثير الأمواج. وكانت عبارة البالما تمخر العباب، وكان القارب الصغير وفلين الطفو يتأثران بما خلفه وراءه من أمواج وزبد. وكان ذلك يتلاشى رويداً حينما اختفى فلين الطفو تحت الماء والأمواج، ولكن صوفى، وقد كانت فى حالة تأهب هذه المرة ــ تشبثت بقضيب الصيد بشدة.

ونجحت فى إسقاط سمكة قزحية ذات ألوان ساطعة فى القارب.

ربما تزن نصف رطل ــ وهى وإن لم تكن قد سجلت بذلك رقماً قياسياً، إلا أنها تعتبر بداية طيبة للصباح. وبمجرد أن ألقت بها فى الحقيبة

البلاستيكية، لفت أنظارها حركة خفيفة على جانب الهضبة، وسرعان ما استدارت ملتفتة نحو الڤيلات.

كان أحد الرجال واقفاً فى الحديقة الخاصة بالڤيلا البيضاء الواطئة، تلك التى طالت عنها «آنا» إنها تنتمى إلى أحد رجال البنوك الفرنسيين. كان يقف فى إحدى الڤيراندات الصغيرة، ربما فى موقف متوسط بين الڤيلا نفسها والرصيف، الذى كان من الواضح إمكان الوصول إليها عن طريق صعود الدرج المؤدى إلى الرصيف.

وذلك الرجل لم يكن هناك حينما نظرت منذ نصف الساعة قبل هذا. ولدى جلوسه، خرج من مدى رؤية لوسى، فلم تعد تراه بعد. ربما كانت قد استعجبت حينما رأت السمكة وهى تأكل الطعم، أو ببساطة أصدرت صوتاً يدل على الاضطراب والضجر من عود الصيد والخيط من أجل أن تجذب انتباهه. حينذاك وقف ليرى ما الذى يحدث ويقع فى الميناء.

لقد كان ماكثاً بعيداً عنها بما فيه الكفاية حتى تستطيع هى أن تتحقق من ملامحه، إلا أنها كانت واثقة من أنه ليس الرجل الريان الممتلىء الجسم الذى أضجرهما فى مينوركا، وتوعهدها فى كالا كورب. إن هذا الرجل أكثر طولاً ورشاقة، على الرغم من أنه كان بالمثل ذا شعر بنى وذا بشرة محمرة. كان يرتدى البنطلون الشورت القصير.

وبما أنه كان من الواضح مراقبته لها ــ وكانت هى بدورها تلاحظه بوضوح ــ ابتسمت ولوحت فى اتجاهه، وحينذاك، قامت باتخاذ إجراء جيد، ألا وهو التقاطها للحقيبة البلاستيكية واسماكها بها وقد مدت ذراعها ــ لتريه وتبين له محتوياتها الضئيلة مازحة.

لم يتأثر أو ينفعل الرجل من جراء ذلك. فأنزلت لوسى الحقيبة إلى مكانها فى عمق القارب، ومدت يداً لأخذ قارورة الطعم. وبطرفة جانبية من عينها، كان بمقدورها أن ترى أن الرجل الكائن على جانب الهضبة، قد تحرك الآن، وبدا وكأنه يقصد الدرج.

Scanné avec CamScanner

وظنت حينذاك أنه ربما كان صاحب العمل الذى يشتغل لحسابه رجل مينوركا. وإذا كان ذلك كذلك، ربما كان يهبط الدرج متوجهاً نحو الرصيف لمجاذبتها أطراف الحديث، وسؤالها أن تنتقل بعيداً عن ذلك المكان.

هل هذا ما كانت تبتغيه، أم ماذا؟ هل من أجل أن تكتشف من الرجل الكامن وراء التهديدات، أم من أجل اقتناص فرصة لمناقشته منطقياً فى الأمر؟ شعرت أن معدتها تتقلص داخلها. إذ أنها لم ترد فى حقيقة الأمر أن تدخل معه فى مواجهة، وأخذت الهواجس تنتابها.

استدارت ملتفتة نحو الرصيف، وأعطت ظهرها لنهاية أسفل الدرج، وهى تتلمس سنارة الصيد. ربما كان تصرفها هذا يثبط من همته فى الهتاف منادياً إياها. وحاولت أن تراقب الرصيف من طرف عينها، بينما كانت تثبت طعماً جديداً على الشص.

نهضت لوسى واقفة فى عرصة القارب، واقدامها منبسطة، وأعدت نفسها لإلقاء الخيط. اهتزت أكتافها وذراعاها من تأثير إلقائها للخيط، عندما زمجر الزورق الضخم الأبيض وهو يمر من أمام قاربها.

مال قارب الـ« صوفى» وانقلب بعنف، حينما عصفت الآثار التى خلفها الزورق به. أصيبت لوسى بفقدان توازنها بسبب امساكها بعود الصيد، وانقلبت بعنف أكثر حدة. فلت من يديها عود الصيد. فدت يدها للإمساك به على نحو غريزى، وبينما كان القارب الصغير يتأرجح ويترجرج معتدلاً مرة ثانية، وجدت لوسى نفسها هابطة لامحالة إلى الماء.

وقعت برأسها فى الماء أولاً. ثم بطنها بعد ذلك بلحظة وأخيراً بقدميها جميعاً. لم يكن سقوطها فى الماء غطساً سيئاً على أية حال، إذا أنه فى مثل تلك الظروف ــ يكون الوقوع غير مسيطر عليه أو متحكم فيه. وغاصت بما فيه الكفاية قبل أن تتمكن من التحكم فى نفسها ولم شتات جوارحها. كانت ثمة لحظة قدرية سماوية حينما انجرفت عبر الأعماق الخضراء الباردة، على غير هدى.

وبعد ذاك أصدرت بقدميها حركة توقيعية سباحية، وخرجت ثانية إلى سطح الماء.

وكان ذلك بفضل يدين قويتين قبضتا على كتفيها. فراحت تضرب على نحو غريزى تقاوم تلك اليدين. غير أن مهاجمها أحكم الإمساك بها على طريقة الإنقاذ من الغرق الكلاسيكية، فصار ذراعها يسوطه.

لقد غطس من أجل معاونتها فى الإنقاذ من الغرق. عليه اللعنة، فمن يكون ذلك الشخص؛ لقد شعرت بأنها تعرضت لسقوط أحمق بما فيه الكفاية بدون أن يكون هناك شخص لينسج من ذلك كله قصة درامية حقيقية. لقد كان سباحة ماهرة، وكانت تحس بأنها فى غير ذى خطر فى الواقع، بيد أنه لم يكن ثمة جدال فى أن تلك المسكة والقبضة القوية الخبيرة قد طمأنتها، ولذلك لانت وضعفت، وأخذت بينها وبينه لكى ينتشلها إلى السطح.

وبمجرد أن خرجت، راحت تدمدم وتغمغم على نحو غير مبين، وبصقت مقدار ملء الفم من مياه البحر. ولم تكن تستطيع أن ترى؛ وكان شعرها قد التف كستارة رطبة على وجهها، وليس من ذراع خال يقوم بتحريك الشعر بعيداً عن محياها. سحبها الرجل الممسك بها لعدة خطوات قصيرة قليلة؛ ثم توقف بعد ذلك على نحو ابتر فجائى. مد يده إلى ذراعها وأرشدها إلى الإمساك بشىء صلد.

وفى نفس الوقت أطلق ذراعها الآخر، فصارت قادرة على تحريك شعرها بعيداً عن عينيها، وأن ترى أين هى. لقد كانت تمسك بأحد الدعائم القائمة فى الرصيف الخشبى، وسط الماء بين الرصيف وقارب « صوفى».

ــ قال الرجل:

ــ يوجد درج هناك، هل تستطعين أن تصعديه؟

ــ بالطبع، أستطيع.

ردت لوسى بدون النظر إليه. ولحسن الحظ كان الدرج واقعاً على

Scanné avec CamScanner

الجانب الآخر منها، ناحية منقذها. فأخذت بينها وبين الدعامة، وسبحت تلك المسافة الوجيزة متجهة نحو الدرج.

لقد كان ذلك يمثل مشقة كبرى لها بأكثر مما كانت تتوقع، وهى تسبح تلك الخطوات القلائل بدون عون، وتجر نفسها صاعدة إلى الخطوات الخشبية للدرج، وخارجة من الماء.

انهارت لوسى وجلست كالكومة على الرصيف، ولم تلاحظ الرجل الذى تبعها خارجاً من الماء.

وقف هناك لحظة، مرتفعاً ومنحنياً عليها، ثم أمدد يداً لكى يجذبها لتقف على قدميها.

سحبت لوسى يدها وذراعها بعيداً عنه، بغضب، بمجرد أن نهضت. عليها اللعنة تلك الحالة من عدم التوازن التى أوقفها! لقد كانت صدمة موتّرة. إن الماء صار يشعرها بالبرودة، على غير ما كان يبدو لها عادة حينما كانت تشرع فى السباحة فى المرفأ. لقد كانت ترتعش. فأخذت تلف ذراعها على جسدها، وتحدث فى منقذها.

ــ أوه كلا! أنت لست لوران.

لقد كان لوران بالتحديد. لوران الذى ابتل بالماء، غير مرتد شيئاً سوى بنطلون شورت قصير مخضل بالماء، وينظر إليها بخليط من الانزعاج والقلق، الأمر الذى جعلها تشعر بالضعف والحنق، معاً فى نفس الوقت.

راحت لوسى تتدبر، لقد التقيا مرة ثانية، على خلال قناعتى بأننى لن أراه ثانية أبداً.

حاولت أن تفكر فى شىء ما كى تقوله. إنها تستحق أن تنصب عليها اللعنات إن هى أعربت له عن شكرها. إذ أنها لم تطلب منه أن ينقذها، واستقر رأيها واقتناعها بأنها لم تكن فى حاجة إلى الإنقاذ. وعلمت أنه إذن رجل البنوك الفرنسى الذى ذكرته «آنا»، بطبيعة الحال، وإنه هو الرجل الكامن وراء التوعدات والتهديدات بألف فى المائة.

إن الأشياء التى تفكرت فى قولها آنذاك كانت فى جملتها غير قابلة

للتكرار.

وفى النهاية، صاحت فحسب قائلة:

ــ الزورق الصغير..

ــ لقد أرساه ألونزو..

التفت لوران عن لوسى ونظر إلى الماء. فاتبعت لوسى نظرته إلى الماء. لقد كان هناك رجل ربان ممتلىء الجسم هو الذى يطلق عليه الونزو، وكان يسحب القارب الصغير بحبل المرساة نحو الزورق الأبيض الضخم.

لقد كان بطبيعة الحال هو الرجل الذى دنا منها وبادرها بالكلام فى كالا كورب.

ذهبت لوران إلى حافة الرصيف. وأحضر الونزو الزورقين معاً على الشاطىء، فمد لوران يداً للإمساك بالحبال الخاصة بالرسو ليؤمن مرساهما.

وجدت صوفى نفسها مهملة. فانتهزت تلك الفرصة كى تعصر شعرها منزلة منه عزيراً من الماء.

وحتى ذلك الحين، لم يكن أحد يفرد لها انتباها، ولذلك أخذت تعصر نهراً آخر من الماء من حاشية قميصها الداخلى-شيرت. لقد كان الماء نظيفاً على الأقل إلى حد ما: غير أنها كان يزعجها أن ترى كل ذلك الخراب.

ألقت نظرة حذرة إلى الرجلين. على الرغم من أن منظر ألونزو كان غير مثير للأعصاب على نحو كاف، فانجذبت عيناها، وهى بعد غير قادرة على المقاومة إلى لوران. كان مفصولاً أملس كالفقمة «عجل البحر». بعد خروجه الفجائى من الماء، وقد التصق شعره القصير على رأسه، بينما قطرات الماء تنزلق على ظهره العارى متلألئة. وكانت العضلات تنموج تحت جلده، بينما كان يرفع الأحمال. إنه رجل رشيق، ولكنه صحيحاً وقوياً، راحت لوسى تتدبر تلك الأمور، وهى تتذكر القبضة الحديدية التى أمسكت بها تحت الماء.

وسرعان ما تم تأمين كلا الزورقين على نحو تام وحازم فى حلقات

Scanné avec CamScanner

المرساة. راقبت لوسى كل هذه العملية قبل أن يستقر رأيها على أنها لم ترغب اطلاقاً فى ايرساء القارب الصغير على رصيف لوران. إذ أنها لن تستطيع بعد ذلك أن تواجهه على ظهر زورق «سان فيليب»، تنامى لدى لوسى الحاح ودافع قوى ومتزايد فى العودة إلى القارب الصغير، وإدارة محركة لتنطلق عبر القنال بأسرع ما يمكنها، وبأقوى قدر من الإنطلاق يستطيع أن يحققه القارب.

تحركت خطوة أو خطوتين نحو القارب الصغير، ثم تذكرت عود الصيد. لقد كان خاصاً بخوان ذلك الذى استعارته: ولم يكن أفضل عود لدين، غير أنها لا تستطيع العودة بدونه.

لقد كان عود الصيد طافياً هناك على سطح الماء يرفل فى السعادة.

أنعمت النظر فى سطح الماء، واعتقدت أنها رأت شكلاً طويلاً حجب ضوء الشمس، ربما كان خشباً مطلياً.

تحركت خطوة ناحية أحد الجوانب، حتى تضع نفسها فى المكان الخالى بين الزوارق، واستعدت للغطس إلى الماء من أجل استعادته. أمسك بها ذراع لوران كما لو كان طعنه. وانسدل على صدرها، وجرها بحزم إلى الوراء، حتى أصبحت ملتصقة بإحكام بجسده الصلب.

صاحت بصوت بارد:

ــ ماذا تظن أنك فاعل بحق السماء؟

جاهدت لوسى من أجل تخليص نفسها، وأخيراً تمكنت من جعله يبسط ويرخى قبضته.

قالت بسخرية وتهكم:

ــ أنا لست قادمة على الانتحار. أحتاج فحسب إلى استعادة عود الصيد. لأنه ليس ملكاً لى. لقد استعرته.

ــ أنت لن تستطيعى ببساطة أن تغطس إلى الماء مرة ثانية.

فأنت لازلت متأثرة بالصدمة. وسوف تكونين مبددة للوقت والجهد. لقد انكسر، على أية حال.

تعجبت لوسى قائلة:

ــ أوه. لا!

ــ أوه. نعم. اتركيه وهيا معى إلى المنزل.

ــ أوه. كلا!

صاحت بذلك لوسى، بنبرة مختلفة هذه المرة.

قال لوران بحزم:

ــ أوه. نعم.

وأمسك بذراعها، وقادها بعزم وتصميم ناحية الدرج.

كانت لوسى فى حالة لا تسمح لها بالجدال والنقاش. أما ألونزو فقد كان على النقيض. لقد تبعها طوال الطريق وهما يصعدان الهضبة، وهو يصدر شلالاً من الكلمات باللهجة الكاتالانية فى كل خطوة يخطوها. وكانت لوسى تنصت إليه بصعوبة. لقد علمت ما الذى كان يخبر به لوران: أن هذه هى مرشدة زورق الـ«سان فيليب»، الذى فعل هى أقصى ما يستطيع من المصائب كى يبعدها بعيداً عن الفيلا، ولم يكن يحب أن يرى البتة مجهوده الشاق، يجازى عليه بمثل هذه الطريقة.

لم يعره لوران أى انتباه حتى توقفوا بالقرب من ساحة الدار. ثم التفت، وهو لا يزال يمسك بذراع لوسى بقبضة محكمة، وقال:

ــ لقد قلت لك من قبل أن تتحدث لغة كاستيلان معى. هيا إذهب وسل «خوانا» أن تحضر المناشف للسيدة الصغيرة.

ذهب الونزو. ولقد كان ذلك يمثل راحة لها.

قاد لوران لوسى عبر ساحة الدار والفناء عبر زوجين من الأبواب الزجاجية، إلى غرفة الجلوس. لم يلفت انتباهها هيئة ومنظر الغرفة. كانت هناك أريكة. وبمجرد أن أطلق سراحها ساخت على تلك الأريكة.

تكن تلاحظ ما الذى يفعله لوران حتى جاء ليجثم ويرابض أمامها، وأغلق أصابعها حول ساق الكأس.

كانت هناك رائحة لا تخطأ للبراندى. قال:

ـ اشربى هذا. بدون نقاش.

احدقت لوسى فيه بيأس. لقد كان قريباً جداً منها. واستشعرت دفء أصابعه بأصابعها. ولم تستطع أن تتفادى عينيه.

وهكذا ههنا أصبحت هى، منتفعة فى الماء، جالسة فى الفيلا الخاصة به، وعلى وشك أن تشرب البراندى الذى يشرب منه. ولكن لم تكن قد نسيت أنه رجل البنوك الفرنسى، وأنه كان الرجل الكامن وراء التهديد والوعيد لزورق «سان فيليب».

قالت لوسى:

ـ لا. لا. فى الواقع..

وفكرت فى النهوض على قدميها لتقف، غير أنها لم تستطع أن تفعل ذلك بدون ملامسته، وأردفت:

ـ ليس ثمة حاجة إلى ذلك مطلقاً. إننى أسبح فى الميناء هذا كل يوم.

ـ لاشك، أعرف. ولكن أنت الآن تعانين من صدمة. انظر إن يديك ترتعشان.

لقد كان سائل البراندى الكهرمانى فى الكأس يعكس كالمرآة على نحو حقيقى ارتعاش يد وذراع لوسى.

نظرت لوسى إلى الكأس، واقتنعت أنها يجب أن تخلع ذلك القميص الـتى-شورت المبتل. غير أنها لاتستطيع تخيل نفسها وهى تفعل ذلك، بينما لوران يراقبها.

أرشدت يده يدها إلى فمها لتشرب البراندى، فأخذت رشفة منه، نزلت تلك الرشفة من البراندى إلى معدتها كالنار.

ـ حسناً. والآن لقد جاءت «خواناً» بالمناشف.

نهض لوران وقفاً على قدميه. وكانت لوسى تراقبه وهو يعبر الغرفة إلى ممر الباب، حيث ظهرت المرأة القادمة من مينوركا، هى امرأة صغيرة السن، قصيرة، وبدينة، وهى تحمل ملء ذراعيها من المناشف البيضاء.

تحدث إليها بلغة كاستيلان. وكان من الواضحأنه يتحدثها بطلاقة. لقد كان يسألها أن ترى الحمام للوسى..

نهضت لوسى على قدميها. وحملناها ساقاها هذه المرة باتزان. قالت:

ـ انظر. إن هذا كرم منك، غير أنه ليس هناك حاجة إلى ذلك. سوف أجف فى الشمس سريعاً.

ـ كلام فارغ. إن الأمر لايسبب أية متاعب. سوف تريك خوافاً أين تستطيعين أن تستحمى ـ سوف اراك فى ساحة الدار بعد بضعة دقائق.

كان يتصرف بطريقة آمرة واثقة، فأيقنت صوفى من أنه لابد قد اعتاد ممن هم حوله أن ينفذوا مايأمرهم به تماماً. ولم تتخيل نفسها تتحداه وتنجح فى ذلك. وكلما طال وقت مكوثها مرتعشة فى الغرفة، ازدادت إغراء فكرة أخذ حمام دافىء.

ابتعت «خواناً» لقد قادتها المرأة إلى حمام ذى بلاط أبيض صغير. يفترض أنه حمام للضيوف. لقد كان مزوداً بالصابون، والشامبو وحتى الأمشاط. صرعت لوسى الباب مغلقة إياه، بمجرد أن انصرفت «خوانا». وخلعت قميصها الـتى-شيرت، والمايو البكينى، وفتحت المفتاح الخاص بالماء الساخن، لكى تأخذ حمامها.

كانت فيلا لوران مزودة بأعمال سباكة كافية على غير المعتاد وفقاً لما جرت عليه معايير مينوركا. وكان الماء بنساب حاراً دافئاً على الفور. أما الدش فقد كان مضغوطاً ضغطاً عالياً حتى أنه خز ونخس جلدها. توانت لوسى تحت فيض ودفق الماء. لقد كان أكثر الحمامات لذة من تلك التى يمكن أن تتذكرها.

ولم تبدأ فى التفكير جدياً بشأن الموقف إلا حينما كانت تجفف نفسها بجزء من مجموعة المناشف الواسعة التى أحضرتها «خوانا». عندئذ وعلى حين غرة، أخذ ذهنها يعمل بفعالية وسلاسة، واح يدبر الأمر على وجوهه بسرعة أكبر فأكبر.

ماذا قالت لـلوران فى بار السيد «مال»؟ لقد كان أمراً هاماً أن

Scanné avec CamScanner

تتذكر على نحو تام ومضبوط ماذا قالت. لقد صنعت مزحة من حادث الزورق الضخم، واعترفت أمام نفسها بذلك. ولكنه لابد وأن يكون قد تحقق من أنه الونزو هو الذى طارد زورق «سان فيليب» ولابد أن يكون هو الذى أصدر الأوامر لـ ألونزو بأن يفعل ذلك. وما الذى قاله فى البار، حينما سردت هى القصة؟ لم يكن بوسعها أن تتذكر شيئاً، ما عدا حقيقة واحدة وهى وجوب أن تنسى الأمر. هل أن تتناسى الأمر بشىء طيب؟ أن تنسى أن زورق الـ«سان فيليب» كان على شفير الهاوية والخطر المحدق من جراء الزورق الضخم، أن تنسى وعيد ألونزو لها على الرصيف؟ حسناً، لقد كان ذلك شروعاً فى القتل، ولم يكن برغم ذلك بالأمر الذى ينسى، تماماً بتمام.

كان خوان يعتقد ويؤمن بكل ذلك، إذ أن صوتاً فى رأسها كان يخبرها بذلك. والأمر سيان أيضا لدى صوفى، وآنا، وچايم.

لا عجب ولا عزو أن يكون قد أصيب بالقلق والانزعاج، حينما سألته فانيسا عن موقع قبلته. وقالت لوسى فى نفسها حتى أنا اعتقدت أنه هو الذى كان يوجه عجلة قيادة الزورق الضخم. حسناً، إنه لم يكن لوران ـ وإنى أؤمن بذلك ـ غير أنه كان وراء الأمر كله، لا شك فى ذلك.

والآن هى بصدد مواجهته على نحو مختلف عن ذى قبل، إذ هى مدينة له بكأس من البراندى وعشرات الغالونات من المياه الساخنة، بصرف النظر عن كومة المناشف، وهى بعد لا ترتدى شيئاً سوى المايو البكينى المخضل الذى كان ملقى على أرضية الحمام.

التقطته إليها. إنه مايو بكينى أصفر صغير جداً. كانت ترتديه طوال فصل الصيف، وكانت تؤمن بأنه محترم ومحتشم بما فيه الكفاية ـ بل أكثر من أن يكون محتشماً، حيث أن الكثيرات من النساء يتجولن حولها عاريات الصدر. وعند النظر إليه الآن، بدا كما لو كان شيئاً واهياً ضعيفاً لا قيمة له. فهو رطب، وذلك أمر جلى لا لبس فيه. تفحصت هيئتها فى المرآة عقب ارتدائها السوتيان، وتمعنت فى جمال قوامها.

وماذا بعد؟ راحت لوسى تحادث نفسها. إن بدنها لم يكن بالشىء الذى تخجل منه. بل على العكس، إنها خليقة بأن تكون فخورة به: لقد كان ذا بشرة ناعمة، ليناً، رخواً، وبضاً، وتميزت تموجاته وتعاريجه ومنحنياته بأنها أنثوية خالصة لا تخطئها العين. وإذا ما اقتنع لوران بأن جسدها فاتن، يتعين عليها إذ ذاك أن تستخدمه كسلاح جنده.

وفيما عدا ذلك، لم ترغب فى منازلته، والشجار معه، لقد كان ذلك هو الشىء المخيف، إيمانها بأنه جذاب، ومحبوب. والآن لقد علمت بأنه هو الذى كلف ألونزو، وأنه هو المسئول عن مشكلة مطاردة زوارق السياحة.

نظرت حولها باحثة عن القميص الـتى ـ شيرت على الأرضية. كلا، إنها لن تستطيع ارتداء ذلك القميص على جسدها قبل أن يجف. إذ طالما أنه رطب ندى، فلن يجدى فى تغطيتها بأى سبيل كان ثمة روب حمام للتجفيف معلقاً على الباب، غير أنها لم تحبذ فكرة ارتدائه. إذ سيتعين عليها أن تخلعه مرة ثانية قبل أن تغادر الڤيلا، وكل ما عندها الآن هو فكرة مبهمة قوامها احتياجها إلى الإنصراف سريعاً، إذا ما آلت الأمور إلى الخطر.

الخطر؟ أجل، إنها تؤمن بذلك، وتتوقع منها الشر، لقد تذكرت تصرفات الونزو العدوانية على الرصيف. كلا، إنها لن يؤذيها بكل تأكيد، ههنا مشطت شعرها بسرعة، وهى بعد مركة بأنها قد استغرقت وقتاً مرعباً طويلاً، فى حمامها وخرجت من الحمام تبحث عن لوران.

Scanné avec CamScanner

الفصل الثالث

كانت الفيلا كبيرة جداً. أوسع مما كانت تبدو عليه من الميناء. وهى كذا ليست مصممة على ثلاثة مستويات كما زعمت «آنا»، ولكنها كانت مصممة على أكثر من نصف دستة من المستويات، وربما أقل. تجولت لوسى عبر سلسلة الغرف المتصلة التى بدت وكأنها لا نهاية لها: كل غرفة على مبعدة خطوات قليلة من التالية. وأخيراً تحققت من أن الممر الذى كانت تمشى بطوله، كان يقودها مباشرة إلى خارج المنزل، وأنها كان يعوزها اختراق إحدى الحجرات من أجل الوصول إلى ساحة الدار.

فتحت الباب، وعرجت موجة إلى إحدى غرف النوم ــ غرفة غير مستعملة، أشكرك يا إلهى، يالها من بهجة المنظر. هل يعيش لوران وحيداً بمفرده؟ لم تستطع تحاس التساؤلات والتعجب. إن الحائط المقابل مصنوع من الزجاج الخالص، ويحتوى على باب ذى مزلاق داخل فى الزجاج، وكان للغرف نافذة تطل على ساحة الدار، تلك التى كانت تبحث عنها.

أما الباب، فقد كان منغلقاً، حينما حاولت أن تجربه، فأخذت تخطو بحذر إلى الخارج. وكان الفناء على مبعدة خطوات وجيزة من تحتها،

بمستوى الغرف الواطئة.

لقد كان فناء جميلاً، مرصوفاً بأحجار كالبلاط، مزدافاً بأشجار البرتقال فى بقع متوالية. أما المظلات فقد وفرت الظلال حول الأطراف والحواف. وأما عرصة الفناء فقد كانت شاسعة تحتوى على حوض سباحة مستطيل الشكل، ظهر نظيفاً للغاية ذا لون أزرق بديع فى ضوء الشمس.

أنها لا ترى أى أثر للوران، ولذلك فقد قامت بقطع عدة خطوات قلائل أكثر نحو الأمام. وعلى الجانب المقابل، رأت الآن، ثمة منضدة بيضاء، وأربعة كراسى خشبية مطلية باللون الأبيض.

كان اثنان من الكرسى، قد دفعا نحو الوراء، أما الآخران فقد جذبا بالقرب من المنضدة، وكانت على المنضدة كل أطباق الطعام الخاصة بغذاء شخصين.

هل كان ذلك للوران وزوجته؟ راحت لوسى تتعجب متسائلة. هل كان للفتاة المحبوبة لديه؟ لقد جاء إلى بار السيد «مال» وحيداً بمفرده، بيد أنه لم يعرب عن أى شىء يؤكد أنه كان يعيش وحيداً على الجزيرة.

فشرعت تذكر نفسها بأن ذلك الأمر لا يعنيها. اللهم إلا إذا كانت ثمة امرأة فى الفيلا ــ تكون أكثر جمالاً من «خوانا» ــ إذ ذاك يكون بمقدورها أن تستعير بعض الملابس الجافة، فلا تكون مكرهة على أن تجوس وتطوف حولها وهى ترتدى المايو البكينى الأصفر المبتل الذى يظهر ويكشف ويغشى ماتحته.

عبرت الطريق نحو المنضدة. ورأت حينذاك أن الأبواب الزجاجية وراءها تقود إلى الغرفة التى أخذها إليها لوران أول مرة.

دلجت نحو الداخل. كان سقف الغرفة واطئاً، كما هى الحال فى الفيلات بعض الأحايين، مطلية باللون الأبيض، ومفروشة بأثاث جميل وغال. وكانت هناك الأريكة التى جلست عليها سلفاً، وجلد بنى لأحد الحيوانات، وكرسيان مزدوجان، وكانت تتوسط ذلك منضدة رخامية، ودواليب منخفضة بطول أحد الحوائط ــ وعليها المصفق: إناء صب الخمر

Scanné avec CamScanner

والشراب، ولا تزال أحد الكؤوس المهملة ملقاة على قمة أحدها ــ لوحات زيتية فنية حديثة براقة وباهرة معلقة على الحوائط. قالت فى نفسها إنها لغرف أنيقة للغاية ولكنها لا تصلح للمعيشة على الإطلاق. إذ ليس ثمة كتب، ولا تسجيلات، ولا صور فوتوغرافية... ولا شىء يخبرها بالنذر اليسير عن شخصية لوران.

على أية حال، لم ترد أن تعلم أى شىء شخص عنه، وراحت توبخ نفسها بشأن ذلك. إنه ليس إلا غريباً أجنبياً، وكما تبدو الأمور، هو ليس شخصاً ساراً مسلياً. وكل ما كانت تبتغيه هو اكتشاف لماذا أمر ألونزو بإبعاد الزورق، وأن تأخذ الضمانات بألا يفعلها ذلك فى المستقبل.

وتلك الضوضاء البسيطة التى حدثت على الأرضية الرخامية جعلتها تلتفت برشاقة، ورأته قد أتى عبر الأبواب وراءها.

وقفت هناك لحظة، تنظر فحسب إليه. لقد كان لا يزال مرتدياً البنطلون الشورت القصير. وظهر كلاهما وكأنها يشبهان بعضهما، غير أنهما كانا قد تجففا، فهو قد غير الشورت الندى بآخر جاف، عندما كانت لوسى تأخذ الدش. أما سائر وباقى جسمه فقد بدا طويلاً جداً، وبنياً جداً. وكان طوله يقارب على الأقل ستة أقدام، إلا أنه كان ممشوقاً يحمل ثقل جسمه برشاقة: وليس ثمة شىء يدل على هزال أو ضمور جسمه. وكان يبدو وسيماً فى البنطلون الشورت القصير كما كان عليه حاله وهو يرتدى كامل حلته وملابسه فى بار السيد «مال» بل، أبهى وأجمل.

وبينما كانت تحدق فيه، علمت وتحققت فى وقت متأخر، من أنه كان يقيم جمالها محلية. وتلك كانت فكرة تسعدها. ليس لأنه لا يستطيع أن يرى أكثر مما يراه أى فرد آخر يراقبها وهى تسبح فى العراء، أو تأخذ حمام الشمس، ولكن لأنه كان ثمة شىء جميل متعلق بكونها متواجدة معه فى الڤيلا الخاصة به، بينما ترتدى لا شىء سوى المايو البكينى.

حاولت أن تفكر فى شىء تقوله. مثل شكراً على الحمام وإلى اللقاء. ولكن قبل أن تلتقط الكلمات، قال:

ــ آسف. ليس لدى مجفف للشعر هنا. ولكنى سأسأل «خوانا» إذا كان لديها مجفف، إذا أردت ذلك.

أسدلت لوسى شعرها ملوحة به إلى الخلف، وهى بعد تعلم أنه بمثابة كتلة من الشعر المبتل الرطب، صاحت قائلة:

ــ أوه. كلا. ليس ذلك ضرورياً. سوف أجف سريعاً فى الشمس.

ــ إذن يتعين علينا أن نخرج إلى الشمس الآن. فأنت سوف تنضمين معى إلى طعام الغذاء، أليس كذلك؟

ما دامت ليس ثمة محبوبة، ولا زوجة. فإن المكان الثانى، كان مخصصاً لها بلا ريب.

قالت:

ــ لا حاجة بى إلى ذلك فى الواقع.

وهى تحاول أن تقمع شهيتها للطعام التى استشعرتها عند العرض.

وأضافت لوسى قائلة:

ــ عندى بعض الساندويتشات فى القارب الصغير.

ــ وسمكة. اعتقد فى اعطائها لـ«خوانا» كى تطهيها لك، ولكن..

ــ ولكنها صغيرة جداً وللغاية.

قالت ذلك لوسى وهى تضحك. وضحك لوران أيضاً. يالها من ضحكة لطيفة. كم كانت تصرفاتى حمقاء، قالت ذلك لوسى فى نفسها، حينما ظنت أنه غول. ربما كان هناك تبرير بسيط لما تصرف به ألونزو.

ــ ربما أستطعت الإمساك بثلاث أو أربع سمكات، إذا لم تكونى قد اصطدمت بـ«سانت كاترينا»

ربما كانت قد فعلت. وبطريقة اللف والدوران، افترضت لوسى أنه كان ذلك بسبب خطأ لوران. على الأقل كان ذلك اقتراحاً منه، كى يقنعها بالبقاء. ترددت لوسى، بينما واصل هو حديثه، قال:

Scanné avec CamScanner

ـ من فضلك، لقد كانت أتناول طعام غذائى وحيداً بمفردى منذ أن وصلت، وسوف تكون متعة فى أن أصاحبك.

أحدقت فى ساعتها. لقد كانت تشير إلى الواحدة. كان ثمة وقت كاف وأكثر من ذلك، للعودة أدراجها إلى خوان قبل وصول الركاب إلى زورق «سان فيليب» من أجل رحلة الظهيرة؛ كان هناك الوقت الكافى لتناول الغذاء مع لوران. إنه لأمر ظريف أن تتناول الغذاء مع لوران.

ـ إذا كنت توقن بذلك، فلا ضير ولا بأس.

ـ كلا البتة. إن الغذاء ينتظرنا نحن الاثنين.

وقادها إلى الخارج، غير المنضدة. كان طعام الغذاء بسيطاً ولكنه كان معداً إعداداً جميلاً، بأسلوب فرنسى وبأكثر مما يكون على الطريقة المينوركا ـ كانت ثمة بطاطس وطماطم مبشورة مختلطة بالزيت والليمون، والصلصلة الخفيفة، ولحم فخذ الخنزير، وطبق من الزيتون الأسود، والخس النضر، ونبات الهندبا البرية، وقد خلطا معاً، وجبن الكمبر، وقطعة ضخمة من الجبن المحلى.

شعرت لوسى فجأه بأنها أكثر جوعاً مما كانت تظن.

كان هناك خمر أيضاً. جذب لوران زجاجة من إناء الثلج، وصب كأسين لكليهما. ورفع كأسه أمام كأسها، وقال:

ـ فلنشرب نخب الصدامات التى خلقت تلك الفرصة.

لم يكن الصدامات فحسب هى التى خلقت تلك الفرصة، راحت تتدبر ذلك لوسى، وهى بعد تشعر بالاثم واقتراف الذنب، عندما رفعت كأسها إلى كأسه، ورشفت من الخمر. بعد كل ذلك، وعلى أية حال فهى جاءت عبر الميناء تبحث عن صاحب العمل الذى يشتغل لحسابه ألونزو؛ وكل ما هنالك أنها لم تكن تعلم أنه لوران هو صاحب العمل الذى كانت تبحث عنه.

وكان بوسعها أن تسأله عن ذلك، ولكن هى فضلت أن تتناول الطعام

أولاً. إذ أنه من الآداب أن تأكل أولاً، كما أنها لم ترغب فى أن تكون وقحة معه للمرة الثانية، وليس بعد سلوكها الفظ معه على الرصيف. لم يكن يعلم لوران، بعد كل ذلك، أن لها الحق فى أن تكون متخوفة من ألونزو؛ وربما وجد أن رد فعلها على إنقاذه لها كان غير مفهوم كلية.

وبدأ وكأنه لايحمل أية أحقاد أو ضغائن. وبدا كما لو كان مثالاً ونموذجاً للسحر والفتنة وهو يعاونها فى تقديم جزء من السلاطة. وكان طعمها مستساغاً طيباً كما كان يوحى شكلها بذلك.

وأخيراً، جلست لوسى فى كرسيها، مشبعة على نحو سار. ومد لوران يده ليمسك بزجاجة من زجاجات الخمر، وبدا كما لو كان يصب كأساً آخر.

ـ أوه، لا. إن ذلك هو ثالث كأس، تشربه بعد البراندى. إن لديها أعمالاً يجب أن تنجزها بعد الظهر، وقبل ذلك يجب عليها أن تسأل لوران بعض الأسئلة المزعجة.

مدت أحد يديها إلى الكأس الخاص بها، ونظرت نظرة مشوبة بالحذر تجاهه. ولم تكن توقن بأنها كانت تتطلع إلى شىء فى وجهه، ربما يشى إلى لوسى بأنه يضمر ويخفى شيئاً ما عنها.

لم يكن ثمة شىء متواجداً. إذ ظهرت انبساطات وجهه فى ضوء النهار أكثر نعومة مما كانت عليه فى ظلال البار، إلا أنه كانت بعض ملامحه حازمة حاسمة آمرة، فى آن واحد. فلابد أن يكون رجلاً ذا أمر ونهى وفصل فى الأمور، وقد اقتنعت لوسى بذلك؛ كما آمنت به من ذى قبل، وعلمت أنه اعتاد على أن يأمر فيطاع.

لم يكن يبتسم، بيد أن الخطوط الضئيلة المحيطة بفمه ذكرتها بابتسامه التى كان قد عبّر بها سلفاً. وهى لم تقف على سمات قسوة وجلف فى وجهه لقد كان رمزاً لطبيعته المفكرة المتدبرة، ومعبراً عن منحة وأثر حسى، إلا أنه خلو من الوحشية والشرور كما أنه فضلاً عن ذلك لم يظهر وكأنه ذلك النوع من الرجال الذين يأمرون اتباعهم الأمناء الموثوقين

Scanné avec CamScanner

لمطاردة الزوارق السياحية.

غير أنه ليس من شك إلى ذلك، وإلى حقيقة أن زورق الـ«سانتا كاتيرينا» هو الذى طاردهم وزورقهم الـ«سان فيليب»، وكذا مطاردة الزورق الأزرق الخاص بچايم وآنا. إنه إذن ألونزو الذى حادثها على انفراد فى كالاكورب، وإذا كان لوران لم يعلم شيئاً عن تصرفات ألونزو المباشرة، فأنه يقيناً علم موضوع الـ«سانت كاتيرينا» لأنها أخبرته وحادثه عنه بنفسها.

التفت، والتقت عيناه بعينيها، قال:

ــ أنا أعرف ما الذى يدور بخلدك.

تمتمت لوسى بصوت خافت، قائلة:

ــ أو تعرف؟

ــ أنت تعتقدين أننى لابد كنت أعلم فى تلك الأمسية التى التقيناها فى البار، بأنه ألونزو هو الذى سبب المتاعب «لسان فيليب» الزورق.

راحت لوسى تتدبر كيف تجيب على ذلك التساؤل. ولم تصل إلى نتيجة حينما استمر لوران مطرداً، وأضاف.

ــ وبطبيعة الحال، أنت على حق جزئياً، وإلى حد ما. وعندما ذكرت الزورق الأبيض العملاق، لم أعجب وأتحير عما إذا كان هو زورق الـسانت كاتيرينا أم لا، غير أنه لم يكن لدى حجة أو سبب منطقى كى يجعلنى أوقن بذلك، وشعرت بأنه ليس ثمة ما يمكننى قوله. وكان طبيعياً أننى حينما عدت إلى البيت، قمت بعمل التحريات ولما اكتشفت أن ألونزو هو المسئول عن تلك التجربة المؤلمة التى تعرضت لها، أمرته من فورى بأن يكون حذراً حتى لا يتسبب فى إحدى التوقفات والمقاطعات ثانية للزوارق السياحية. قالت لوسى بتأن:

ــ هل تعنى بذلك أنك أنت الذى أمرته أصلاً بذلك؟

صاح لوران:

ــ بأن يطارد الزوارق السياحية مستخدماً زوارق الـسانت كاتيرينا؟ كلا، بطبيعة الحال، لا. لقد علم ألونزو أننى قلق بشأن تحسين الأمن ههنا، ولكن لم يكن لدى أبداً مطلقاً أية فكرة فى أنه قد اختار ذلك النهج فى تنفيذ تعليماتى فأنا بالتأكيد لم أقصد شيئاً من هذا القبيل.

ــ ولذلك أنت لا تعرف شيئاً مما دار بالأمس؟

أقطب لوران جبينه عابساً، وصرح:

ــ بالأمس؟ لقد كان يوم الأربعاء حينما تقابلنا. ولقد حادثت ألونزو أول ما رأيته صباح أمس.

ــ حسناً، بغض البصر عما أمرته به، لقد أنطلق من فوره يقود الـسانت كاتيرينا حول كالاكورب.

وأخذت لوسى تشرح ببلاغة وبراعة كيف أن ألونزو قد اقترب منها على الرصيف وخاطبها مهدداً. وأنصت لوران فى صمت. لقد رأت شفتيه وهى تستدق وتحكم بالغلق، بينما عيناه تضيقان. وعندما انتهت من سردها، قال:

ــ لكن هذا أمر شائن وبشع.

ثم نهض مقاطعاً، دافعاً مقعدة إلى الوراء على أحجار الرصيف اللوحية. وصاح:

ــ لا يمكننى الاعتذار إليك بما فيه الكفاية. يجب عليك أن تقدرى أن ألونزو عضو جديد جداً بين العاملين عندى، وأنه قد جاءنى بتوصيته تزكيه بامتياز. صدقينى، ليس عندى أية فكرة فى أنه قد تصرف بمثل تلك الطريقة المستهجنة. دعينى أستدعيه فوراً، وأجعله يعتذر لك، بنفسه.

صرخت لوسى تلقائياً قائلة:

ــ لا!

كان لوران قد شرع إلى أمام بخطوة واحدة. ثم تجمد، واستدار إلى الخلف ناحيتها، وقال:

ــ ألا ترغبين فى ذلك؟

Scanné avec CamScanner

ما الذى كانت تبتغيه؟ إن لوسى لم تكن واثقة بأمانة.

وقد استراحت لما عرفت أن لوران يجهل الأمر على نحو واضح، واختلط ذلك فى ذهنها بإعراض حاد عن مواجهة ألونزو مرة ثانية. قالت بصراحة:

ــ حقاً. أفضل كثيراً عدم رؤيته.

ــ أنا إذن سوف أتكلم معه فور انصرافك. ومن فضلك تأكدى أنه لن تكون هناك فى المستقبل البتة أية حوادث من هذا القبيل.

قالت لوسى:

ــ شكراً لك.

وعلمت أنها يجب أن تنصرف. يا للسماء، لقد بلغت الساعة الثانية ظهراً. قفزت واثبة على قدميها، وأردفت:

ــ انظر، يتعين على الانصراف الآن، وإلا لتأخرت فى العودة أدراجى إلى الخليج الصغير. وأنا أشكرك على الغداء، و..

قال لوران:

ــ عفواً، دعينى أصطحبك وأوصلك إلى الرصيف.

أمسك بذراعيها وهو يرشدها عبر الدرج هابطين أدناه، وهو الدرج الذى يقود من ساحة فناء الدار نحو الأسفل إلى جانب الميناء. لقد كان شعوراً طيباً، احساسها بلمسة أصابعه عبر بشرتها العارية. لم تستطع لوسى مقاومة إدراكها بأن الونزو كان فى مكان ما وراءهما فى الڤيلا؛ وكان يسعدها أنها لن تراه مرة ثانية. قال لوران: ــ أوه:

ــ أوه. عود الصيد الخاص بك. كدت أنساه. لقد أمرت ألونزو بأن يسترجع الأجزاء بينما كنت أنت تأخذين الحمام، ولكن يؤسفنى القول بأنه لم يعد يرجى منه اصلاح. وبطبيعة الحال سوف استبدله بآخر لك. فهل تأذنين لى بأن أحضر البديل لك فى كالا كورب غداً عند الظهيرة؟.

كان ذلك بمثابة عرض كريم. شعرت لوسى أنها ربما وجب عليها أن ترفضه. ولكنها لا تستطيع فى الواقع أن تتحمل تكلفة شراء عود جديد

بنفسها أجرها الضئيل، وكذا لم تستطيع مقاومة التفكير فى أنه خطأ ألونزو الذى تسبب فى كسر العود الأصلى.

على أية حال كان ذلك يعنى أنها سوف ترى لوران ثانية فى اليوم التالى، فأحبت التفكير فى ذلك. قالت لوسى:

ــ ذلك كرم وعطف منك. أنا عموماً أتواجد فى الخليج على أوقات الغذاء وحتى يشرع الزورق فى الإبحار.

ــ سوف أتطلع إلى رؤيتك حتى ذلك الحين.

مد يده ليجذب قارب «الصوفى» مقرباً إياه أكثر فأكثر من الرصيف، وأمسك بالمؤخرة مثبتاً إياها عندما قفزت على ظهره، ثم عاونها فى الانطلاق مبحرة به. التفتت إلى الخلف لتنظر إلى الرصيف، عندما كانت على بعد خمسين ياردة تقريباً، فى عرض الميناء، فرأت أنه لا يزال واقفاً هناك، يحدق فى أعقابها.

لم يكن ثمة وقت فائض أمام لوسى حينما وصلت إلى كالا كورب من أجل إعداد زورق السان فيليب لرحلة الظهيرة، قبل وصول الركاب الأوائل. ولم يكن بالتأكيد أمامها الوقت لكى تشرح لـ خوان بالضبط ما الذى كانت تفعله ذلك الصباح، ولم يسأل هو أية أسئلة، أو يذكر شيئاً عن العود المفقود ــ لقد كان قميص الـ تى-شيرت الخاص بلوسى مفقوداً أيضاً ــ ولعلها علمت أنها قد نبذته فى ڤيلا لوران ــ بيد أنها وجدت قميصاً احتياطياً فى أحد خزائن سان فيليب، فارتدته على مايوه البكينى الذى كانت تلبسه.

ساورتها الرغبة فى أن تقول شيئاً بشأن لوران، وداعتها الرغبة فى ذلك، خصوصاً وأنه قادم إلى كالا كورب فى اليوم التالى حاملاً قميصها الـ تى-شيرت، وعود صيد أسماك جديد. ولكن هل يجب عليها أن تخبر «خوان» بأنه كان وراء أفعال ألونزو؟ وفى النهاية، قررت ألا تفعل ذلك. إن خوان قد أوشك على تناسى الحوادث هذه من قبل، وكان يرضى لوسى الآن أن تلك لن تتكرر فى المستقبل.

Scanné avec CamScanner

على الرغم من أن ذلك لن يبرر بالضبط سبب وقوع تلك الحوادث، وراحت تفكر بقلق، لماذا حدثت هذه أصلاً فى المقام الأول. إن السيد لوران قال إن السبب هو تحسين الأمن المفروض على الڤيلا غير أن ذلك أمر شاذ غريب على التصديق.

إن جزيرة مينوركا لا تعانى من مشكلات اجرامية خطيرة، وهى بعد تتشكك فى ما إذا كانت الڤيلات التى تشبه ڤيلا لوران تمثل هدفاً أولياً للصوص، على أية حال. إن الڤيلا تمثل بيناً خاصاً بتمضية الأجازات: هى مفروشة بأثاث حديث وجيد، ولكن بدون تحف غالية القيمة. وهو لا ينتظر له أن يبقى كميات كبيرة من الماء والمجوهرات هناك، بكل تأكيد؛ وليس هناك أشياء تستحق أن تسرقه. إن استخدام كلب حراسة، ربما كان معقولاً كإجراء للأمن ــ أما فرض حملة شاملة ضد الزوارق فى الميناء، فهو أمر عسير على الإدراك؟

إن تلك ليست مشكلتها، أخذت لوسى تخاطب نفسها بذلك فى حزم إن لوران ليس رجلها أو زوجها. إنه رجل جذاب فاتن للغاية، وهى تعترف بذلك، غير أنها كانت تقنع نفسها طوال فصل الصيف بأنها غير مهتمة بإقامة قصص وعلاقات غرامية عاطفية فى الأجازات. وأضافت بأنه لم يبد لوران ــ وقد أصابها الأحباط برغم حسن قراراتها ــ لها أية بوادر لكى تعتقد فى أنه كان مهتماً بإقامة علاقة أكثر قرباً وغراماً بها.

كان يوم السبت يوماً آخر حاراً للغاية. أما الماء فى الميناء فقد كان راكداً ومسطحاً، وبدا الهواء متشبثاً وملتصقاً بها حينما كانت تجفف زورق سان فيليب. كانت رحلة الميناء على وشك الإزدحام ثانية، ولما حانت الساعة الثانية، كانا قد باعا آخر التذاكر. أخذت صوفى تعد الكؤوس البلاستيكية المنتيلة وهى تضعها فى خزانة المشروبات، وقد تأكدت من أنه هناك العدد الكافى أمام جميع الركاب. وكلما مر يوم، كلما تناقص عدد الكؤوس ــ إذ أن بعض القوم قد كسروا منها شطراً، والبعض الآخر قد قذف بها فى غباء بعيداً.

إنها يعوزهما امداد جديد منها. كما أن لديها آخر زجاجة من خمر «الجن» المسكر، كذلك؛ ويتعين على خوان أن يذود معمل التقطير فى اليوم التالى، قالت ذلك فى نفسها، كى يجمع كتلة أخرى من العينات.

ظهر لوران فى الساعة الثانية والنصف. وكانت لوسى آنذاك تلزم أحد عينها بالحفاظ مفتوحة باحثة عن وصول زوارق الدسانتا كاتيرينا.

ولكنه فى الواقع لم يأت على ظهر الزورق: لقد جاء ماشياً على الطريق الخرسانى الذى كان يصل بين الطريق العالى والرصيف، وهى لم تره حتى ناداها هو.

كان يرتدى بنطلون الشورت القصير وقميص النصف كم، ذى الخيوط المقلمة باللون الأزرق، ولم يبدُو هو وسيماً فحسب، بل بدا أيضاً منتعشاً ومسترخياً، لا عزو ولا عجيب أن يكون قد صعد إلى ظهر الزورق بحثاً عنها، ظنت ذلك بأسى، إذ أنه فى المناسبتين السالفتين عندما رآها، كانت ترتدى حلة خضراء زاهية وقميص الـتى- شيرت الندى المشبع بالماء، وعلمت فى هذه المرة، أنها كانت قد لاقت تحذيراً من أن تقابله وهى ترتدى الملابس الرثة الخاصة بالعمل وهى تغسل بالخرطوم أسفل مقاعد زورق الدسان فيليب.

دفعت شعرها بعيداً عن عينيها، وشقت طريقها نحو المؤخرة. قالت بلطف:

ــ هل ترغب فى أن أبيع لك أحدى التذاكر. لقد نفذت جميع التذاكر هذه الظهيرة، ولكن هناك أماكن شاغرة فى الرحلة الغامضة غداً عند الصباح.

ابتسم لوران، وقال:

ــ كى أكون أميناً، لم أفكر حتى فى هذا الموضوع. أنت على حق، وبرغم ذلك، ينبغى على أن آتى معك ذات مرة. أنا لم أر معظم معالم الجزيرة.

تشأ لوسى أن تضغط عليه، طالما أن الأمر بدا مجاملة مهذبة منه.

Scanné avec CamScanner

وقالت متسائلة:

ـ كم لبثت من الزمن على هذه الجزيرة؟

اختفت الابتسامة. يالسماء، إنه رجل حساس للغاية! ولم يكن الأمر كذلك حينما أمطرته بالأسئلة الشخصية فى أى من لقائيها السالفين، بل حتى هذه الهنة الصغيرة من الفضول الودى قد أثارت أعصابه وأغضبته.

قال على نحو غامض.

ـ منذ أسبوع أو أسبوعين. لقد أحضرت لك عود الصيد الجديد. إنه فى سيارتى. هل لديك مكان ما لكى تتركيه فيه أثناء الرحلة؟

ـ فى كوخ خوان، هناك.

ـ سوف أذهب وأحصل عليه، إذن.

حسبك. سوف آتى معك.

ـ هل بمقدورك أن تغادرى الزورق؟

ـ سوف يراقبه خوان. إنه هناك فى ايللا بلانا.

ألمحت إلى المناضد خارج بار الكهف، حيث كان خوان يتسكع مع مجموعة من أصدقائه. كان خوان يراقب لوسى نصف مراقبة؛ فرفع أحد يديه دليلاً على موافقته. وضعت اقدامها ووطئت جانب الزورق، واستعدت للوثوب منه، وأمد لوران يده ليتلقاها. ولم يرسلها حينما كانت تقف على الرصيف التالى له.

ومضياً يتشمبان وقد تشابكت يديهما مصاعدين الطريق، حيث كان يركن سيارته: سيارة رينو زرقاء داكنة، وهى سيارة محترمة، إلا أنها غير مهيبة.

فتح الباب، وأحضر عود الصيد منها. لقد كان أفضل الآخر الذى انكسر. ورأت لوسى من فورها، أنه جيد ولدن ومطواع. ذو عجلة قصور ذاتى سلسة الدوران، بخلاف باقى التجهيزات النحاسية.

قالت لوسى:

ـ إنه لطيف حقاً، خوان سيكون مسروراً به.

ـ لست خبيراً فى أعواد صيد السمك، ولكنهم أخبرونى فى المحل أن هذا عود خفيف جيد ومناسب لصيد الأسماك فى الميناء.

ـ لابد أن يكون كذلك. هل تصيد السمك بنفسك؟.

ـ نادراً مايكون لدى الوقت، وحتى عندما يفترض أن أكون فى أجازة. لقد اشتريت زوجين من أعواد الصيد عندما كنت فى ماهون، برغم ذلك. وآمل أن استخدامها فى المستقبل قبل انتهاء فصل الصيف.

يفترض أنه فى أجازة؟ يالها من طريقة غريبة فى صياغة الكلمات. وبرغم أن ذلك كان حقيقياً، إلا أن لوسى تساءلت:

إن لوران لا يبدو مهتماً بالاستمتاع بالأجازات. وبالمقارنة بمعظم الناس على الجزيرة، كان متوتراً وفى حالة تأهب قصوى. ربما كان ينجز بعضاً من أعماله فى الفيلا، اعتقدت لوسى فى ذلك. وهى لم تحب أن تسأله مباشرة. إن هذا يفسر حاجته إلى الأمن. وربما كذلك تشرح وتفسر سبب عدم رؤيتها له قبل الليلة التى قابلاه فيها عند بار السيد «مال». لقد كان على الجزيرة منذ أسبوع أو أسبوعين، ولكنها لم تره قبل ذلك الحين فى أى من البارات، فى الخليج الصغير بمدينة كارلوس. وحتى على ظهر السفننا كاتيرينا فى الميناء. كان بمقدورها إذن أن تلمحه وتلاحظه فى أى من تلك الأماكن، لا ريب فى ذلك.

تدبرت فى الاقتراح بالصيد معاً ذات مرة، ولكنها قررت ألا تفعل، إذ ربما يبدو الأمر له كما لو كانت تفرض نفسها عليه، وظنت فى ذلك. قالت بدلاً:

ـ إن «خوان» غالباً مايصيد من القارب الصغير «صوفى» وسوف يخرج معك، إن أردت الصحبة، أو ربما استطاع الحصول على زورق أكبر لكى يأخذك معه، إذا كنت تفضل ذلك.

ـ ربما.

أصرت لوسى وقالت:

Scanné avec CamScanner

Scanné avec CamScanner

ـ نعالى وقابله.

وقصدت الخليج الصغير مدبرة. وبعد لحظة تبعها لوران. لقد أيقنت بأنه سوف يدخل سيارته ويقودها منصرفاً، بدلاً من افتقائها وآثارها؛ ولم يرد هو إذن كما هو واضح أن يقابل خوان على وجه الخصوص.. ولكن كان يجب عليه أن يفعل. ألم يستوعب ذلك بعد؟ مهما كان فقدانه للنوايا المستقبلية، لقد أمسك بيدها وهو يمشى معها هابطين الطريق الزلق؛ وكان هذا فحسب، من جانب معايير خوان، يصنع مقدمة ضرورية.

ثم توجها إلى ايللا بلانا، وقف خوان حينما كانا يقتربان، وجذب رفاقه كرسيين لهما معاً.

بدأ خوان حديثه قائلاً:

ـ إنى سعيد برؤياك يا سنيور..

قال لوران بحزم:

ـ اسمى لوران. هل لى أن أطلق عليك خوان؟ لقد قالت لى لوسى الكثير عنك، وعن زورق الـ« سانت فيليب»

لاحظت لوسى أن لوران حذف لقب اسمه عمداً وبعناية.

كما أنه فعل نفس الشىء لدى بار « مال» أيضاً.

نظر خوان إلى العود الخاص بصيد الأسماك بمهارة وفن، وأومأ برأسه دليلاً على الاستحسان. لقد ناقش هو ولوران الصيد عدة دقائق. إن لوران يعرف القليل عن ذلك، ولقد كشف عن جهله بتلك المسألة منذ وقت مبكر للغاية. وكان يتحدث اللغة الكاتالانية. اشترى البيرة لجميع أصدقاء خوان. أما خوان فقد رشق لوسى بنظرة ذات معنى عندما كان لوران يفعل ذلك، كما لو كان يريد أن يقول إن تصرفات لوران لم تحمله على تغيير حكمه ورأيه فيه، إلا أن حكمه عليه كان فى صالحه على أية حال.

إن « خوان» ربما لا يكون مرحباً بمثل تلك السعادة، إذا ما أخبرته لوسى، وتحقق من أنها قد ذهبت بمفردها إلى فيلا لوران. لقد كانت

حريصة على عدم إفشاء ذلك لـ خوان، وصوفى حيث وقعت حادثة عود الصيد. كما أنها لم تذكر فقدانها للقميص الـ تى-شيرت، على الإطلاق. وأحسن هو صنعاً عندما لم يحضر القميص أمام خوان.

وبمجرد أن وضع لوران كأس البيرة، نهضت واقفة، ومعلنة أنها سوف تضع عود الصيد بعيداً، ثم تعود أدراجها إلى زورق الـ سان فيليب. كان أول زبائن يشرعون فى التجمع والاحتشاد على جانب الرصيف.

تبعها لوران صاعداً إلى كوخ « خوان» وضعت العود الجديد بين مجموعة خوان التى تضم وتشمل أعواد صيد أكبر وأغلظ.

قال لوران:

ـ لقد نسيت قميص الـ تى-شيرت الخاص بك.

ـ حسناً، لدى قمصان عديدة.

ـ لقد غسلته وقامت بكيه « خوانا»، ولكننى غادرت الڤيلا تاركاً إياه هناك. سوف أحضره فى المرة القادمة.

تفكرت لوسى فى عبارة المرة القادمة. والتفتت لتنظر إليه كان يقف على مقربة وثبقة منها، فى رقعة الظل الضئيلة التى ألقتها الأبواب الخشبية للكوخ. وكان باستطاعتها أن تشم الرائحة الصنوبرية الباهته الواهية التى كانت تنبعث منه. بدت عيناه داكنتين، وحتى سوداوين فى الظلال.

قال متسائلاً:

ـ هل أنت تعملين فى الأمسيات؟

ـ هزت رأسها، وقالت:

ـ فى أوقات الظهيرة فحسب، على وجه العموم. أحياناً أمكث فى المنزل أرعى أطفال خوان وصوفى ـ التى هى زوجته، وخالتى. وأذهب إلى حانات مدينة كارلوس، من حين لآخر لكى أرقص على موسيقى الديسكو، وأرى صديقاتى فى ماهون، إننى هكذا وكما ترى مشغولة.

ـ هل أنت مشغولة الليلة هذه؟

هذه الليلة،؟ ما عساها كانت تقول؟ أخذت تثرثر بشأن جميع الأشياء

Scanné avec CamScanner

النى تفعلها فى الأمسيات، كما لو كانت طفلة مدرسة عصبية، فى حين أن المسألة كلها، هى أن لوران سألها أن تخرج معه الليلة. وهى كانت ترغب فى الخروج معه لا يهمها خلق علاقة عاطفية أو لا.

ـ لم أقم بعمل أية خطط لتمضية السهرة الليلة.

ـ هل تأذنين لى بأن ألتقطك عند الساعة الثامنة، إذن؟

تدبرت لوسى الأمر، فجأة، هل كان يقصد من وراء ذلك تعويض ما حدث بالأمس؟ هل يعتقد بأنه ينبغى عليه أن يسألنى الخروج معه، لكى يعوض عن متاعب ألونزو التى سببها لى؟ نظرة فى عينيه مرة ثانية. لقد كان ذلك كما لو كانت تمسك ملكاً كهربائياً عالى الفولت، وتلقت صدمة كهربائية صغيرة: تيار حسبت أنه يسرى فى بدنها. لقد كان قريباً جداً منها. كان يجب عليها أن تمد يداً إليه، ليكفى أن تلمسه. قالت وهى بعد تتمتم:

ـ حسناً.

أصدر لوران ابتسامة هادئة، وقال:

ـ يحسن، ويجدر بك أن تخبرنى أين أجدك.

ـ أوه. أجل. هل تعرف فيلا كارلوس؟

وراحت تشرح له أين تقع الفيلا الخاصة بخوان وصوفى.

أكد لوران لها بأنه:

ـ سوف أعثر عليها. أنظرى، ألا يحسن بك الآن أن تعودى أدراجك إلى الزورق.

وقفته لوسى وهو بعد يمضى يستعد لأن يمضى منصرفاً. وكان خوان قد صعد على ظهر الزورق قبلاً، وشرع يباشر العمل مع الركاب.

صاحت مستعجبة:

ـ يا للسماء. لقد رأيت.

تحرك لوران خطوة للأمام، وقال:

ـ سوف أراك فيما بعد.

ووضع يديه على كتفيها. ومست شفتاه جبهتها مساً خفيفاً. ثم شرع يذرع الطريق متبعداً، وكانت لوسى تحدق مشدوهة فى جانب الرصيف المزدحم، وعلى الركاب الذين تجمعوا واقفين فى صف بجوارها اللافتة المجاورة للمرافأ السياحى.

الفصـــل الرابـع

قالت صوفى مندبرة، وهى تضع ملء معلقة أخرى من حساء التفاح المركز فى فم الطفلة كارا:

ــ إذن لوران هذا فرنسى الجنسية؟

ــ أحسن ذلك. غير أنه يتحدث اللغة الانجليزية بطريقة جيدة جداً.

ــ تحسنين؟ هل سألته؟

توردت لوسى، وصاحت:

ــ إنه ليس بالشخص السلس القيادة حتى أسأله المزيد من الأسئلة.

ــ حسنا، إن مثل ذلك ليس بالسر المتعلق بشئون الدولة العليا، ولسوف أسأله أنا بنفس، إن لم تفعلى أنت.

قالت لوسى بتسرع:

ــ أوه. سوف أفعل.

التقطت صوفى القماش، ومسحت به ذقن كارا. وتساءلت:

ــ ماذا تعرفين عنه؟

ــ ليس الكثير. إنه فى أوائل الثلاثينات، أعتقد أذلك. إنه أحد

رجال البنوك، يقوم بتمضية أجازته ههنا فى فصل الصيف. وله فيلا واقعة على الجانب الآخر من ميناء الماهون.

ــ رددت صوفى قائلة:

ــ بتمضية أجازته ههنا فى فصل الصيف؟

ــ عدة أسابيع.

ــ عدة أسابيع؟ إنه رجال البنوك ليسوا عموماً مأثور عنهم واشتهر عنهم أنهم يأخذون أجازات طويلة.

قالت لوسى بهدوء ودعة:

ــ أحسب أنه يقوم بإنجاز بعض العمل بينما هو يعيش ههنا.

ــ تجاهلت صوفى الطفلة كارا لحظة، وركزت جل اهتمامها وانتباها إلى لوسى. وقالت:

ــ أنت لا تعرفين عنه شيئاً، فاعترفى بأمانة، أليس كذلك؟

ــ حسناً، لقد قابلته فحسب!

صرحت بذلك لوسى كما لو كانت تدافع عن نفسها.

ــ هل هو متزوج، مثلاً؟

لم يهتز منظر لوسى البارد، وهو تقول:

ــ بالطبع لا! وإلا لما كان قد دعانى للخروج معه، أليس كذلك.

قالت صوفى:

ــ سليه. انظرى، يا لوسى، أنا أعرف أن بعض الفتيات الإنجليزيات يقمن فى أجازاتهن ههنا بارتكاب كل أنواع المخالفات، ولكنك لست فى أجازة، أنت تعيشين معى أنا وخوان، حسناً؟ وأنا أعرف أنك لن تغضبى إذا ما أمرك خوان بأن يصاحبك حافظ وصاحب. بل يجب عليك أن تفكرى فى شأننا، وكيف تبدو الأشياء التى تفعلينها أمام أعين الناس والقوم الذين نعرفهم.

تنهدت لوسى، وقالت:

ــ سوف أقدم لك تقريراً شاملاً فى الغد يا صوفى.

Scanné avec CamScanner

تأملت لوسى، وحسبت أنها فى الواقع ــ بينما كانت تمشط شعرها قبل أن تضع فيه الدبابيس ــ لا تضيع العمر سدى فى التفكير فى السيد (حوف) البتة. إنها لم تفكر فيه طوال الصيف. لقد انصرم حول من الزمان تقريباً منذ فض الخطوبة، وحتى تلك لم تكن تمثل صدمة لها: لقد علمت لوسى أنها كانا يتباعدان يوماً بعد يوم، منذ أن غادرت البيت والتحقت بالجامعة. وكل ما هنالك أنها لم تلتق بأى شخص منذ ذلك الحين كان قميناً بأن يجذبها هى على نحو خاص.

لقد جذبها لوران، تماماً. ولكن فى نفس الوقت، كان ذلك يمثل علاقة غرامية رومانسية، كانت قد أقسمت قبلاً أن تتجنبها. إن العلاقات والقصص العاطفية فى الأجازات مع الرجل الخطأ، قمنية بأن تكون دنيئة خسيسة.

ــ سوف أتطلع إلى ذلك، وإن غداً لناظره لقريب.

قالت ذلك صوفى بقسوة، ولكنها أعطت للوسى حينذاك ابتسامة عريضة، وأردفت:

ــ إنى سعيدة حقاً، كما تعلمين، يا لوسى، أنك قد وجدت إنساناً ما. وكل ما أحبه لك هو أننى لا أرغب فى أن أراك تضيعين العمر سوى فى التفكير في السيد «حوف». بل يقع على عاتقك أن تكونى سعيدة مقبلة على الحياة. وخصوصاً وأنت فى أجازة على جزيرة مثل هذه.

ــ سوف أفعل.

طمأنتها لوسى. وأحتست فنجان القهوة، وانطلقت إلى حجرتها لتغيير ملابسها.

وكانت هى وفانيسا قد اتفقا ذات يوم ومنذ أسابيع مضت وانصرمت، أثناء دعوة للشراب، على أن العلاقات الغرامية مع الرجل المناسب تؤدى إلى انكسار القلب وحرقة الحب. وبالتالى، لا للعلاقات الغرامية أثناء أجازات نهايات الأسبوع.

ربما يكون الأمر أكثر من علاقة عاطفية عابرة، برغم ذلك. ويتعين عليها أن تستكشف المزيد من المعلومات عنه هذه الليلة، إذا كانت ترغب فى استرضاء وتماشى صوفى وخوان، لعل وعسى أن تنقلب الأمور وتسفر عن فرصة علاقة مستقبلية طويلة المدى تبدأ بالزواج. وهى لا تعلم بعد أين يعيش لوران، إذ ربما لا يكون وطنه فرنسا. وإذا كان وطنه فرنسا ــ ألم تتدبر التفكير فى العمل فى باريس بنفسها، متى ما خرجت من الجامعة؟

وبخت نفسها قائلة لوسى، لوسى. لقد ابتعد بك الخيال. إن كل ما قدمه لك لا يعدو أن يكون موعداً. ويتعين عليك أن تتمتعى به فى حد ذاته. واحتفظى بمشاعرك وقلبك فى مأمن لنفسك، وركزى فى سبر غور ذلك الغموض الذى يكتنف ألونزو. إن القيام بدور المخبرين السريين فى استكشاف الحقائق، لهو متعة ذات كبير أثر من الوقوع فى الحب.

كانت ثمة طرق لطيف على الباب. ليس لوران! لحسن الحظ كانت ماريا الصغيرة هى التى تطرق على الباب، وهى بعد فى حالة من الفضول بشأن استعدادات لوسى. أجلستها لوسى من أجل أن تناولها دبابيس الشعر التى تحتاجها من أجل تسريحة شعرها.

وبمرور الوقت، عندما دق لوران الباب الأمامى، كانت هى على وشك الإنتهاء من زينتها والاستعداد. وقد ارتدت بنطلوناً أبيض وقميصاً حريرياً أخضر، والصاندال الأبيض عالى الكعب، أما شعرها فقد أحسنت تصفيفه، وجعلت الماكياج على وجهها ذا مسحة خفيفة. هل كان هذا هو نوع الزينة التى يعشقها لوران؟ راحت تتساءل وتتعجب، بينما هى تغدق على نفسها بارفان «آرباج» بكرم، ذلك الذى أعارتها إياه صوفى، فى محاولة لكى تسترضيها عن حنقها من جراء التساؤلات والاستجوابات التى ضايقتها بها سابقاً. إنها لم تعرف حتى تلك الأشياء البسيطة. ولما هبطت أدنى الدرج، وجدت لوران فى الغرفة الأمامية، حاملاً كارا، بطريقة مدهشة وسلسلة، بينما يلاطف ضاحكاً الأطفال الآخرين.

Scanné avec CamScanner

كان يرتدى قبصاً سروالاً وقبصاً أبيض ناصع البياض لون القشدة، مفتوحاً عند العنق، أنيقاً فى غير بهرجة، تماماً كما كانت تراه لوسى وهو يرتدى على نفس المنوال من الملابس. أعاد الطفلة إلى صوفى، وأشعث شعر مانويل، وجاء يأخذ بذراع لوسى. قال خوان بصوت أجش فظ، من على كرسيه ذى الذراعين أمام التليفزيون:

ـ عودى قبل منتصف الليل.

ـ أعدك بذلك، يا خوان.

وأرسلت ذراعها طويلاً بما فيه الكفاية لإعطاء الأطفال قبلات المساء، واتبعت لوران أسفل الطريق ناحية السيارة. قال بينما كانا يستقران داخل السيارة الـ« رينو»:

ـ إنهم أطفال ظرفاء.

قالت لوسى ضاحكة من تعبيره:

ـ لقد أخجلنى الفوضى فى المنزل.

ـ لقد كنت أتعجب هل هذه سمة من سمات الحياة العائلية...

ـ كلا، إنها عادة صوفى فى الحياة. أما أمى فإنها تحب النظام والترتيب.

وأخذ يتجاذبان أطراف الحديث عن عائلة لوسى طوال الوقت وحتى بقية الرحلة عبر مدينة كارلوس. قاد لوران السيارة فى خط مستقيم عبر المدينة، عابراً الطريق الساحلى المؤدى إلى الـ« ماهون».

قالت لوسى:

ـ إننا بصدد التوجه إلى ماهون أليس كذلك؟

ـ إذا كان هذا لا يضايقك. لست على يقين من موافقتك على أخذك إلى أحد المطاعم فى مدينة كارلوس.

قالت لوسى ضاحكة:

ـ أنا لست تماماً من الرواد المواظبين المترددين على الكثير منها. أعتقد أننى كنت قد تناولت البنزة مرتين والفطائر فى بعض المطاعم هناك

طول فصل الصيف. أما بالنسبة إلى ماهون، فإنه بمثابة مكان كأية بقعة جديدة بالنسبة لى.

ـ لقد حجزت منضدة مطلة على أحد شواطىء الصيد، غير أننا بمقدورنا أن نبحث حولنا عن مكان آخر إذا فضلت أنت ذلك.

ـ جميل.

كان أمراً جميلاً، خصوصاً وأن صاحب المطعم أرشدهما إلى أفضل منضدة لديه، على حافة المشارف المطلة على الميناء. وكانت أمسية جميلة، ناصعة، صافية، بينما كانت الشمس تغرب واهنة وراء الهضاب والتلال.

وعلى مدار الميناء، كانت أضواء الفيلات واليخوت ساطعة ترسل بأضوائها عليها. مرت أحد زوارق صيد السمك، بعيداً بما فيه الكفاية حتى أن صوت محركه صار غير مسموع به على مسار الرصيف الواقع تحت أولئك القوم الذين يتنزهون فى ماهون يتجولون ويتسامرون فى جلوة الضوء الباهر القادم من البارات والحانات.

تمتم لوران قائلاً:

ـ إنه ميناء جميل، أليس كذلك؟

ـ إنها جزيرة جميلة. أنت محظوظة للغاية أن تعيشى ههنا.

قال لوران موافقاً:

ـ أنا محظوظ لأن أكون ههنا. لكننى لم أرغب أبداً أن أعيش هنا طول العام. ويؤسفنى القول بأننى رجل أحب وأعشق الحياة فى المدن الكبرى، وسرعان ما يستبد بى فقدانى للضجيج والجلبة.

ـ أهى باريس أم لندن؟

ـ باريس.

ـ أما أنا لندنية. إنها حياة حافلة، أليس كذلك؛ السماء الرمادية، المطر، حيث يكفى قضاء أسبوعين فى الشمس، لكى يتطلع المرء لقضاء الصيف كله، وكل صيف. إن صوفى تحسب أن بقية العائلة مجانين

Scanné avec CamScanner

بسبب عدم اتباعهم لها بالمجيء إلى هنا، ولكننى لا أحب أن أعيش هنا بصفة مستديمة، على نفس المقدار. أنا مثلك، أحب ضوضاء وعجيج المدينة الكبرى للغاية، ربما فيه الكفاية لكى يجعلنى أدير ظهرى للجزيرة إلى الأبد.

ظهر آنذاك النادل، حاملاً إناء زجاجات الخمر. صاحت لوسى مستعجبة:

ـ يا للسماء، إنها خدمة سريعة!

كان المطعم مزدحماً، وكان الخدمة على المنوال والطريقة المينوركية ودودة، إلا أنها كانت بطيئة، ولذلك فقد توقعت المزيد من طول الانتظار.

ضحك لوران من دهشتها، وقال شارحاً موضحاً:

ـ لم يحدث أن جئت إلى هنا قبلاً إطلاقاً.. غير أننى سألت أحد جيرانى أين يتعين على أن أصطحبك، فأوصى بهذا المكان. إنه صديق المالك، وهو لابد وأن يكون قد سأله طالباً منه العناية بناء على وجه مخصوص.

ـ أحد جيرانك؟ أهو مالك النادى الليلى؟

عبرت وجه لوران لمحة ومسحة من لمحات العبوس، وقال:

ـ كيف تسنى لك بحق السماء أن تعرفى ذلك؟

شعرت لوسى بدفق الدم فى عروقها الأمر الذى ازعجها. وراح تذكر نفسها بأنها ليست فى حاجة إلى الارتباك، فالأمر ليس تطفلاً على حياة لوران الشخصية، عندما علمت بعض الأشياء عن مالك النادى الليلى. ولم تعرف آنذاك أن ألونزو له علاقة بالوران.

ولم تنوى أن تثير الموضوع بشأن ألونزو حتى تلك اللحظة.

وكان لوران قد شرع لتوه فى فتح الموضوع، وأحست بأنها فى حاجة إلى معرفة الكثير عنه، قبل الإنتقال إلى الموضوع الحساس. حسناً إن

الوقت قد أزف. لقد أخبرته بإيجاز عن كيفية استقصائها للأمور مع «آنا»، وكيف أن مرشدة الزورق الآخر قد سردت عليها هوية من يعيشون فى الڤيلات التى تستخدم الرصيف الخشبى الطويل.

كان عبوس لوران لايزال واضحاً، ويرسم خطين رأسيين فوق حاجبيه. وهو الأمر الذى كرهته لوسى. لم يكن ثمة شىء شرير فيما فعلته، بكل تأكيد؛ لا شىء غريب فيما اكتشفته. وحاولت أن تغير الموضوع، وقالت:

ـ لقد قالت آنا إن جاوك التالى هو كارمين توريس، كما تعرف المطربة؟ هل سبق لك أن قابلتها؟

بدا لوران غير قادر على احتمالها. قال، فى صوت خفيض كثيف:

ـ إذن مرشدات الزوارق يخبرون الركاب عن كل شىء يتعلق بالسكان فى هذه الڤيلات؟

هزت لوسى كتفها هادئة قائلة:

ـ ليس كل مايتعلق بهم. فإذا أتيت على ظهر الزورق فى إحدى الرحلات، سوف تكتشف ذلك. حسناً، ليس من على ظهر زورق سان فيليب، إذ أننى لا أقول حقاً أى شىء بنفس عن سكان الڤيلات. إن «آنا» تعرف معظم المقيمين بأفضل مما أعرفه أنا، بطبيعة الحال، وبالمثل بالنسبة لكثيرات من المرشدات الأخريات القادمات من كاليس فونس، وماهون. غير أنهن يقيناً لا يذكران أى شخص ـ القليل من الناس فحسب هم الذين يسمع عنهم السياح الإنجليز.

وأنت تعلم أن السائحين فى غالبيتهم العظمى ههنا من بين الانجليز. ومعظمهم لم يسمع حتى شيئاً عن كارمين توريس. وليس ثمة سبب يدعو المرشدات لأن يذكروك. فأنت غير ذى شهرة، ألست كذلك؟

كانت تراقب وجه لوران بعناية أثناء تلك الكلمة الطويلة. إنه لم يكن من بين المشاهير، أليس كذلك؟ راحت تتفكر فى ذلك. إنه وسيم الطلعة مثل الكثير من الممثلين، ولكن لسبب ما لم يبد هو واحد من أولئك

المشاهير. أما الممثلون الفلائل ومشاهير التليفزيون الذين قابلتهم أجمعين كانوا يتسمون بوعيهم بالصورة التى تنعكس عليهم، من خلال شهرتهم، ولذا فقد كانوا محط الأنظار وملتقى الأبصار طوال الوقت. أما لوران فقد كان يفتقد إلى سمة وصفة الرضا الذاتى التى تكون إحدى خصائص أولئك المشهورين، بيد أنه كان ثمة شىء غريب فى طباعه، خليط شاذ من الثقة فى النفس المتأصلة، التى يشوبها نوع من العصبية المرهفة. فقد كان تقريباً يستشعر أنه محط الأبصار طيلة الوقت، إلا أنه لم يألف بعد مثل هذا الشعور، مثلما تكون عليه حال الإنسان المشهور من بين الرجال.

لم يجب على سؤالها مباشرة. وبدلاً من ذلك قال:

ــ هل أخبرتك آنا بأى شىء عنى؟

ــ النذى اليسير، أجل. وبالطبع إنها تعرف ما هو أكثر مما تقوله ضمناً بين طيات وثنايا تعليقاتها، لقد قصت على القليل عن ملاك الڤيلات الذين يستخدمون نفس الرصيف كما تفعل أنت. إنها تعتقد أنك قد اشتريت الڤيلا مؤخراً جداً، وأنك فرنسى الجنسية من بين رجال البنوك فى باريس. وهو ما انضحت صحته، أليس كذلك؟

وصدم لوسى الآن، إيمانها بأن ما رددته من معلومات اشتقتها من آنا إلى خوان، وصوفى، ليس بالأمر الذى يجعلها حقاً تستند إلى التيقن من وظيفة لوران. إذ ربما لم يكن أحد رجال البنوك فى حقيقة الأمر. وربما كان غير ذلك تماماً، وهو ما يجعله هكذا يعوزه الاحتفاظ بجنبات حياته الشخصية؟

والآن لقد فاض عليها عدم ثقتها السابقة فيه. لقد كان واجباً ألا توافقه على الخروج معه، وظنت ذلك فى نفسها، وكان لزاماً عليها ألا تحاول استكشاف أسرار غيرها. كان خوان على حق، إذ أن الأمر لن يجدى فتيلاً، وربما كان المآل خطيراً. إن ألونزو رجل خطير، وهى تكاد تقسم بأغلظ الإيمان على ذلك. إن مسرح الحياة فى كالا كورب كان مشوباً بالوعيد والتهديد، ولقد كان أمراً عمداً بكل تأكيد أيضاً، أن

يقلب ألونزو قارب التجديف الصغير «الصوفى» واغراقها فى الماء.

يجوز أن يكون لوران نفسه غير ذى خطر ــ على الأقل، بنفس المنوال والطريقة ــ إلا أنه لم يكن صريحاً. إنه كان لا يخبرها بكل شىء، إذ مكث يستجوبها فحسب طيلة الوقت! قال ارتجالاً:

ــ بالضبط.

وكان لا يزال مشدوهاً، مقطباً جبينه. ولكن لم يكن هناك شىء قيناً بأن يصيبه بالإحباط، فيما خبرته به، أخذت لوسى تتفكر فى تلك الحقيقة، إنها لا ريب أسراره الشخصية تلك التى تضجر منه الفؤاد وتقلقل مضجعه.

جاء المنادل ليأخذ طلبهم، غير أن لوران لوح أمامه مرة ثانية. طالباً منه الابتعاد. وانثنى منحنياً نحو الأمام، واضعاً كوعيه على المنضدة. كانت عيناه تبحثان عن عينيها، إلا أن لوسى حاولت أن تتجنب التحديق فيها.

ــ وبناء عليه إذا ما تقدر أن يأتى أحد ما متسائلاً إلى «آنا» عن.. عن، فلنفرض، عن أحد جيرانى الذى يدير النادى الليلى ــ هل بمقدورها أن تعرف فى أية ڤيلا يعيش هو؟

تغيرت الحالة المزاجية للوسى، ما الذى يهدف إلى الوصول إليه بحق السماء؟ وصرخت قائلة:

ــ أنها لاشك سوف تعرف. إن مينوركا جزيرة ضئيلة، يالوران. وهناك القليل من السكان الذين يشذون الجزيرة كلها بأكثر مما هى الحال فى أى مدينة ذات حجم عادى فى انجلترا أو فرنسا. أما ماهون فما هى إلا مدينة صغيرة. والقوم ههنا ودودون ويتصفون بالفضول، إنهم يحبون القيل والقال والشائعات، ووظيفة «آن» ما هى إلا معرفة أحداث الناس المسلية، من أجل اسعاد الناس الآخرين. إن تلك جزيرة للناسكين الزاهدين. حيث يعرف كل إنسان كل شخص آخر.

إن هذا ليس صحيحاً تماماً بالنسبة إلى «آنا»؛ فالناس مثل

Scanné avec CamScanner

أى «مال» وفانيسيا يعرفون فحسب نفس المقدار من المعرفة الذى تتمتع به هى توجيه الأسئلة. كما أنه ليس ثمة ما يخشاه القوم على الجزيرة ــ إن معدل ارتكاب الجريمة ههنا منخفض. إذ أننى لم أسمع عن أية عمليات سطو خطيرة فى أو حول مدينة ماهون طوال فصل الصيف.

لم يجب عليها لوران. وجلس فى صمت وسكون، فيما يبدو واضحاً وكأنه يفكر ويتدبر ما قالته. إذن هو يعيد لم شتات نفسه، ثم أخذ يتوهج الفؤاد، قال:

ــ أنا آسف لم أقصد أن أسبب الانزعاج لك. هل واتتك فرصة القاء نظرة على قائمة الطعام؟ أم سوف نسأل النادى أن يوصى بأى طعام اليوم؟

استقر الرأى لدى لوسى على أن يكون الأمر الأخير هو المأخوذ له. وهى لم تكن تسعى للحصول على أية تفسيرات، أو أسرار؛ وكل ما كانت تريده هو اعتذار يهيج مرح عما سببه لها من توتر عصبى. وإذ ذاك تحتاج إلى ملء برميل من السحر واليقين لكى تغسل وتزيل أقذار الشكوك تماماً بمثل ما فعل لدى تناول طعام الغذاء فى الڤيلا. وفيما عدا تلك المرة، وقد تعمقت شكوكها وضربت بجذورها فى الأعماق أكثر فأكثر. ولن يكون بمقدوره أن يمسحها ويلقى بها بعيداً عنه، حتى يقدم لها تفسيراً مقبولاً.

إن هذا الأمر لن يضايقه ويتعذر عليه القيام به، كما هو واضح. ولماذا يتعذر عليه؟ فما هى إلا احدى المعارف العابرة ليس أكثر من ذلك، بالنسبة إليه، راحت لوسى تتفكر فى ذلك. وهى ليست أيضاً أكثر من أن تكون رواية عاطفية رومانسية وقعت أحداثها ذات أجازة. إنها لم تتلق منه أية مجاملات، أو أية قبلات. لقد قام بتأدية الواجب حين أخذ يسليها ويبهجها عقب سقوطها من القارب ودخولها الڤيلا الخاصة به، ولم يدعها لتناول العشاء إلا مرة واحدة.. يالها من صفقة كبرى!

وبناء عليه، لسوف تعامله فحسب معاملة سطحية بمثل ما عاملها هو، وتركز على طعام العشاء. وعلى الأقل، بمثل الأمر تسلية، إذ أنها لا تقدر

على مصاريف المطاعة الفاخرة الواقعة على جانب الميناء، بنفسها، وكذلك لا يقدر عليها معظم أصدقاء ڤانيسا، فانهمكت شاغلة نفسها بقائمة الطعام.

وبالمثل فعل لوران. وما أن كلفا النادل باحضار الطلبات، غير الكلام متحدثاً عن الموضوعات غير الشخصية. لقد تحدثا عن مطاعم سيودا ديلا، تلك المدينة الكائنة على الجانب الآخر للجزيرة. لقد تحدثا عن الآثار التاريخية والبقايا الأثرية على الجزيرة، وتناقشا بشأن أفضل خلجان صغيرة صالحة للسباحة تحت الماء.

كان لوران ساحراً فاتناً، لا ريب فى ذلك، أعترفت بذلك لوسى على مضض. ولم يتظاهر بأنه يعرف مينوركا معرفة وثيقة بنفسه، وبدا حقاً وكأنه مهتم بكل شىء تخبره به عن الجزيرة. لقد كان فى الواقع ملماً بالتاريخ القديم، وكان قادراً على شرح الأسباب التى أقيمت من أجلها بعض الآثار الحجرية، التى كانت حتى ذلك الحين، وتلك اللحظة، ليس أكثر من أشياء غامضة مبهمة بالنسبة إليها. وعلى الرغم من أنه قد استخدم خبرته، لم يكن عسيراً اكتشاف أنه سباح وغطاس ذو خبرة جيدة جداً. لقد كان جذاباً بطريقة لا تقاوم. وهى أخذت تلاحظ نفسها وقد تباطأت وتكاسلت عيناها على يديه الطويلتين الأنيقتين، والخطوط الظريفة لوجهه، والطريقة الجعدة التى تماوجت بها خصلات شعره القصير البنى على أذنيه. وفى كل مرة تضبط نفسها متلبسة بفعل ذلك، كانت توبخ نفسها عقلياً وتلوم ذاتها، وحاولت أن تضاعف من تركيزها على المحادثة.

تناول طعام الـ«جازباكو» على الطريقة الأسبانية، وشوربة عصير الطماطم الباردة، وسمك «أبو سيف» طويل المنقار، وهو الطعام الذى أوصى به النادل. وكلا النوعين من الطعام كان ممتازاً. أما الآن فقد جاء دور الآيس كريم. ثم بعد ذلك يصطحبها عائدين إلى المنزل. أما بعد فقد بقيت غير عارفة أى شىء، مما يفترض أنها كانت تسعى إلى معرفته.

إن صوفى لن تكون مستقرة ولن يهدأ لها بال، برغم ذلك. أنها سوف

Scanné avec CamScanner

تظن فيما هو أكثر سوءاً، إذا عادت لوسى بدون حتى أكتشاف ما إذا كان لوران حقاً فرنسى الجنسية أم لا. وعما إذا كان متزوجاً أم لا. وبطبيعة الحال، هو غير متزوج، كما ظنت لوسى فى نفسها، بينما كانت تحدق وترمق يده اليسرى الخالية من الدبلة.

ثم تذكرت بيسر وسهولة تناوله للطفلة كارا، وعملت أنها سوف تكون فى حاجة إلى معرفة أوثق بماضى حياته إذا ما أرادت أن ترضى صوفى. وهى قد لا تراه مرة ثانية أو قد تراه كثيراً، إلا أنها لم ترد لصوفى أن تعتقد أن.... تساءل لوران قائلاً:

ــ ظريف؟

أحدقت لوسى عبر المنضدة ناظرة إليه. أوه، أنه الآيس كريم، قالت:

ــ أجل، إنه لذيذ. إنه مثل أكل الشيكولاته. لقد كنت أبحث عن الآيس كريم منذ وصلت إلى مينوركا، وتجرأت وعودت نفسى على محاولة واحدة من تلك الأشياء الخاصة.

ابتسم لوران لها ابتسامة مداعبة، وقال:

ــ ولم لا؟ أنت رشيقة، وبمقدورك أن تطلقى العنان لنفسك وتتناولى ما تشائين أحياناً.

ــ ليس كثيراً.

تردد لوسى وهى تقول ذلك، فالآن بوسعها أن تنفرد بالآيس كريم، وقالت:

ــ أنت تأكل الكثير، فى باريس، أليس كذلك؟

ــ معظم الباريسيين يفعلون ذلك. إنهم لا يقومون بالتسلية واللهو فى بيوتهم كما يفعل الإنجليز فى معظم عاداتهم: إن الحياة فى باريس تدور حول المقاهى والمطاعم. إن لدى الكثير من غذا العمل، وأتناول الطعام خارج البيت غالباً، وانى لمغرم بأطايب ومشهيات المطعم الفرنسى. وللأسف، ليس على جزيرة مينوركا ماهو كفيل بأن يضاهى مفاخر

مطاعم باريس.

راحت تفكر لوسى، وقد استقر فى رأيها، أن قول لوران ينطوى على إجحاف بطعام سمك «أبو سيف» الذى أكلاه، ولكنها افترضت أنه ذلك يمثل نوعاً بسيطاً من أنواع الطعام، بالمقارنة بما اعتاد هو عليه فى مطاعم باريس.

ــ وهل زوجتك تطهو الطعام جيداً، هل هى خبيرة فى إعداد الطعام؟

ــ انشده وجه لوران لحظة دون ضياع فتنته، وقال:

ــ زوجتى؟ فى الواقع، إن زوجتى ليست طباخة ماهرة. إننى فحسب أفتقد عجة البيض التى اعتادت على صنعها لى. لقد انفصلنا بالطلاق منذ مايشارف وبناهر العام.

قالت لوسى بتأثر واضح:

ــ أنا آسفة. أكان ذلك اختيارها أم باختيارك أنت؟

الآن وقد صار واقعاً تحت المراقبة، لم يصدر عنه رد فعل محدد قال بخفة:

ــ إنها باختيارها هى، ولكن كان خطأ فادحاً منى. إذ يؤسفنى أننى كنت أركن إلى العمل لساعات طويلة، فشعرت كاترين أنها كم مهمل.

ــ هل كانت تعمل؟

ــ ليس خارج المنزل، لقد رزقنا بولد اسمه چيل وهو الآن فى السادسة من عمره.

قالت لوسى فى نفسها إنه من عمر ماتويل. فلا بأس أن يكون مستشعراً الأبوة نحوه، حينما جاء إلى البيت لزيارة عائلة صوفى. قالت:

ــ ربما كان يناسبك الزواج من امرأة عاملة.

وافق لوران رأى لوسى، وأوضح قائلاً:

ــ ربما كان ذلك صحيحاً. ولكن لقد أزفت الآزفة الآن، ولم أعد أنوى الزواج مرة ثانية. أما أنت؟ هل لديك صديق فى انجلترا؟

Scanné avec CamScanner

راحت لوسى تفكر فى أن مثل هذا الموضوع مرفوض الخوض فيه من جانبها. ولكن كان لديها على الأقل إجابة من نفس نوع الإجابات التقليدية، غير أنها كانت تفضل عدم اخباره بتفاصيل ذلك. كما أنه بدوره لم يكن مهتماً بحياتها الغرامية. استشعرت لوسى القلق؛ وكانت ترغب فى أية بادرة تمكنها من تغيير ذلك الموضوع. فهى لم تخبره بموضوع وحكاية «حوف». وبدلاً من ذلك راحت تصف له قصة ربطت بينها وبين اثنين من اصدقائها الجامعيين، من المعارف لديها، بأكثر من أن يكونوا أحبة، وهما ممن تستطيع التحدث والمزاح معه بشأنهم بدون أن تخشى الاعتراف والإفضاء بشىء معهم إليه. داعبها لوران بدوره، ولكنه بخفة وسلامة، وسرعان ما غيرا الموضوع للمرة الثانية.

تواتى كلاهما وهما يشربان القهوة. فقد كان جيلاً أن يجلسا على المكان المطل على الميناء، الكامن بين الأضواء الباهرة المنبعثة من المطعم، وظلام الميناء. كان جيلاً الجلوس فى قبالة واتجاه لوران. إن سحره ربما يكون وهمياً أو خيالاً، ولكن أحبب به من خيال، استغرقت لوسى تتدبر ذلك فى أحلامها. إنها ربما لاتراه مرة ثانية، غير أنها كذلك، لن تترك هذه الأمسية تمضى دون أن تطبلها بقدر ماتستطيع.

بدا لوران كما لو كان يتفكر على نفس المنوال. وأثناء وقوفهما على الرصيف خارج المطعم، تردد وهو يقول:

ــ بوسعنا الذهاب إلى أحد النوادى الليلية.

أحد النوادى الليلية. هذا يعنى أن أرقص معه. وهذا يعنى أنها سوف تستشعر بذراعيه القويين حولها، وأن تشم عطر وبارفان الصنوبر المنبعث منه، وفوق ذلك النظر والتحدق فى عينيه. وهذا كفيل بأن.. كلا، ليس كفيلاً بأن يؤدى إلى شىء البتة.

ــ فى الواقع لست رائداً من رواد الملاهى الليلية. ولقد كنت قد وعدت خوان بأننى سأعود أدراجى بحلول منتصف الليل، فى حين أن الملاهى الليلية، لاتبدأ فى العمل واقعياً قبل ذلك.

ــ نتوجه إلى أحد البارات إذن؟ بمقدورنا الذهاب إلى كاليس فونس، أو إلى أى مكان آخر فى ماهون إذا مافضلت ذلك؟ أو حتى إلى بار السيد «مال»؟

ــ بار السيد «مال». إنها إن أرادت أن تكون بعيدة عن الأنظار، يكون بار السيد «مال» هو الأفضل والأكثر ترجيحاً وطلباً من أى من الملاهى الأخرى الصاخبة المزدحمة.

ــ إن بار السيد «مال» لهو الأطيب. إنه الأفضل فى الواقع. إن بارات وحانات كاليس فونس جميعها تضج بالجلبة والضوضاء، إلا أنه بار كالاكورب ينصف بدوام هدوئه، حتى عندما يكون كل المناضد قد أصبحت شاغرة عند بار «مال». هل سمعت عن عزف بيدرو؟ وغناء وطرب «مال»؟

ــ لقد جئت لأرى بيدرو فى المساء الذى رأيتك فيه أول مرة هناك. ولم أعلم أن مال يطرب طرباً شجياً بالمثل.

ــ فى وقت متأخر من الليل عادة. ولكن بمقدورنا اقناعه بالغناء مبكراً إذا كان مزاجه حسناً.

قادا السيارة عائدين إلى فيلا كارلوس فى صمت. ووجدت لوسى نفسها تفكر فى كاترين، وتتخيل زواجها من لوران، ثم الطلاق منه. ليس الطلاق فحسب، بل والرحيل. هلا اكتشفت كاترين سره الغامض؟ أم كانت تتخيله فحسب؟ هل هناك حقاً سر يدعوه إلى الشعور بالإثم؟ هل كانت أسباب أخرى مفضية إلى الطلاق بخلاف ماذكره لوران، من أنه أهمل زوجته فترة طويلة، فكان عليه أن يدفع الثمن؟

هل كاترين شقراء، راحت تتساءل لوسى. هل كانت كاترين جميلة؟ أو.. كفى عن هذا يالوسى. لايمكنك أن تكونى غيورة من الزوجة السابقة لرجل لن تريه مرة ثانية.

أحدقت فى وجه لوران الوسيم ذى الملامح الواضحة، بينما كان ينظر أمامه إلى الطريق المظلم، وتمنت لو لم يكن لديه أسرار. إذا كان حقاً

Scanné avec CamScanner

فى حقيقة أمره كما يبدو فى الظاهر، لا أكثر. إذا ما كان.. وإذا ما كان.....

ركن السيارة فى أحد الشوارع الهادئة الجانبية فوق كالاكورب، والتف ليسمح للوسى بالخروج وأخذ بذراعها. فدفعها حافز مفاجىء إلى أن تقوده، ليس إلى المنحدر الاسمنتى الواسع، والذى يؤدى إلى أسفل الخليج الصغير، ولكن إلى طريقة مؤدى إلى المكان الواسع الطلق الذى يطلق عليه ميراندا كالاكورب.

توقفا هناك، لدى السياج الذى يقطع الإنحدار الشاهق نحو الاتجاه لأسفل. كان الخليج طويلاً فى امتداده من تحتها. وعلى حافة القمة فى الجانب الآخر، سطعت أنوار فندق الدون كارلوس باهرة فى كبد السماء الداكنة السوداء. وكان زوج من الزوارق يتحركان بعيداً فى عرض الميناء الكبير الرئيسى؛ بينما كان القمر بلونه الأصفر معلقاً فوق الهضاب: وكانت أصوات آلة الجيتار المتفرقة تداعب فى موسيقيتها أسماعها، وهما ينحرفان عن البارات متوجهين أدناه ناحية رصيف الميناء.

تحرك لوران مقترباً منها أكثر فأكثر، وزلق ذراعاً حول خصر لوسى. إنها تستطيع أن تستشعر أصابعه، الدافئة عبر النسيج الرقيق لثوبها الحريرى. وكان كتفه على ارتفاع مناسب تماماً لها كى تريح رأسها عليه. وأخذت تنتابها الأفكار المغرية.

لقد كانا يتبارزان مع بعضهما طوال المساء، ذكرت لوسى نفسها بذلك. والآن، إذا كان يتصرفان كعشيقين، فإن الأمر لا يعدو أن يكون إلا وهماً وسراباً، فما الذى تعرفه حقاً ويقيناً عنه، حتى الآن؟ القليل الذى قد يرضى صوفى، وليس ما يكفى لإرضائها هى.

أنهى عازفو الجيتار فى إيللا بلانا أغنيتهم، وانبعث عبر الظلمات أصوات متفرقة من التصفيق تشجيعاً لهم. آنذاك جذب لوران ذراعه بعيداً.

ـ أى طريق؟

ـ هنا. بعد تلك الخطوات. إنها أماكن لا تعرفها أنت وأعرفها أنا جيداً.

كان يتعين عليها أن تأخذ بيده، لأن الدرج كان سيىء الإضاءة. وعندما وصلا إلى القاع حملها لوران بظرف ولطف. وجلسا هناك بين الظلال الملونة. وكانت أنوار وضجيج البارات، على مبعدة قليل من الياردات، وحتى تلك اللحظة، بدا الجو كما لو كان عالماً مختلفاً.

ـ ليس بمقدورنا أن نمشى حول هذا الجانب من الخليج الصغير، أليس كذلك؟

راح لوران يتساءل:

ـ كلا، على الجانب الآخر، بمقدورنا الوصول إلى المكان الذى نريده، لا بد من أن ذلك أحد الصيادين يصطاد السمك هناك.

ألا تمانعين فى المشى فى الظلمات؟

لقد كان ذلك هو ما تبتغيه تماماً، علمت ذلك لوسى على حين غرة. إذ لم تشأ أن تتوجه إلى بار السيد «مال»، حتى لا يكون عينه عليها هى ولوران، ثم يأخذ يتساءل ويتعجب ويستفسر عن مدى ما يربطها من علاقة. إنها لم ترد أن تتركه بعد، كل ما أرادته أن تكون بصحبته ومعيته، فى الظلام، تستمتع بالأوهام والخيال. وجذبت يده بلطف فى اتجاه الطريق.

واقتربا من حول الماء حيث يرسو زورق «الـسان فيليب»، وبدنو بار السيد «مال»، وإيللا بلانا، بمجموعة عازفى الجيتار الضئيلة بها. وسارا ماربن كذلك بالطريق الأسمنتى الطويل الذى يفضى إلى الصخور.

كان ثمة ضوء خافت، يسطع من منتصف الطريق فوق الدرج المؤدى إلى فندق الـدون كارلوس الفاخر. عندئذ دلجا إلى المكان، الذى كان يستهدفا الوصول إليه، وصار فى ظلام مطبق.

وذلك أحد صيادى السمك؛ يصطاد من بين الصخور الواقعة على أقصى حافة ذلك المكان. ولا يكاد القمر يضيىء طرف عود الصيد،

Scanné avec CamScanner

وكان يصطحب بطارية يد فى حاجياته، تبعث وترسل بالضوء ساطعاً من الماء، وذلك حتى يتحاشى المارة فلا يطأون عدة الصيد من طعم وخلافه من قوارير. ولقد مرا عليه وتجاوزاه. وفى تلك القبعة انحنى الجرف للوراء قليلاً، صانعاً منخفضاً ضحلاً، غاب عن بصرها كلاهما، منزوياً وراء الخليج الصغير والفندق على قمة الجرف. ولقد صدت الصخرة ضوضاء البارات. أما الصوت الوحيد المسموع فقد كان ذلك المنبعث من ارتطام الماء بالصخور الفاتنة من حافة الميناء.

أرسل لوران يد لوسى، وتحرك نحو الأمام مقترباً من حافة الماء. وتراجعت لوسى خطوة إلى الوراء. فأعادتها مباشرة إلى قبالة الصخر الأملس الذى هو على سطح الجرف. فانثنت إلى الوراء نحو الصخر وراحت تراقب لوران. وبوسعها أن ترى تقاطيع جسمه بوضوح وسط الظلام، طويلاً، رشيقاً، مستقيماً، وقد رسم القمر بعد صورة ظليلة له عبر ضوئه الباهت الخافت. وطرأ على خاطرها أن الفيلا الخاصة به تكاد تقع فى الجهة المضادة.

رأته وهو يعود راجعاً إليها. تحرك متباطئاً إلى الظلال التى كانت تقف فى أكنافها. وراح يقترب ويدنو منها حتى أوشك أن يلامسها. وآنذاك امتدت يده ليمسك بكتفيها، وأخذ يجذبها نحوه برقة ولطف.

وعلى مدار برهة من الوقت، شعرت وكأنها وقت سرمدى خالد لا ينتهى، كان ثمة لا شىء سوى صوت أنفاسه، عالياً يشق جدار الصمت والسكون. وحينئذ دنا ثغره مقترباً ليجد طريقه إلى ثغرها.

أحدثت الشفاق بينهما طوال المساء وقد أذابها وصهرها ضوء القمر.

وأحسا بأن هذا ما هو إلا وفاء أولى لوعد غير مصرح به صنعاه لدى أول لحظة، رأى فيه كلاهما الآخر فى بار السيد «مال» الخالى.

وبعد لحظة، انفرط لوران مبتعداً. وجافى ثغره ثغرها. أما يداه فقد هجرتا جسدها. فتراجعت لوسى إلى الوراء. واستحوذ عليها واستبد بها الجرف ببرودته وقسوته. قال لوران:

— يجمل بنا أن نعود إلى البار. إذا أردت أن تشربى أحد المشروبات قبل أن أوصلك إلى بيتك عند حلول منتصف الليل. احذرى الصخور، إنها تبدو لى كما لو كانت زلقة ملساء.

كان صوته منخفضاً ذا نبرة مميزة. وبدا كما لو كان، بدون كلمة أو نظرة، ينكر الأحاسيس التى شاركاها سويا. ماكنة تلك الأحاسيس؟ راحت لوسى توبخ نفسها. إن هى إلا كيمياء صرفة بحته، والانجذاب البدنى، ولا شىء أكثر من ذلك إطلاقاً. وذلك مصدره رجل لا تثق هى به مقدار بوصة واحدة، ولا تتوقع أن تراه مرة ثانية. قالت بحدة؛ وتحركت فى إثره تتبعه:

— إنها جافة جداً.

فى حقيقة الأمر كانت الصخور مخادعة دقيقة تحتاج إلى البراعة والحذر تناوش السطح غير المستوى للصندال ذى الأعقاب العالية الذى كانت ترتديه، بيد أنها تفضل الإنزلاق على أن يأخذ هو بيدها. وصلا إلى بار «مال» بدون وقع أية أحداث. وبدا الضوء فوق المناضد صارخاً قارساً على نحو مؤلم. وكانت المناضد مزدحمة بالسياح. أما رحلة «مانشيستر» الجوية، وكذا رحلة «لوتون»، فقد وردا على خاطر وبال لوسى، بينما كانت تشرع بالدخول إلى عتمة الكهف:

هل كان شعرها فوضوياً فى غير تزيين؟ ورووج الشفاه، هل أصبح ملطفاً؟ إذا كان كذلك، فإن السيد «مال» لم يعلق، ولحسن الحظ لم يكن هناك شخص آخر تعرفه فى البار. وكان زوجان من الكراسى لدى الطاولة المستطيلة خاليين ممن يشغرهما بالجلوس عليها. ألقت لوسى بنفسها على أحدهما وقد استشعرت الاحساس بالإمتنان.

كان السيد «مال» مشغولاً ومنهمكاً فى تقدم الطلبات لرواد البار. أعطى لوسى إيماءة ترحيب بوصولها. فردت عليها بإيماءة أخرى، حتى تؤكد له أنها سوف ينتظران دورهما. وبعد أن انتهى من طلبات عشرة من السياح، جاءهما. سال لوران لوسى قائلاً:

Scanné avec CamScanner

ـ براندى؟

ذلك هو نوع الشراب الذى احتسته فى الڤيلا الخاصة به، ردت قائلة:

ـ كلا، أفضل الخمر.

فأمر بكأس كونياك وكأس خمر بدون تعليق. وقال مخاطباً «مال»:

ـ لقد كنا قد عزمنا على أن نقنعك بالغناء.

ـ أنا عادة ما افعل ذلك يا أحبابى، عند حلول الساعة الواحدة.

ـ أننى قد وعدت بأن أعيد لوسى إلى المنزل عند منتصف الليل.

ارتفعت حواجب «مال» الكثه بالشعر قليلاً، وقال مبتسماً نصف ابتسامة:

ـ سوف أبحث ذلك.

رفع لوران كأسه أمام كأس لوسى ليشربا نخب السهرة. ولكنها أخذت تتفكر. علام يشرب النخب؟ قبلة؟ يا للسماء، لم تكن سوى قبلة. لقد كان عشرات من الرجال قد قبلاها من قبل ذلك. إنه لم يتحقق يقيناً من التأثير غير الوادى الذى فعلته تلك القبلة عليها. إذ أن أعضاء جسمها بدت كما لو كانت تتحول إلى سائل ذائب، وكانت كل لمسة منه تجعل عروقها تغلى. يالها من استجابة فيزيائية بدنية تتسم بالتوتر والشغف. إنها حتى لا تثق فيه.

ابتسم، وراحت عيناه تسعى للنظر إلى عينيها، فواجدهما، لقد كانت نظرة حميمة جداً. يالها من رائعة ظلال عينيه البنيتين وهما يشبهان المخمل الناعم. إن بشرته عند الحنايا فى محياه تجعدت قليلاً فى ثنايا ظريفة حينما ابتسم. تمتم قائلاً:

ـ أنت تشبهين سندريلا بجمالك الفاتن، وشعرك المتهدل الساتب.

ـ حقاً؟

ووضع كأسه فوق المنضدة، واقترب لينزع أحد دبابيس شعرها. ثم نزع

دبوساً آخر، ثم دبوساً ثالثاً.

وجلست لوسى بغير حراك، حتى خلع آخر دبوس ولم يبق بعد المزيد، واسترسل شعرها الطويل الأشقر فى تموجات جعدة شعثاء منهدلاً حول كتفيها.

قال لوران منتقداً:

ـ هذا أفضل..

ثم مشط شعرها بأصابعه ببطء، قالت:

ـ حسبت أنك تحبه وهو مشبوك بالدبابيس.

هز رأسه، وصرح:

ـ فى المرة القادمة، اتركيه منهدلاً مثلما هو عليه الآن.

غير أن أفكار لوسى تدبرت قوله، وظنت أنه ربما لا يكون هناك مرة تالية، إذ كيف ينسى ذلك، فى الوقت الذى لم يكن هو فيه أميناً أو صريحاً معها؟

وقد سرح بانتباهها العزف الخلاب على آلة الجيتار فسرحت بعيداً عنه. إنه السيد «مال» وقد جاء دوره للغناء. لقد استدعى بيدرو من بين الكواليس داخل البار، وأخذ يستعد للطرب.

Scanné avec CamScanner

Scanné avec CamScanner

الفصل الخامس

إنه يوم الثلاثاء، فى ساعة مبكرة من الظهيرة. وقد كان يوماً حاراً. وكانت لوسى ترتدى حلة صفراء تناسب الشاطىء، والبنطلون الشورت، وقبعة للحماية من الشمس، غطت بها رأسها.

قادت القارب الذى استأجرته لقضاء مشاوير النهار ببطء عبر سواحل مدينة فيلا كارلوس الوعرة، وهبطت الطريق الموازية للساحل المنحدرة التى تؤدى إلى كالا كورب. كان خوان وصوفى كلاهما يتسكعان على ظهر زورق سان فيليب. وتوجه الأطفال لزيارة والدى خوان فى اليابسة بإحدى قرى «ألايور» يوم الثلاثاء عند الظهيرة، وقامت صوفى بعمل التعليقات بدلاً من لوسى التى سمح لها بأن تأخذ الظهيرة كأجازة.

نظرت صوفى إلى الصوت الصادر على مقربة من ساحل الطريق الأسفلتى، فرأت لوسى، التى صاحت قائلة:

ـ هل نفذت التذاكر؟

ردت صوفى قائلة:

ـ أجل، لقد بيعت كلها. إنه يوم حار، والسياح سوف يطيزون

عائدين غداً، كما تعلمين. لقد باعت فانيسا كل التذاكر، وليس هناك من يتردد بعد لطلب التذاكر لعلمهم أنها نفذت.

قالت لوسى، باحتجاج:

ـ يجب عليك أن تعرضى للبيع تذاكر الغد. إذ يتعين أن نبيع شطراً منها من أجل رحلة الغد.

إنها سوف تباع. أوه، لقد كانت فانيسا تبحث عنك يا لوسى. بعض أصدقائها يعتزمون التوجه إلى بالما لقضاء عدة أيام قليلة على ظهر العبارة. ويودهم أن يجدوا مكاناً لك، كما قالت، إذا أردت أن تذهبى معهم.

ـ ولكن الزورق..

ـ إن الزورق لن يغرق فى غيابك وابتعادك.

كشرت لوسى عن ابتسامة. يالها من إشارة دقيقة تلك التى صدرت عن صوفى. إن العمل دائماً يأتى فى المرتبة الثانية فى حياة صوفى: إذ أنها تترك المشكلات لتنحل بنفسها، أو تؤجلها لحسمها عندما يتحولن إلى أزمات مستعصية. وكانت تخفى شخصيتها من تحت انبساط أساريرها المظهرية، عفلاً داهية دائب العمل. ورأت صوفى أن لوسى مصابة بالاحباط والاكتئاب، فراحت تبحث عن طريقة كى تزيل عنها بعضاً مما تلاقيه، وتخفف عنها، وترفع من روحها المعنوية. قالت لوسى:

ـ سوف أتولاه أنا، وأفكر فى ذهابى معهم.

ـ هل سوف تعودين على وقت العشاء؟

ـ حوالى السادسة مساء، سوف أعود، ربما قبل أن تعودى أنت للمنزل.

هل سوف تصطادين الكافى من الأسماك لطهوها؟

ـ أشك فى ذلك.

ـ إلى اللقاء إذن، ولتستمتعى بالرحلة.

ـ أتمنى لك وقتاً طيباً.

انطلقت لوسى إلى كوخ خوان، وراحت تفتش بداخله عن عدة وأشياء الصيد.

لقد كانت تخطط وتعتزم السفر إلى «فورنيلز» تلك القرية الواقعة على الساحل الشرقى للجزيرة، التى كانت تتنامى وتتسع سريعاً لتصبح مركزاً لأولئك الذين يستمتعون ويقومون بالترفيه فى أجازاتهم والقيام بألعاب الماء.

تخيرت عوماً للصيد قابلاً للطى، ووضعته بعناية على أحد جانبى القارب، وتفحصت للمرة الثانية الحقيبة الكائنة على المؤخرة، وتحتوى على كل شىء تحتاجه أو قد يعوزها، وأبحرت ملوحة إلى خوان وصوفى.

وفكرت فى التوجه إلى بالما، حيثما زنجرت بالقارب عبر شواطىء مدينة فيلا كاراوس. ربما يتعين عليها أن تذهب. أية جهة نائية فحسب حتى تتمكن من الإبتعاد عن ميناء ماهون. حتى فورنيلز لم تكن بعيدة بما فيه الكفاية. إن بالما ربما كانت أكثر جمالاً.

لم يبدو لـخوان وصوفى أنه من العدل، برغم ذلك، أن يتصرفا مع لوسى على هذا النحو، بطريقة كفيلة بكسر قلبها، فى حين أن الموضوع كله والمسألة كلها لاتعدو أن تكون شيئاً تافهاً.

أن رجلاً قد طلب منها الخروج على العشاء ذات مرة، وقبلها مرة واحدة. أما لوسى فقد كانت تضع نصب عينيها دائماً أنها حتى لاتثق فى لوران، ولكنها ههنا كانت أكثر أكتئاباً بسبب فشله فى ملاطفتها كما كان حوف يعمل معها حينما نبذها وتخلى عنها. غباء، كان ذلك كل ماحدث. حماقة قصوى من جانبها.

ولوسى لم تذكر حتى لوران أمام فانيسا. لقد بذلت أقصى ماتستطيع كى تكون جزلة مبتهجة طوال الأسبوع المنصرم، ولكن كان من الواضح أن ذلك لم ينطل على صوفى. ولم ينطل عليها هى أيضاً. ومهما كان مقدار ابتسامتها كبيراً، كان لايزال ثمة ألم مؤرق فى مكان ما من منطقة قلبها. على أية حال، لقد أخبرت نفسها من حين لآخر بأنه لاداعى

لذلك، وبالرغم من محاولتها، إلا أنها كانت لاتزال ترمق القبلا الخاصة به فى كل مرة يمر زورق سان فيليب من أمام الرصيف الخشبى الواقع على جانب ميناء ماهون. ولكنها لم تظفر منه بنظرة أو لمحة. بل هى لم تتأكد حتى مما إذا كان باقياً على الجزيرة أم أرتحل.

حمقاء، يالك من حمقاء وفتاة طائشة. آنسه، راحت لوسى تحادث نفسها. لقد استقر الرأى على عدم تكوين علاقات رومانسية ــ إن ذلك هو عين ما أردت، أليس كذلك؟ تمتعى ببقية فصل الصيف بمفردك.

مضت ببطء عبر ماهون، وبطول الطريق المؤدى إلى اليابسة نحو الأيور. وعلى طول جانب الطريق، كانت أشجار التين الشوكى مزدهرة؛ وكانت على الحوائط والسقوف الخاصة بالبيوت الصغيرة، ثمار القاوون، الشمام الأصفر ممتلئة ناضجة ملقاة فى ضوء الشمس حتى تزداد نضجاً.

وفى وسط الجزيرة، أخذ الطريق يعلو ويرتفع متسلقاً، ملتفاً حول جبل تورو أو «مونت تورو»، وهو أطول الجبال شهوقاً فى جزيرة مينوركا، وعليه أعداد الأديرة فى القمة. توقفت لوسى عند جانب الطريق، وشربت عصير البرتقال، قبل أن تعاود قيادة القارب متوجهة إلى عرض البحر.

ومضت عبر المياه بجوار الطريق المحاذى وقد استلفت نظرها غابات أشجار الصنوبر، ثم ظهرت فوق كالا بلانكا، رأس الخليج الكبير حيث تقع «فورنيلز».

وكانت آخر مرحلة من مراحل الرحلة البحرية، هى الاسترخاء بمتعة تحت التل ذى الظلال الوارفة، واللمحات الأثيرية العارضة القادمة من البحر التى تنعشها.

كانت «فورينلز» مزدحمة. على الرغم من أن الوقت كان وقت القيلولة النوم ظهراً، وفقاً لمعايير جزيرة مينوركا، وكان بعض السياح لايزالون يتناولون طعام الغذاء فى المقاهى على طوال حافة الماء، بينما كان الآخرون يجوسون ويتجولون حول الشوارع الضيقة البيضاء التى تبدو كما لو كانت مغسولة بالماء، بالقرية القديمة التى اشتهرت بصيد الأسماك.

Scanné avec CamScanner

وفى الخليج كانت شعاعات لونية تميز موضع وموقع مصدات الريح. ركنت لوسى قاربها بجوار حواجز الأمواج القريبة من الميناء، وتجولت بطول بهايتها، وفردت عود الصيد، واستقرت جالسة تغفو فى ضوء الشمس. ولم يكن يهمها حقاً صيد الأسماك: لقد كان عود الصيد ما هو إلا ذريعة وقد اعترفت لنفسها بذلك، حتى لاتحضر معها أية مراجع أو كتب دراسية مقررة عليها.

كان الجو حاراً إبان سطوع شمس الظهيرة وتوسطها عرصة السماء، أما حواجز الأمواج فقد حمتها من الرياح التى هبت عبر الخليج. وبعد برهة، شعرت لوسى بالنعاس.

استيقظت متباطئة، ونظرت فيما حولها. كان عود الصيد لايزال مذعماً مسنداً حيث وضعته وتركته، بينما كان الخيط ضارباً فى أعماق الخليج والميناء، إلا أن طعم السمك، لابد وأن يكون قد أكله السمك منذ فترة طويلة. تحركت الشمس ناحية الغروب. نظرت لوسى فى ساعتها، يا للسماء، لقد أصبحت الساعة الآن الخامسة والنصف. وهى قد قالت لصوفى أنها سوف تعود أدراجها من أجل تناول العشاء على الساعة السادسة. فأخذت تحزم حقائبها وحاجياتها بسرعة وعجلة وشقت طرقها إلى القارب.

وما أن وصلت وكادت تقترب من قمة الهضبة فوق كالا بلانكا حتى بدأ المحرك يصدر ضوضاء مكتومة مبقبقاً بأصوات منقطعة. فأصدرت أنيناً مكبوتاً. وتوقفت لحظة، ثم حاولت أن تعيد تشغيل المحرك. وفى هذه المرة رفض المحرك أن يلتقط شرارة الشوط على الإطلاق.

وضاع منها دقائق عشر أخرى سدى فى محاولتها تشغيل القارب، وقد تلطخت بالأقذار والشحوم المحيطة بالمحرك الضئيل، لقد نفذ البترول. وفى جزيرة مينوركا، معروف أنها آخر مكان بالنسبة إلى أى شخص يحاول أن يذرعها جيئة وذهاباً بحثاً عن البنزين، لأن كل فرد على الجزيرة علم كيف يعز تزويدها به فى محطات البنزين.

علمت لوسى ذلك. كان ثمة جراج فى ألابور، كانت موقنة بذلك. وكان يقع على بعد خمسة أميال من المكان الذى تكمن فيه، ولم تستطع التفكير فى آخر يكون أكثر اقتراباً. فعادت إلى القارب، ووضعت قدميها على البدال، وبدأت فى تشغيله يدوياً بأقدامها.

بمرور الوقت لاحت فى الأفق منازل الأبور، وكانت حينذاك قد غرقت فى العرق والنهجان. أما الساعة فقد أشارت إلى السابعة إلا ربعاً، ولا يزال أمامها بعد رحلة بحرية مطولة، ينبغى خوضها متى ماتزودت بالوقود. وهى لامحالة لن تصل على موعد العشاء.

واستقر الرأى لديها على أن تتناول وجبة العشاء عند سنيور وسنيورة ريبرو، والدى خوان.

أما سنيورة ريبيرو فقد كانت خارج المنزل عندما وصلت إلى منزلها الصغير ــ فقد كانت تعيد مانويل، وماريا، وكارا إلى والديهم. وأما سنيور ريبيرو فقد أصر على أن تنتظر لوسى حتى تعود. فأخذت تشير الكثير من القهوة. بعد ذلك ظهرت سنيورة ريبيرو، وشرعت تعد وجبة دسمة من شراح لحوم الحمل والمقانق. لقد كانت وجبة لذيذة، غير أنها لم تكن جاهزة للتناول حتى التاسعة مساء. ولذلك؛ كانت الساعة العاشرة تقريباً حينما وجدت لوسى نفسها تلوح مودعة إياهما، وتشرع مرة ثانية فى الإنطلاق على الطريق متوجهة إلى ماهون.

لامشكلة. لم يكن صوفى وخوان من النوع الذى يصاب بالهلع. فإذا كان لديها هاتف، لكانت استطاعت أن تحذرهما بأنها سوف تكون متأخرة، غير أنها لم يكن لديها هاتف، ولذلك لم تتصل. وهما لن يضنيها التفكير بشأن مصيرها إلا عند حلول منتصف الليل الذى يكون وقتاً لايزال مبكراً برغم ذلك.

وعندما وصلت الفيلا فى تمام الساعة العاشرة والنصف، كانت صوفى وخوان يشاهدان عرضاً هزلياً ساخراً فى التليفزيون قالت لوسى:

ــ آسفة لتأخرى على طعام العشاء.

Scanné avec CamScanner

ثم جلست فى غرفة المعيشة، وبين فقرات العرض التليفزيون، كانت تشرح لماذا تأخرت عن موعدها. أصدر خوان صوتاً كقباع الخنزير، قائلاً:

ـ يحتملا أن تفيدك ممارسة الرياضة فى التخفيف من وزنك.

أصدرت صوفى صوتاً كالأنين قائلة:

ـ لا تخبرنى بذلك. إنك بذلك تهزأ بى!

ثم نظرت فى الإتجاه الأسفل ومسحت بنظرها النرهلات التى انتشرت فى جسمها عقب ولادة كارا، ولم تتمكن من المحافظة على رشاقتها من بعد ذلك. وقالت مخاطبة لوسى:

ـ لقد حدث شىء مؤسف اليوم، ولكنها غلطتى أنا؟

ـ وما هى غلطتك؟

ـ لقد فاتك لقاؤك مع رفيقك، لقد تلقيت خطاباً لك هذا الصباح، وصل إلى زورق سان فيليب، ولكننى نسيت أن أعطيك إياه عندما وصلتى إلى الميناء.

ـ رفيقى.

ـ لوران، لقد جاء ليدعوك للخروج معه فى وقت مبكر من هذا المساء، ولكن بطبيعة الحال لم تكونى موجودة.

أحدقت لوسى. لقد كتب لوران خطاباً لها؟ ولقد جاء يبحث عنها؟ وهى قد فاتها اللقاء به؟ كيف يمكن لصوفى أن تعامل مثل هذا الموضوع بتلك البساطة؟

ـ ألا تزالين تحتفظين بالخطاب؟

ـ نهضت صوفى، وبدأت فى دس يديها فى جيوبها، وهى تقول:

ـ إنه فى مكان ما ههنا.

وأخيراً فتحت مظروفاً أبيض، منسخاً بعض الشىء، ثم سلمته له. كان مكتوباً عليه بخط جميل منسق وحاسم:

ـ لوسى: زورق سان فيليب.

كانت الإشارة بداخله وجيزة جداً، تقول:

ـ عزيزتى لوسى. هل تستطعين الخروج معى الليلة على العشاء؟ سوف أمر عليك عند الساعة الثامنة والنصف؟ اتصلى بى هاتفياً فى الساعة السادسة إذا لم تكونى مستعدة. لوران.

وكتب رقم تليفونه على الركن الأيمن أعلاه. قالت صوفى:

ـ لقد قلت لك إنها غلطتى أنا. كما اتصلت به وأخبرته أيضاً بأنها غلطتى. توقعنا أن تعودى فى أية لحظة، ولذلك انتظرك هنا لمدة ساعة أو أكثر. ولكن بعد ذاك لم يكن لدينا أية فكرة عن المكان الذى ذهبتى إليه، ولذا فقد استسلم واذعن. لقد قلت أننى أشعر بالأسف الشديد.

ثم أصدرت ابتسامة تنم عن الاعتذار، وأردفت:

ـ هل السينيورة ريبيرو قدمت لك العشاء؟

هل قال شيئاً قبل أن ينصرف؟

ـ ليس الكثير. أعتقد أنه أصيب بالإحباط وخيبة الأمل، غير أنه كان ساحراً فى حالته تلك.

نهضت لوسى واقفة على قدميها، وقالت:

ـ سوف أعود ثانية بعد عشر دقائق.

ـ إلى أين أنت ذاهبة؟

ـ سوف استخدم التليفون.

كان ثمة صندوق الهاتف فى مهبط الطريق، فطلبت رقم التليفون من هناك. وكان صوت الجرس يدق ويدق، غير أنه لم يكن أحد يجيب أو يرد. وأخيراً وضعت لوسى الهاتف، ومشت عائدة فى الظلام.

أمضت لوسى ليلة مؤرقة لم تنم خلالها. على الأقل كان يريد أن يراها. غير أنه كان بصدد أن يشرح لها كل شىء؟ هل كان ثمة شىء للشرح، أم كانت هى حمقاء غبية منذ البداية حين تشككت وارتابت فيه؟

كان على الأقل يريد أن يراها. كان يريد رؤيتها والتحدث إليها. وبطبيعة الحال، لابد وأنه كان فاتناً ساحراً لصوفى، ولابد أنه قد تحول

Scanné avec CamScanner

إلى إنسان مجنون فى الواقع عندما لم تعد لوسى. ربما لن يحاول ثانية. وهو لم يكن هكذا شغوفاً بها، إذا انتظر عشرة أيام قبل أن يتصل بها ثانية. وربما كان ذلك دافعاً عرضياً، أو رفيقة أخرى لديه قد أصابته بالإحباط. أوه، كلا، ليست هناك رفيقة أخرى لديه.

نهضت فى ساعة مبكرة للغاية فى الصباح، ولاعبت ماريا وكارا حتى وصلت الساعة إلى وقت ملائم ومعقول بحلول الساعة التاسعة والنصف. عندئذ توجهت نحو الباب:

ـ لوسى!

أمسك بها صوت صوفى وهى فى الصالة، تتساءل، وهى تظهر من المطبخ، قائلة:

ـ إلى أين أنت ذاهبة.

ـ إلى كالا كورب

ـ هل سوف تتصلين به هاتفياً مرة ثانية؟

ـ كلا.

ابتسمت صوفى مكشرة عن ضحكة، وهى تقول:

ـ حسناً. أعلم أن المسألة تخصك أنت تماماً، يا حبيبتى، غير أنه سوف يجد وسيلة ما لكى يراك مرة ثانية، إذا كان يريدك، بأمانة. والأمر لن يجعله أكثر حرصاً وشغفاً بك إذا ألفيت نفسك عليك.

ـ اشكرك على تلك المحاضرة والنصيحة.

ـ إذن اعملى بها.

ابتسمت صوفى للمرة الثانية، واختفت.

هبطت لوسى متوجهة إلى كالا كورب. وركبت قارب الـ« صوفى». ووجهت القارب الصغير قليلاً عبر ميناء ماهون، وجذبته نحو الرصيف الخشبى الطويل. كان زورق الـسانتا كاتيرينا رأسياً هناك. حسناً لابد، وأن يكون هناك فى الڤيلا.

هل سوف يرحب بها وبمقدمها؟ ربما لا، راحت لوسى تتدبر ذلك

وهى مؤرقة يستبد بها القلق، إلا أنها لا تستطيع المثابرة على الإنتظار لمدة أيام كى تراه، إذا اتصل بها مرة ثانية. وبهذه الطريقة، تستطيع على الأقل أن تحصل منه على رد فعل فورى، لكى تعلم حقيقة ما إذا كان ثمة أمل فى الإرتباط بالعلاقة الزوجية مستقبلياً.

نظرت نحو الأسفل. كانت ترتدى بلوزه بيضاء، وتنورة قطنية ذات ألوان جذابة وردية وذات لون قرنفلى. وللأسف اتسخت بعلامة قذرة من جراء المقعد الخاص بقارب « صوفى».

دعكت وحكت تلك القبعة المتسخة، ولكن بدون أى نتيجة ظاهرة فى التحسن.

نادت قائلة «هاللو» حتى يسمعها لو كان فى التيراس عند جانب التل، فى نفس المكان الذى كان متواجداً فيه حينما أبحرت آخر مرة بالـ« صوفى». لم يكن ثمة إجابة، ولذلك انطلقت ترقى الدرج.

تجاوزت التيراس، والميدان الأنيق ذى الأرضية الأسمنتية، بينما عليه منضدة حديدية وبعض الكراسى. وهى بعد لا تحمل أى أثر لأناس كان يجلسون عليها منذ عهد قريب. وصلت إلى الڤيلا. وكان الفناء وساحة الدار الرئيسية كذلك مهجورة.

نادت صائحة « هاللو»، بصوت أعلى قليلاً فى هذه المرة؛ ولم تشأ الآن أن تدخل المنزل بدون أخطاره. غير أنه لم يكن ثمة إجابة. وشقت طريقها عبر حافة المبانى وأطرافها، وأتت إلى ساحة صغيرة كانت من الواضح أنها منطقةو « خوانا»، بقاع من الأعشاب القابعة فى ضوء الشمس، وكان إذ ذاك يقع مطبخ الڤيلا منزوياً بأحد الأركان. وفى المقابل، كان هناك مبنى منخفض ومفصل ذو خط مستقل عن الطنف والإفريز الذى يضع حدود مكان معيشة خوانا وألونزو. وكان المسار الذى يربط بينها، مهجوراً كذلك، وكان هناك جراج وأبوابه مفتوحة على مصاريعها.

ربما يكون قد استقل سيارة متوجهاً إلى « ماهون». عادت لوسى

Scanné avec CamScanner

تقتفى أثر خطواتها الأولى. وعبرت ساحة الدار الرئيسية. وكان إبزيم الصندل الخاص بها يصدر صوتاً مزعجاً عالياً على الأحجار المصنوعة منها ألواح الرصيف. ووصلت إلى الأبواب الزجاجية ذات الانفتاح والانغلاق المنزلق المؤدية إلى غرفة المعيشة. كانت تلك الأبواب مصرعة مغلقة، غير أنها لم تكن مغلقة بالأقفال، حيث انفتح الباب منزلقاً بسلاسة لدى أول لمسة من لمسات يدها.

بالتأكيد هناك أحد ما. إن لوران ينصف بالعصبية الشديدة فيما يتعلق بحياته وشئونه الشخصية، مصاباً بالجنون العظمة فيما يخص الأمن: إنه بالتأكيد لن يخرج، ويترك بيته هكذا مفتوحاً بدون حراسة. نادت لوسى بصوت عال مرة ثانية. وعبرت الغرفة وصاحت عبر الدرج المؤدى إلى الرواق الكائن وراءه. بدا صوتها صداه فى الصمت الذى يكتنف المكان.

عند ذاك سمعت صوتاً وضوضاء غريبة، فى مكان ما خلفها. إستدارت.

ــ قفى مكانك!

وصل إليها الصوت أثناء استدارتها. كان يجب عليها أن تكمل التفاتتها، غير أن الأمر الصادر صدمها، فتوقفت بمجرد أن أتمت استدارتها.

لقد كان ألونزو. كان واقفاً، فاتحاً قدميه وسط الغرفة البيضاء الأنيقة. وكان بيده مسدس، مصوب عليها. قال:

ــ ارفعى يدك لاعلى!

بصوت ولهجة كاتالانية.

ارتفعت يدا لوسى إلى أعلى رأسها على غير هدى. يا للسماء! لقد كانت تحسب أن هذا لايقع إلا فى الأفلام.

أشار إليها ألونزو ملوحاً بالمسدس. تحركت فى فزع من الممر والرواق إلى الغرفة. فأمرها قائلاً:

ــ اجلسى!

فجلست على أحد الأرائك الواطئة المصنوعة من الجلد. وكانت ترتعد.

ــ امكثى هناك.

تراجع ألونزو نحو الباب، وبدا وهو يضغط على أحد الأزرار. كان ثمة أزيز لجرس انذار، يضرب بصوته ويدق فى مكان آخر فى المنزل. فأخذ يردد صداه حول رأس لوسى. فلم تكن تعتقد أن هذا هو مايحدث فعلاً وواقعياً من حولها.

عاد ألونزو إلى موضعه فى قبالتها، وصوب مسدسه نحوها للمرة الثانية. وخلفها، كانت لوسى تسمع منصته إلى صوت شخص ما قام عبر الممر، وكانت خطوات أقدامه عالية الصوت بارتطامها بالأرضية المبلطة. وكان صوت لوران يستفسر قائلاً:

ــ ما الذى يحدث ههنا؟

بدا شىء ما ينتزع ويختطف لوسى من داخلها. وبدون تفكير، وثبت واقفة على قدميها، وأسرعت تلوذ بالأمن بين ذراعيه. فالتفت ذراعاه حولها، حازمة ومطمئنة.

وبدا كل شىء كما لو كان كابوساً، إلا أن العناق هذا كان حقيقياً، بكل تأكيد. كان لوران حقيقة واقعة.

وكان يسيراً عليها أن تستشعر نبضات قلبه عبر قميصه، من المكان الذى استقرت فيه من صدره. وغطى على كل ماعداه، الإيقاع المنتظم النابض من قلبه. وكان شخص وما، فى مكان ما يتحدث. بصوت عال، وبغضب. فورد على خاطرها مرة ثانية فى أناة وهدأة أن ذلك هو الونزو، وأنه لايزال يحمل مسدساً.

تجمد جسدها مرة ثانية. لقد كانت بمأمن ههنا، بكل تأكيد بين ذراعى لوران، ولكن إذا تقدر لها أن تتحرك مرة ثانية....

كان لوران يتحدث الآن، بصوت خفيض هادىء وحازم، أما نبرته فقد أتصفت بأنها آمرة ناهية. كان يتحدث باللغة الكلاستيلانية: ولم

Scanné avec CamScanner

تحاول لوسى حتى أن تتابعه. رد عليه ألونزو. ثم سرعان ماتحدث إليه لوران مرة ثانية. ثم كانت هناك وقع أقدام، وفترة صمت طويلة. قال لوران بلطف:

ــ لوسى.

رفعت رأسها لتنظر إليه ببطء، وتألم.

فهالها رؤيو عيناها لعينين البنيتين، قال:

ــ حسناً، لقد أصبح كل شىء على مايرام يالوسى. لقد انصرف الآن.

وراح عنها الدافع الذى جمّد أطرافها على حين غرة مزعجة. وهى بعد قادرة على أن تستشعر جسدها وهو ينهار، غير أنها لم تبدُ بقادرة على أن توقفه عن ذلك.

لحسن الحظ، قام لوران بالعمل نيابة عنها، فالتقطها بين ذراعيه القويين، وحملها عائداً بها إلى الأريكة.

كان العالم يدور من حولها. اغلقت لوسى عينيها، كى تتجنب الدوار.

وكان الشىء التالى الذى أيقنت به كان صوت لوران، يقول فى حزم وحسم:

ــ إليك هذا. اشربيه.

كانت تفتح نصف عينيها، فرأته وهو يضع الكأس الذى كان يحمله، وجذبها كى تصبح فى وضع تصبح فيه جالسة. بعد ذاك أمسك بكتفيها بحزم، وهو يجيل أبصاره فيها، وفى كأس كبير من البراندى.

عرفت لوسى أنه البراندى وهى بعد فى حالة من الضعف. أوه. عزيزى. فى كل مرة تأتى فيها إلى ڤيلا لوران، تبدو كما لو كانت تنهار ثم ينعشها البراندى.

وشيئاً فشيئاً، شرعت حبال عقلها فى العمل. إنه ألونزو. ومسدسه. وذلك لوران، يأمر وينهى. إن نمط الأحداث والأمور التى تجرى هنا لم

تكن تبعث على الإطمئنان.

وأصابها فجأة، يقينها بأن ما ظهر وكأنه ميناء آمن لم يكن فى حقيقة أمره سوى برميلاً من البارود.

حاولت أن تجاهد نفسها كى تنهض على أقدامها، غير أن ذراع لوران كان عبارة عن منجلة التفت حول كتفيها، ولم تستطع أن ترفع نفسها من على الأريكة. قال بجزم:

ــ ليس بعد.

ليس بعد؟ لقد وجب عليها ألا تبقى هنا، بين ذراعى رجل أخذ خادمه يصوب مسدسه نحوها منذ وقت غير بعيد! يالسماء، إذا كانت يعوزها التوكيد والتثبيت من أن لوران ليس إنساناً طيباً، فقد حازته الآن يقيناً وبكل تأكيد. تنفست الصعداء، وقالت:

ــ أرجوك دعنى أمضى من هنا.

فى صوت غير مطرد ومنقطع.

ــ أنت لست فى حالة تسمح لك بالذهاب إلى أى مكان. أنت بمأمن تام معى. لقد انصرف ألونزو. إنه لم يقصد اطلاقاً أن يخيفك. لقد كان الأمر كله عبارة عن سوء فهم.

سوء فهم! يبدو أنه يسود ذلك المكان قدر هائل من سوء الفهم، وحالات سوء الفهم، فيما يتعلق بها وبلوران. راحت لوسى تتدبر ذلك، لقد برهن كلاهما لها على أنها خطران للغاية الأمر الذى صدمها. كررت لوسى طلبها قائلة:

ــ خلى بينى وبين ذهابى.

لسوف أخليك بينك وبين ذهابك الآن، إذا ما وعدتنى بألا تتحركى. وفى برهة ولحظة من الزمن، متى ما شفيت، سوف أعيدك إلى المنزل. وبمقدورى إذ ذاك أن أشرح لك كل شىء، أعدك بذلك.

تشرح! لم يكن ثمة شروح فى عالم لوسى ورأيها، بترد تلك التهديدات المستترة المغلفة والرجال الذين يحملون الأسلحة. إذا كان لوران يعش فى

Scanné avec CamScanner

عالم كهذا، فإنها أحبت الخروج منه بأسرع ما يمكن. فكل جوارحها تقول لها إنها.. وسط خطر مرعب محرق محدق طالما بقيت ومكثت فى القيلا. لقد كان يتعين عليها أن تخرج منها، أن تغرب عن وجهه. غير أنها ليس بمقدورها الهروب مستخدمة القوة البهيمية العمياء، يجب عليها أن تعمل الحيلة والمكر. نبست هامسة:

ـ أعدك بذلك.

وشيئاً فشيئاً، استرسل وتراخى ضغط ذراعه من على كتفيها. فأتى بذراعه الآخر إلى جانبه، وأمسك بيده ويدها. وقال معبراً عن حقيقة واقعة:

ـ يا إلهى. أنت باردة. أعتقد أنها لابد تعانين من الصدمة. ينبغى عليك أن ترقدى فى الفراش هنيهة. بوسعك استخدام غرفة نومى. سوف أغلق الأبواب، حتى تكونى موقنة تماماً بأنك سوف تكونين فى مأمن.

استخدم غرفة نومه؟ هزت لوسى رأسها فى خدر وفقدان حسن. لم تجرؤ على ملاقاة عينى لوران مرة ثانية. نظرت بحذر نحو الأبواب الزجاجية. لقد كانت تركتها مفتوحة عندما مشت عبرها. أتى لوران وألونزو عبر الرواق. لم يقوما بإغلاق الأبواب. حيث كان ثمة فراغ واسع بين الجزئين الخاصين بالإطار المصنوع من الألومنيوم.

ما مقدار المسافة؟ اعتباراً من الأريكة الثابتة وحتى الأبواب، ربما كانت المسافة عبارة عن عشرة خطوات. إذن ينبغى عليها أن تجتاز الأبواب عابرة إياها وكذا ساحة الدار، هابطة أسفل الدرج، نحو الرصيف.

ثم تفك مرساة القارب الصغير «صوفى»، وهى المرحلة الأكثر مشقة. كل ما يعوزها هو بداية موفقة قوية، وإلا لضاع منها أى أمل حقيقى فى تنفيذ ذلك قبل أن يمسك بها لوران أو ألونزو. لم تعتقد أنه يتواجد أى شخص آخر فى المنزل ـ فيما عدا خوانا، غير أنها كانت ممتلئة الجسم ثقيلة مما يصعب عليها الحركة بسرعة.

تحركت عيناها إلى الساقين البنيتين الذين كشفت عنها بنطلون لوران

القصير. وتستطيع أن ترى العضلات القوية فى فخذيه وسمانة ساقيه. لقد كان أكبر منها بعشر سنوات، غير أن لياقته كانت عالية.

وورد على خاطرها خطة أرادت تنفيذها. لقد كانت خطة طويلة، ولكنها الأفضل التى استطاعت التفكير فيها. قالت بصوت ضعيف واهن لم تكن فى حاجة إلى أن تتظاهر بوهنة:

ـ أحسب أننى فى حاجة إلى المزيد من البراندى.

قال لوران:

ـ سأحضر لك إياه.

التقط الكأس. وضغط عاصراً يدها، ونهض. سمعته وهو يتحرك نحو الدولاب الذى كان موضوعاً عليه إناء البراندى.

التفت ورافبته، حتى تكون موقنة بأن اللحظة مناسبة. والآن لقد أعطى لها ظهره، وكان يصب البراندى، لقد بقى أمامها الآن مسافة أربع أو خمس خطوات، لا أكثر. فبدأت فى التحرك نحو الباب، منحنية نصف انحناءة.

رآها قبل أن تصل إلى الباب، فصاح:

ـ لوسى!

سمعت لوسى صوت الكأس وهو يتشظى ويتكسر، ولكن لم تعد تسمع المزيد، إذ أنها الآن تعدو، وتعدو بأسرع مما تتخيل هى، ومما حدث أن جرت فى حياتها من قبل. وبدت الدماء وكأنها تصب فى رأسها. اخترقت ساحة الدار، مارة بحوض السباحة. وبطول الممر المؤدى إلى قمة الجرف. كانت هنالك الدرج. إلى أسفل هابطة.

ـ لوسى!

كان الصراخ قريباً من خلفها. وكان يتعين عليها أن تجرى أسرع وأسرع. فطوت الخطوات بالدرج ثلاثاً ورباعاً فى المرة الواحدة. ولدى أحد المنعطفات، عند التيراس الأدنى، وجدت لوسى نفسها تطير.

Scanné avec CamScanner

لقد تعثرت واشتبكت بحافة الخطوة العليا للدرج. وكانت ثمة لحظة من الرعب المطبق، حينما اندفعت بعنف للأمام. حينذاك لم تشعر بشيء سوى الظلام والقتامة.

الفصـــل الســادس

عندما استيقظت لوسى، كانت فى الفراش، فراش مريح ووثير للغاية، به مرتبة مرنة ومفارش بولستر ناضرة متجعدة من حولها.

استغرقتها تلك الأحاسيس، ثم فتحت عينيها ببطء. إنها غرفة غريبة. غرفة نوم، بالطبع، ذات حوائط بيضاء ثلاثة، وحائط زجاجى، أشعت أضواء الشمس عبره.

إنها فيلا لوران. لقد عاد إليها الوعى كلية، فجلست فجأة. لقد كانت غلطة. وشعرت وكأنها أسلمت رأسها على حائط مبنى من الأحجار. وأصابها الألم، بكثافة وقسوة، وسقطت على الوسائد. وفى نفس الوقت، نهض شخص ما كان يجلس بجوار فراشها.

زال وتلاشى الألم ووخزه. وشيئاً فشيئاً، أشاحت لوسى برأسها حتى لا يعادوها تلك الآلام بوخزها.

والتفت عيناها بأعماق عينى «خوانا» المتسائلين، والتى قالت بصوت منخفض باللغة الكاستيلانية:

ــ إذن، لقد استيقظت. سوف أستدعى السينور بوكلى.

Scanned with CamScanner

أخذت لوسى تتدبر، قائلة فى نفسها إذن لقد استيقظت، وهى تشيح بوجها للمرة الثانية. فمن يكون بحق السماء ذلك الذى يرعى السنيور بوكلى؟ لقد بدا هذا السؤال عسيراً. أغلقت عينيها مرة ثانية، وضاع النساءول متلاشياً بين طيات وعيها الغائب.

وفى هذه المرة، حلمت. كان هناك لورانة، ممسكاً بها نحوه نظرت لأعلى، متطلعة فى وجهه ــ كان طويلاً على نحو لا يصدق، فى أثناء الحلم ــ وانثنى يقبلها، أما وجهه، حينما أزداد اقتراباً من وجهها لكى يقبلها، فقد بدا وكأنه يتغير من حيث شكله. لقد أخذ يصبح ممسوخاً شيئاً فشيئاً، رويداً رويداً من وجه رجل وسيم إلى ذئب حقير.

اقترب شكل الذئب أكثر وأكثر.. وقال صوت آمر:

ــ برفق.

يقطع تسلسل شىء ما أحست بأنه صرخة، وأضاف.

ــ أنت الآن بخير. يا لوسى.

انغلق فم لوسى، وتوقف الصراخ. أو قد كان صراخها هى؟ إنها لم تعى ولم تشعر بالصراخ. ولكنها أحست بيدين قويتين على ذراعيها. لقد كانت تجلس ناهضة. أما اليدان الحاسمتان فقد ضغطتا عليها برفق وحنو بسيخانها فى وسط الوسائد.

إنها يدا لوران. وذلك وجه لوران. لقد مضى شكل الذئب الآن، إنه لوران فحسب، يبدو كئيباً ومنزعجاً. قال لوران:

ــ ربما كان فرضاً عليك أن تتناولى عقاراً مسكناً. لقد أخبرت الطبيب ألا يعطيك أى شىء حتى تمتثلى العافية. فلا تتحركى، سوف أذهب من أجل احضاره.

ــ الطبيب.

ــ أنه فى الغرفة التالية. سوف أعود مباشرة من فورى.

انتظرت لوسى فى ترهل ورخو ولين حتى يعود أدراجه. جاء معه فى الصحبة الطبيب، رجل شاب قصير رشيقاً أنيقاً. اضطجعت للوراء

وانصتت إلى الطبيب ولوران يتحدثان لغة علمت أنها اللغة الأسبانية، غير أنها لم تفهم تلك اللغة لسبب ما. عندئذ اقترب الطبيب إلى الفراش. قال فى صوت منخفض كثيف النبرة باللغة الإنجليزية:

ــ ليس ثمة مايخشى عليك منه. وهذا سوف يجعلك تنامين:

وقد كان.

استيقظت مرة ثانية بجلول الظلام، وللمرة الثانية، رأت صوفى تجلس بجوارها فى الفراش. قالت صوفى بصوت بهيج:

ــ صباح الخير.

ردت لوسى قائلة:

ــ صباح النور.

هل حل الصباح، أخذت لوسى تتفكر، هل ذلك حقاً، إن ضوء الشمس هنالك يؤكد ذلك.

ــ كيف تشعرين؟

وكان من الصعب بمكان أن تصف حالتها، هى طريحة الفراش. فأخذت تنهض رويداً رويداً. قالت:

ــ أفضل عن ذى قبل.

ــ حسناً. لقد قال الطبيب إن حالتك ما هى إلا رضوض خفيفة، وبعض الجروح والكدمات. إن تعثرك كان تعثراً وسيطاً ليس بالخطير ولا بالضيئل.

ــ تعثرى.

ــ على الدرج المؤدى إلى أدنى الميناء.. أنت ربما لاتتذكرين. لقد جئت إلى فيلا لوران بالأمس لكى تشرحى لماذا فاتك ميعاده فى الليلة السالفة، وفقدت توازنك على الدرج وسقطت.

ــ وسقطت؟

كشرت صوفى عن ابتسامة. وقالت:

ــ يالك من بلهاء! إذا كان لدى أية فكرة عما كنت تنوين من أخذ

قارب الـ« صوفى» لكنت قد قيدتك فى الفراش. فأنت، لاتزالين، بالتأكيد تستحوذين على انتباهه.

اضطجعت لوسى على الوسادة إلى الوراء. لقد تذكرت الآن، الآن فحسب أن شيئاً من هذا القبيل قد وقع. فهل هى سقطت فعلاً؟ إنها لاتستطيع أن تجزم بذلك البتة. غير أنها تستطيع أن تتذكر إبحارها نحو الڤيلا، وبمقدورها كذلك أن تتذكر الونزو والمسدس.

المسدس. لم يكن لوران ليستطيع أن يخبر صوفى شيئاً عن المسدس. لذا كانت صوفى تجلس ههنا فى الڤيلا الخاصة به، هادئة وديعة، لاتعلم شيئاً عن المسدس، ولاشىء عن الخطر المحدق بها كليها. قالت بصوت واهن:

ــ صوفى. يتعين علينا أن نرحل من هنا.

ــ أو ترين ذلك؟ حسناً. أرى ذلك أنا أيضاً. أنا بحاجة إلى العودة إلى الأطفال قبل أن يذهبوا بصواب وهدوء السينيورا ريبيرو. غير أننى على يقين من أن لوران لن يدعك تنصرفين حتى تتماثلين للشفاء تماماً. إن الأمر ليس بمستغرب، إذ لاشىء هناك للقلق بشأنه. إن امرأة ههنا تدعى «خوانا»، سوف تعتنى بك.

حقاً، لم أكن بحاجة إلى المجيىء اطلاقاً، حسبما ظننت، ولكن لوران اعتقد أنك أحببت أن أكون معك ههنا حينما تستيقظين.

ــ وأفضل الذهاب الحين معك.

هزت صوفى رأسها قائلة:

ــ أنا واثقة من أن لوران لن يتخلى عنك. إنه معتز بنفسه جداً. أليس كذلك؟ إنه يختلف عنى تماماً، ولبس من النوع الذى آلفه. غير أننى أستطيع أن أفهم لماذا ترتبطين به. لقد كان منزعجاً قلقاً عنك يا لوسى. وهو لن يتركك ترحلين حتى يوضح الطبيب أن حالتك تسمح بذلك.

بحلقت لوسى بنياس فيها. لقد علمت أن الأمر جد هام الآن تجعل صوفى تتفهم الظروف، غير أن ذلك صار عسيراً، وعسيراً للغاية. نهضت

صوفى وهى تصرح:

ــ سوف أستدعيه الآن. وسوف يخبرك بنفسه. لقد كان ينتظرنى أن أعلمه بالوقت الذى استيقظت فيه.

برطمت لوسى قائلة:

ــ أوه. كلا.

وقفت صوفى فى مكان ما عند منتصف الطريق المؤدى إلى الأبواب الزجاجية، ورمقتها بنظرة. وقالت:

ــ لا داعى إذن لأن أقلق عليك. فأنت لاتبدين فى حالة سيئة، كما تظنين. كل ماهنالك أنك بعوزك تزين نفسك، غير أن منظرك المشاحب ونظرتك المسلية تلائم حالتك. ولسوف يجعل هذا لوران مستثار الغرائز الحارة، انتظرى فحسب وسوف ترين.

لم تكن لوسى تفكر فى إجابة على هذا الكلام حينما اختفت صوفى عبر الباب.

وبعد لحظات قليلة فيما بعد، ظهرت مرة ثانية ومعها لوران. نظرت لوسى وهى بعد مغلوبة على أمرها، نحوه. لقد كان لوران، ذلك الرجل الذى قابلته فى البار. لقد كان يرتدى قميصاً وبنطلوناً أبيض، وهو لا يبدو قناصاً يحمل مسدساً، ولا ذئباً ولا وحشاً، رجل أنيق فحسب يقضى أجازته فى إحدى البقاع السياحية المشمسة. تهاوى على فراشها سريعاً، وأخذ بيدها قبل أن تستطيع أن تجذبها بعيداً عنه. قال متسائلاً:

ــ هل تشعرين بتحسن؟

حاولت لوسى أن تقول فى نفسها إنه يكمن وراء تلك النظرة الهلعة والصوت المطمئن رجل خطير، ولكن لم يكن ذلك يجدى شيئاً. فأغلقت عينيها، ليغيب عن بصرها. قالت:

ــ أريد الذهاب إلى البيت.

ــ بالطبع، سوف تذهبين. سيتواجد الطبيب هنا بعد عشرين دقيقة. فإذا أذن بذلك، فسوف توصلك صوفى بالسيارة إلى المنزل، وأنت

Scanné avec CamScanner

بوسعك الخلود إلى الراحة وملازمة الفراش عندما تصلين إلى مدينة قبلا كارلوس. إذا كان هذا يجعلك راضية، وإذا كان ذلك لا يضرك أنت يا صوفى؟

قالت صوفى:

ـ إن الأمر يبدو معقولاً ومنطقياً.

إن «خوانا» سوف تكون مرحبة بالعناية بك هنا، ولكننى أستشف أنك تفضلين الذهاب إلى البيت.

هل يستطيع أن يستشف ذلك؟ ألم تكن رهينة حبيسة فى القبلا الخاصة به ههنا؟ لابد وأن يكون هناك شرك وخداع متخفى وراء وبين طيات كلماته. حاولت لوسى أن تتفكر أين يكمن ذلك، غير أنها لم تستطع أن تتبين كيف يمكنها ذلك. أما صوفى فلم تلحظ ذلك.

ـ سوف أتركك مع صوفى الآن، ولكننى سوف أراك مرة ثانية قبل ذهابك.

فتحت لوسى عينيها، فالتفت بنظرة عينية الهادئتين، ثم أغلقتها مرة ثانية.

تمتمت قائلة:

ـ أجل.

ـ ولسوف أبعث «خوانا» إليك مع بعض القهوة والإفطار. لقد قال الطبيب إنه ينبغى أن تأكلى حينما تستيقظين.

تمتمت لوسى قائلة:

ـ لا.

صاحت صوفى وهى تصحح قولها بسرعة:

ـ نعم.

وبعد ذلك بساعة ونصف الساعة، كانت لوسى ترقد فى فراشها عند قبلا صوفى وخوانا. لقد أذن لها لوران وسمح لها بالإنصراف بدون أن يعترض، على الرغم من أنه انتزع وعداً من صوفى بأن تحادثه بالتليفون

من صندوق الهاتف فى ذلك المساء، كى تخبره وتطمئنه عن حالة لوسى.

وبينما كانت صوفى تقود السيارة عبر «ماهون» شرد ذهنها فى التفكير فى الأسلوب الذى يتعامل به لوران، فأخذت تمتدح بصوت عال معالجته للحادث الذى تعرضت له لوسى.

فكرت لوسى فى اخبارها عن قصة المسدس. ولكن كانت لديها شكوك قوية فى أن تصدقها صوفى. إنها هى نفسها لم تعد تصدق ذلك. ربما كانت شطراً من الكابوس. على أية حال، لقد مضى الكابوس الآن إلى حال سبيله. أما بقية النهار فقد أمضته لوسى فى الفراش، وأنفقت يوماً آخر فى الترفيه عن نفسها بالمنزل، وأخيراً قال لها الطبيب، إنها تستطيع العودة إلى العمل.

وقفت لوسى عند مؤخرة زورق «سان فيليب»، تساعد الركاب على الهبوط على المعبر: اللوح الخشبى الخاص بالركوب على ظهر الزورق، وتتفحص تذاكرهم. لقد حانت الآن الساعة الثالثة والثلث، أى لم يبق سوى عشر دقائق وتشرع رحلة الميناء فى الإبحار، وكان ثمة طابور ضئيل من السياح الباحثين عن التسلية لقضاء اجازاتهم يقفون إلى الخلف على المسطح الأسمنتى الخاص برصيف المرفأ.

وكان هناك اثنان شقراوان، برتديان البنطلون الشورط. هل هما من الألمان؟ سألتها لوسى قائلة؟

ـ هل أنتما من ألمانيا؟

رداً عليها بابتسامة مرحبة. إنها عائلة انجليزية، لقد تذكرت؛ إنها كان يقيمان فى فندق دون كارلوس. لقد حذرت الأم بأن تراقب ابنتها الصغيرة، خوفاً من الوقوع فى المياه العميقة خارج الميناء واستدارت ملتفتة إلى الراكب التالى. أوه، لا، إنه ليس لوران، لا يمكن أن يكون لوران.

ولقد كان هو لوران عينه. قالت لوسى:

Scanné avec CamScanner

ـ ولكنك لا يمكنك أن... إننى أعمل.

قال لوران ممسكاً بشىء وهو يمد يده:

ـ أنا أمتلك تذكرة.

نظرت لوسى فاقدة الحس بلا مبالاة، لقد كان معه تذكرة. إنها لم تبع لك تلك التذكرة، ولابد أن يكون «خوان» هو الذى باعها له، أو صوفى، أو ڤانيسا. مهما يكن أى منهم هو الذى باعها، إنها تريد الآن الشروع فى ارتكاب جريمة قتلهم جميعاً، فى غير أسى.

وثب لوران إلى الزورق. نظر إلى لوسى وأومأ برأسه إلى «خوان»، وبعد ذلك استقر جالساً على المقعد الممتد على أقصى الجانب الآخر.

حدقت لوسى فيه. وسمعت صوتاً نسوياً حاداً يأتيها من خلفها، يقول:

ـ أيتها الآنسة.

التفت لترى من الهاتف كى تؤدى لها ما أرادت من خدمات.

تمكنت لوسى بشق النفس من أن تنظم جميع الركاب على ظهر الزورق. وتمكنت كذلك بشق النفس من أن تتجاوز تحركات الإبحار الأولية للزورق. وتمكنت من النقاط الميكرفون. نظرت إلى لوران آنذاك ـ ولقد كانت تلك غلطة. لقد كانت عيناه مثبتتان عليها، فارتبكت وتعثرت واقعة على الأرضية وهى تؤدى التحيات إلى الركاب. حول لوران نظرته بعناية إلى التحديق فى قمم الجرف.

لملمت لوسى شتات نفسها سريعاً، وأحكمت قبضتها على مكبر الصوت، وقالت:

ـ مرحباً بكم فى رحلة ميناء ماهون، سيداتى، آنساتى. إذا وليتم أبصاركم شطر اليمين، فسوف ترون منزلاً ضخماً أحمر اللون، يقف على أقصى ركن قنّة الجبل الخارجة منه والداخلة فى البحر. إنكم ترونها الآن أليس كذلك؟ والآن فلتولوا أبصاركم شطر الجانب الأيسر، حيث سترون المنزل النوأم له شاهقاً على الجانب المقابل من الخليج الصغير. إن تلك المنازل هى دور تحصيل الجمارك، من آثار الإحتلال الإنجليزى لجزيرة

مينوركا. لقد حكم الإنجليز تلك الجزيرة لمدة قرن من الزمان، شهد فترات متقطعة من انحسار السيادة الانجليزية، بدءاً عام ١٧٠٨ وحتى ١٨٠٢. وكان البريطانيون هم المسئولين عن انتقال حاضرة وعاصمة الجزيرة من سيوداديلا على الساحل الغربى لـ«ماهون» الواقعة على الساحل الشرقى. وقاموا أيضاً بتشييد معظم مبانى مدينة ڤيلا كارلوس. ألقو نظرة حينما نعود أدراجنا إلى المدينة، ولسوف تشاهدون أن معظم المنازل مزودة بنوافذ ذوات إطارات زجاجية، تماماً مثل مصيف البحر الإنجليزى المشيد فى عصر الملك جورج. إن تلك المنازل فريدة فى نوعها فى أسبانيا، ولن تروها فى أية مدينة أخرى. أما التكنات الكائنة فى الميدان فى وسط ومركز المدينة، فقد تم تشييدها من أجل الجنود الانجليز، برغم أن الجنود الأسبان هم الذين يحرسونها الآن. وفى تلك الأيام، بالطبع، كانت مدينة ڤيلا كارلوس لها اسم آخر مختلف. لقد كان الإنجليز يطلقون عليها مدينة جورج، على اسم مليكهم فى ذلك الزمان، وهو الملك جورج الثالث.

حفظت لوسى الكلمات عن ظهر قلب؛ وكان يحلو لها أن ترددها. وبالألمانية كذلك. أجل، ولم لا، فلتلقها باللغة الألمانية كذلك. إنها لم تلاحظ وجود أى ركاب فرنسيين، غير أنها رددت نفس المقولة باللغة الفرنسية أيضاً، حتى تشغل نفسها.

عند ذلك الحين، وكانوا يمخرون عباب الميناء الرئيسى، متوجهين ناحية مطعم الأسماك حيث تناولت هى ولوران معاً طعام العشاء دهراً من الزمن من قبل. تركت لوسى الميكرفون لحظة.

وراحت تتفكر، كيف أمكنه ذلك؟ كيف يجرؤ؟ بالسوء الأمور، لماذا لم تخمن هى أنه سيفعل ذلك، فأعدت نفسها لتكون جاهزة لملاقاة أفعاله؟ ربما كانت تعلم، عندما رفضت التكلم معه بالهاتف منه أن غادرت الڤيلا الخاصة به، أنه سوف يجد طريقة ما أخرى لكى يتصل بها. وقد كان، فأقرت بذلك فى نفسها على مضض. إذ أنها على ظهر زورق سان فيليب لا يمكنها أن تتجنبه.

Scanné avec CamScanner

غير أنه بدوره لا يستطيع التحدث إليها أيضاً بجدية. إذ أنه لن يستطيع أن يلفق لها أية مبررات بشأن المسدس، وسط حشد من السياح قوامه ثلاثون ونيف ينصتون. ومما يبعث على السخرية، أنها أكثر سلامة وأماناً منه جانبه، بينما هي على ظهر زورق سان فيليب، بأكثر من أن تكون آمنة من شروره في أي مكان آخر.

قالت ذلك في نفسها، بكل ما أوتيت من حزم، واستطردت طارقة الشطر التالي من تعليقها، قالت:

ـ أما هذا الميناء العظيم فقد شهد ثلاثة آلاف عام من التاريخ، أيتها السيدات والسادة. لقد قام الفينيقيون بتأسيس ماهون، ربما كان ذلك حوالي السنة ١٢٠٠ قبل الميلاد، على الرغم من أنه لا توجد الآن أية بقايا أو آثار ذات قيمة تدل على احتلالهم للجزيرة، يمكن للقوم أن يروها. بعد ذاك قام الإغريق بغزوها، ثم تلاهم القرطاجنيون «أهل قرطاجنة»، ثم الرومان، وقبائل الوندال، والبيزنطيون، والعرب، والنورمان والأسبان. إن هذا المرفأ قد تقابلت الشعوب والأقوام من أجل السيطرة عليه بكثافة، كما لم يتقاتلوا على أي مكان آخر في التاريخ.

إن سائر موانيء جزر البحر المتوسط نافعة مفيدة، غير أنه ربما لم يتحقق أولئك الغزاة الأولون كم امتاز هذا الميناء الخاص بالمميزات. إنه أحد الموانيء ذات المياه العميقة الأكثر جمالاً في العالم، وبعد ثاني أكثر ميناء بعد ميناء «بيرل هاربور» في المحيط الهادىء. لسوف ترون حينما تتعمق إلى الأمام عبر الميناء، كيف أن أضخم السفن تستطيع الإبحار فيه بلا مشقة، وأن تفرغ حمولاتها مباشرة على الطريق الرئيسي.

شعرت بالقدر الكافي من الثقة بعد هذا الكلام، لكي تنظر إلى لوران. إنه لا يزال كما يبدو مستغرقاً في المنظر. فمضت تتحدث وتقص نفس الرواية باللغة الألمانية.

أدار «خوان» الزورق حول الحافة غير الحادة النابعة في الميناء، وشرع في تهدئة السرعة في أثناء دخوله إلى الشاطىء الشمالي الشرقي. ووجه

الزورق بعض الياردات القليلة إلى الأمام بعيداً عن الشاطىء حينما اقتربوا من فيلا لوران.

كان زورق الـ«سانتا كاتيرينا» يرسو على الرصيف الخشبي. رمقته لوسي، وأحدقت في جانب الهضبة الواقعة إلى الوراء منه. أما الدرابزون المحيط بالدرج المؤدي إلى الفيلا، فقد كان تم اصلاحه قبلاً.

تحرك زورق «سان فيليب» ماضياً للأمام. وانزلق عابراً القنال الضيق، الذي ليس هو بأوسع من أي نهر انجليزي، والذي كان يفصل ولازارينو عن البابسة، باتجاه الناحية الشمالية. كان يلف محيطاً بالجزيرة ويتصل ببرزخه إلى عرض البحر المتوسط. وكان يعيد الإلتفاف حول ناحية ثغر المرفأ. بدأت لوسي في توزيع الكؤوس البلاستيكية وزجاجات الخمور المعتقة.

غير «خوان» الاتجاه والتف إلى «كالا سانت ايستبان»، ذلك الخليج الكبير الخارج مباشرة من الثغر إلى الميناء، وفي نهاية الخليج كان ثمة نفر ضئيل من المتنزهين الذين يقضون أجازاتهم يسبحون ويعومون في المياه الصافية الرائقة. حاولت لوسي أن تركز عليهم، غير أن عينيها ظلا يتجولان ويكرّان ناحية لوران. لقد كان يتحدث بأدب باللغة الإنجليزية مع الزوجين الانجليزيين الذين معهما ابنتهما الصغيرة، وكانا يحملان كأساً صغيراً من الخمر والليموناده.

مضت سريعاً آخر مرحلة من مراحل الرحلة، سريعاً للغاية مما أسعد لوسي. لم يستطع لوران مخاطبتها على الزورق، وكان ذلك واضحاً، وكان من الواضح بالمثل أنه قد جاء إلى الميناء واشترك في الرحلة بغرض تلمس أية فرصة لكي يحادثها. إنها لم تتوقع أن تهبط برشاقة متى ما وصل زورق سان فيليب إلى مرساه.

دخل الزورق السياحي الصغير إلى مرساة في الميناء الصافي. وثبت لوسي كما هي العادة، وساعدت «خوان» على أن يرسيه قريباً من الرصيف، ووضعت المعبر الخشبي من الألواح، وعاونت الركاب الآخرين

Scanné avec CamScanner

على الهبوط. أما لوران فلم يتبعهم. استدارت لوسى لتنظر إليه. نهض واقفاً من المقعد، وتوجه لكى يجاذب خوان أطراف الحديث. انخرطا فى محادثة قصيرة، وكان صوتها خفيضاً جداً حتى أنها لم تستطع التقاط أى كلمة من كلماته. أنهى خوان الحديث بايماءة من رأسه وابتسامة، وتحرك باتجاه لوسى فى مؤخرة الزورق. وقال:

ـ سوف أعود بعد عشر دقائق.

ثم اختفى فى اتجاه الكوخ الخاص به.

بحلقت لوسى بيأس فى أعقابه. لقد حان الآن عملها فى تنظيف المخلفات وأن تغلق على زجاجات الخمر فى المكان المخصص لها، إذ ليس بمقدورها أن تغادر الزورق حتى الآن، كما أنها لا تستطيع الفرار والهروب من لوران أيضا. لقد كان قد شرع فى ترك مؤخرة الزورق، وبدأ فى التقدم عبر الامتداد القصير من الطريق الذى يفصل بينهما.

ـ والآن ربما سوف تنصتين إلى.

ـ انصرف من هنا أرجوك.

ـ ليس قبل أن أشرح لك كل شىء.

لا حاجة بك إلى ذلك.

وأشاحت لوسى بذقنها فى حزم، وأدارت وجهها بعيداً عنه.

ـ أعتقد أننى فى حاجة إلى ذلك.

وأمسك برسغ يدها، وجذبها إليه فى خفة، وقربها منه على الزورق.

ـ الله وحده هو الذى يعلم ما الذى تفكرين فيه وتعتقدينه فى أستطيع أن أرى خيالك وهو منهمك فى العمل والتحليق فى الآفاق.

لم ترد لوسى. ولما عاد «خوان» مسرعاً، استحثها عقلها، لفعل شىء. لقد تمنت الآن لو أنها كانت قد أخبرت «خوان» وصوفى، عن حكاية المسدس. وبالتأكيد، إذا علم حقيقة ما الذى دار فى فيلا لوران، لما كان خوان قد تركها فى هذه المحنة المزعجة. قال لوران فى هدوء:

ـ لقد عاد ألونزو إلى الفيلا الخاصة بى، وتستطيعين أن ترى أننى

منزوع السلاح. فتشى جيوبى إذا أحببت.

هزت لوسى رأسها.

ـ إذن هيا تعالى واجلسى. ليس ثمة ماتخشينه. إن «خوان» سوف يكون مراقباً لنا طوال الوقت، وإذا لم تصدقينى وتصدقى تبريراتى فلا تريننى أبداً ثانية.

أتصدقه؟ إنها لن تراه ثانية سواء صدقته أم لم تصدقه؛ لا شىء، لا شىء أكثر يقيناً من هذا. فيما عدا حقيقة أن لوران لن يتركها حتى يقول كلمته. ولذلك تساهلت معه لإنهاء ذلك الأمر معه. قالت فى حنق وحقد:

ـ حسناً.

وشدة يدها محررة إياها. وعادت إلى الزورق. تبعها لوران وجلس كلاهما على المقعد الخشبى الكائن فى آخر الزورق، فى ظلال الظلة المقلمة بخيوط طولية. اقترب لوران منها وأمسك بيدها للمرة الثانية، غير أنها تحركت بسرعة وأبعدتها، فلم يصر على الإمساك بها، وقال فى صوت ثابت مضطرد:

لابد وأنك قد حسبتى أننى أنا وسلوك ألونزو لا يغتفر لنا أبداً. ليس لدى من شك فى أننى لو كنت مكانك لأحسست وأعتقدت نفس الشىء. غير أن هناك تبريراً منطقياً لكل شىء حدث، وحتى إذا وجدت نفسك غير قادرة على أن تغفر لى، أحسب أنك سوف تكونين مطمئنة لو عرفته.

لم تجب لوسى، فاستمر فى كلامه، يقول:

ـ وكما أخبرتك صديقتك «آنا»، إننى أحد رجال البنوك. وأرأس قسماً هو «براون آند ليفيفر»، بأحد بنوك باريس التجارية ـ وهو القسم الذى يتعامل مع قضايا الأسهم الجديدة. وعلى مدار العام الماضى أو شىء من هذا القبيل، كنا نتداول بعض القضايا السياسية ذات الخلافات، التى تنقسم بشأنها الحكومة الفرنسية. لقد كانت الحكومة تحول

مختلف الشركات المؤممة من القطاع العام إلى ملكية القطاع الخاص. وهى سياسة يستهجنها ويستنكرها السياسيون اليساريون بشدة، وكنتيجة لنورطنا فى المشكلة، لحقت بالبنك سمعة غير مؤاتية.

قالت لوسى بعصبية:

ـ لقد سمعت كلاماً عن هذا الموضوع. إنها إحدى الشركات العاملة فى المجالات الجوية، أليست هى؟ و...

أحست بلوران وقد بدأ فى الدهشة؟ قائلاً:

ـ هذا صحيح. إنها شركة «ايروسباسباك دى فرانس»، وهى فرع من شركة «اس إن سى اف». لقد كان شخص الرجل الذى أمامك أتولى كلنا الصفقتين هاتين.

ـ ولكن ما علاقة هذا بالموضوع....؟

ـ إننى أمهد من أجل الوصول إلى هذا. لقد كان ثمة المزيد من السمعة الضارة لحقت بصفقات الاسم فى أورقة الصحافة المالية حول أوروبا قاطبة، ولكن على وجه الخصوص فى فرنسا، وكنتيجة كذلك، أصبح اسمى معروفاً لدى إحدى المنظمات اليسارية الإرهابية، وهى إحدى المنظمات التى يعارض أعضاؤها بعنف تلك السياسة الحكومية. لقد اتصلوا هاتفياً بى وأنذرونى بالعديد من التهديدات وكذا للبنك، حتى يفزعونا فنرتدع وننسحب من الصفقات. بعد ذاك حينما لم تنجح تلك التهديدات، أرسلوا تهديداً مكتوباً قوامه قتلى إذا ما صممنا على المضى قدماً فى العمل.

ـ القتل؟

لم تسحب يدها بعيداً فى هذه المرة عندما أمسك لوران بها. وتحولت عيناها مرتفعة إلى وجهه على نحو غريزى. فلاقتها عيناه بترحاب. إنه لا يكذب، اقتنعت بذلك فجأة، ولا يختلق الحكايات.

إن كل هذا حقيقة مطلقة. قال لوران:

ـ إن الموضوع يبدو مريعاً. وأنا أعلم ذلك. كاف لكى يسبب

الكوابيس لأى إنسان. ولكن فى الواقع والحقيقة إنه ليس مرعباً بمثل تلك الدرجة. لقد طمأننى البوليس قائلاً إن الآلاف من الناس من بين العوام تيلقون يومياً خطابات مماثلة.

ـ ولكن أن يقتلوك لمجرد أى صفقات الأسهم...

ـ إنه أمر غير مفهوم، أعرف ذلك، حتى بالنسبة لمعظم الناس العاديين. ولكن بالنسبة إلى أولئك المتعصبين، تمثل سياسة الدولة فى التحول إلى القطاع الخاص عرضاً حيوياً من أعراض المؤامرة الرأسمالية المدبرة ضد الطبقة العاملة الأمنية فى فرنسا.

وأصدر ضحكة عصبية، وأردف:

ـ إن تلك النوعدات ما هى إلا محاولة أصيلة ولا ريب تستهدف أجبار واكراه البنك على تغيير رأيه بشأن قبول الأعمال التجارية. إن ذلك لا يعنى أن الإرهابيين سوف ينقذونها بالضرورة، على الرغم من ذلك، إن جل هذه التهديدات خاوية تماماً.

قالت لوسى ببطء:

ـ إذن أنت لم تكن حقاً فى خطر.

وفى نفس الوقت كان عقلها يعمل فى يحموم. قتل لوران، وظل يردد ويكرر ذلك. قتل لوران! أوه، لا، لا، لا، لا.....

وافقها لوران على رأيها وصرح:

ـ ربما لم أكن فى خطر.

وعصر يدها مطمئناً إياها، وقال:

ـ أنا لا زلت على قيد الحياة، كما ترينى! غير أن معظم تهديدات القتل برغم ذلك ليست أكثر من خداع، ثمة استثناءات عرضية. وطبيعياً أن آخذ الخطاب متوجهاً إلى البوليس، حيث نصحونى بأن تلك الجماعة الإرهابية على وجه الخصوص كانت قد نفذت بعض عمليات الاغتيالات القليلة ذات الدوافع السياسية، على مدار السنوات القلائل الفائتة.

تحولت لوسى إلى كتلة من الثلج. وتفكرت فى قتل لوران. إن قتل

Scanné avec CamScanner

لوران أمر شائن بشع. لقد عرف وجرب ذلك بنفسه، الشعور بأن مسدساً مصوباً مباشرة إلى نفسه. وفى حالته هو فحسب لقد كانت المسألة أكثر من أن تكون لحظة عابرة منفصلة من لحظات الإرهاب، لقد كان ذلك تهديداً مجهولاً غير مرئى معلق كالسيف على رأسه طوال الوقت.

وكان عليه أن يظل يتفكر فى أية لحظة سوف تستقر الرصاصة فى صدره. وكان يجب ويتعين عليه ذلك؟ يا للسماء، هل هو لا يزال متفكراً متدبراً فى ذلك! قال لوران برفق:

ـ لوسى. لقد انتهى كل شىء الآن. أعدك، لقد انتهى. ولم يعد ثمة خطر، سواء بالنسبة لى أو لك.

طعن الصوت الواثق المطمئن غياهب وغيوب الارهاب المغشية على عقلها وذهنها. لقد انتهى. قالت تتمتم:

ـ يا الهى.

ـ انظرى ـ أوه. تعالى ههنا!

صرخ لوران على حين عزة فى ضجر. لقد أمسك بها وشدها بقوة إليه. أما لوسى فقد مدت ذراعيها وعصرتها بإحكام عليه وحوله. إنها الآن تستطيع أن تشعر به، صلباً ودافئاً وعلى قيد الحياة أمامها. جلسا على هذا النحو، يمسكان ببعضهما البعض بإحكام قدراستطاعتها، فيما بدا وكأنه دهر من الزمان.

لانت قبضة لوران رويداً رويداً، وهو يتساءل فى صوت خفيض، قائلاً:

ـ هل أنت بخير الآن؟

قالت لوسى فى ترنح وغير ثبات، وهى تضع يداً على مؤخرة رأسها:

ـ اعتقد ذلك.

ـ أهو الصداع؟

ـ لا أعتقد ذلك.

ضحك من ردها. الأمر الذى كسر من حدة التوتر إلى حد ما،

فوجدت لوسى نفسها تضحك أيضاً، وتقترب منه مرة ثانية. قالت:

إنه ليس كذلك.

وقد شفيت بما فيه الكفاية حتى تستطيع التكلم، وأضافت:

ـ إن كل ما هنالك أن الأمر يبدو كما لو كان...

ـ خيالاً غير حقيقى.

قال ذلك لوران منهياً كلامها، وأردف قائلاً:

ـ إن هذا هو تماماً ما ظهر لى، عندما فتحت الخطاب أول مرة فى مكتبى وقرأت تلك التهديدات المحالة، المنافية للعقل والمنطق. أحياناً يبدو الأمر كما لو كان من الغباء أن نصف أحوالنا فى الكلمات العاجزة، وفى أحيان أخرى، تكتشفين أنك تؤمنين بأن الكلمات تؤدى المعنى، يا إلهى، إنها مسألة تجعل الدماء تمور فى غير هدوء.

وافقت لوسى على قوله هذا وصاحت:

ـ ذلك هو عين ما حدث. ولكن الخطر زال وتلاشى الآن؟

قال لوران بحزم:

لقد زال وتلاشى فعلياً. انظرى، إن «خوان» المسكين لا يزال ينتظرنا. أفضل أن أتركه يعرف بنفسه أن كل شىء صار الآن على ما يرام، وعند ذاك سوف يستمر هو. وآنذاك سوف أخبرك ببقية القصة، ثم أوصلك بالسيارة إلى منزلك بنفسى.

نظرت لوسى حول كتفه. لقد كان خوان، يميل خارجاً من كوخه ـ الذى أغلق الآن ـ وكان واضحاً أنه ينتظر كليهما. أضاف لوران:

ـ إن كل شىء على ما يرام، أليس كذلك؟

ـ نعم، كل شىء على ما يرام.

راقبت لوران وهو يقفز من مؤخرة زورق سان فيليب، ويمشى متوجهاً نحو خوان. لقد كانت ترى خوان يكشر عن ابتسامة، وأخذ يربت محيياً على كتفه. بعد ذاك تحرك خوان متجهاً صوب سيارته، أما لوران فقد شق طريقه عائداً نحوها فى الزورق.

بدت كما لو كانت قد اطلعت على كل تفاصيل ما دار بينها، بكثافة، طالما أن التهديد بالقتل قد ذهب طياق وأدراج الرياح، الأمر الذى جعله حياً يرزق أمامها، فهى سعيدة. كما زاد حبورها علمها أن بدأت تتحقق وتؤمن الآن من أنه ليس وحشاً كالذى يطاردها فى كوابيسها، وأن ساتر وبقية قصته سوف تشرح كل شىء لها.

كل شىء عنه سوف يزيدها سروراً؛ مشيته السهلة الرشيقة، والقميص الأنيق المقلم، والبنطلون الأبيض، واللون البنى الخاص ببشرته، وعضلات ذراعيه المفتولة، هو يقف شامخاً ممشوقاً واضعاً أحد يديه على مؤخرة الزورق وينحنى انحناءة بسيطة يدعوها بها للقدوم ومصاحبته والانضمام إليه.

لقد أخذت نظراتها إليه وسرته، فابتسم إليها. وجلسا هينهة، ينظرات فحسب كلاهما إلى الآخر فى سعادة.

مد لوران يداً فى لطف وكياسة وأمسك بلفيفة من لفائف شعرها، وجذب وجهها ناصيته، ورويداً رويداً، فى خفة ورشاقة، جعل شفتيه تستقران على شفتيها.

لم تحاول لوسى أن تزيد كثافة الاتصال. لقد كان ذلك كافياً من أجل أن تعرف أنه متواجد ههنا، وأنه حى يرزق. وأنه يقيناً وبكل تأكيد ينتمى إليها. تساءل قائلاً:

ــ هل تحبين أن تسمعى بقية القصة؟

ــ من فضلك.

ــ حسنا، كما قلت، كان دائماً ثمة فرصة خارجية فى أن التهديد ليس مجرد خداع، ولذلك فقد نصحنى البوليس بأن آخذ حذرى، حتى ينتهى الهوجة. واقترحوا أن أغادر باريس لبرهة من الزمن، وطلب منى تحديد أى مكان آخر أفضل الذهاب إليه. أخبرتهم بشأن الڤيلا. التى كانت كاترين قد اشترتها ــ زوجتى السابقة ــ فى العام المنصرم. ولكننى لم يحدث أن جئت إلى هنا قبلاً. وأخبرونى بأنه المكان المثالى بالنسبة لى

للمجيىء إلى هنا إن مينوركا، جزيرة صغيرة هادئة، وسوف يكون عسيراً للغاية بالنسبة للإرهابيين المعروفين أن يهبطوا هنا بدون أن يوضعوا تحت المراقبة ونرصد تحركاتهم.

ــ ولذلك جئت إلى هنا.

ــ بمجرد ما استطعت، وبمجرد أن انتهى كل العمل المتصل بالصفقات. ولم أكن بصدد أن أسمع للإرهابيين بأن يفزعونى، ويردعونى عن انجاز ذلك، ولكننى استطيع أن أرى العقل والصواب فى الحفاظ على الحذر. إذ أننى فى الأيام العشرة الأوائل لم أبرح الڤيلا إلى الخارج أبداً. وبمرور تلك الأيام صرت ضجراً شاعراً بالملل والسقم. إذ لم أتعود على ذلك أصلاً. ولم آخذ أية أجازات لسنوات عديدة، ولست من النوع من الأشخاص الذين يسترخون على أحواض السباحة لساعات طويلة هكذا. ولذلك سألت البوليس المحلى إذا كان من السلامة أن أخرج، فأخبرونى بأنهم يعتقدون فى سلامة الخروج. ومن الواضح أننى لم أرد أن أجعل نفسى مرئياً مشاهداً على الملأ، ولذلك أخترت الذهاب إلى أحد البارات الهادئة فى الخليج الهادىء الصغير من اجل احتساء بعض الشراب.

ــ ذلك بار «السيد مال»

ــ هذا صحيح.

ــ ورحت أنت تتكلمين بصراحة ومباشرة عن الڤيلا والزورق الضخم!

كشر لوران عن ابتسامة، وقال:

ــ اعتقدت برهة أننى قد صرت مجنوناً. الزورق الأبيض السريع؛ لقد قلت فى نفسى أنه لا يمكن أن يكون زورق الـ «سانت كاترينا»، غير أننى تحققت وتحريات عن المسألة مع ألونزو فى اليوم التالى صباحاً، وعلمت أن هذا هو عين ما وقع.

أقطبت لوسى جبينها قائلة:

ــ لماذا؟ لماذا فعل ذلك.

Scanné avec CamScanner

هز لورانة كتفيه قائلاً :

ـ سوء حكم على الأمور وسوء تصرف، أحسب أنك يمكنك أن تقولى هذا. لقد استأجرت ألونزو ليعمل كرجل حراسة، ويعمل فى أداء ضروب مختلفة من المهام فى الڤيلا. لقد وضعت الشرطة يدى عليه. وكان لدى شك فى أن يكون لديه سجل وملف إجرامى هو نفسه، غير أن هذا لم يزعجنى، بل جعل كل الأمور تبدو اعتيادية، حيث يستطيع أن يرصد أى شىء مريب يدور حولنا. أتممنا الترتيبات الأمنية حول الڤيلا، وذكرت له أننى تعيس وغير راض عن حركة الزوارق حول المكان المجاور لنا من الميناء. لقد كانت كاترين قد قالت لى إن الڤيلا تطل وتشرف على الشاطىء، غير أنه لم يرد على خاطرى أو يدر بخلدى أن سيكون هناك مواكب هائلة من الزوارق تحت أقدام حديقتى طوال النهار. وتعجبت مصدراً صوتاً عالياً ومتسائلاً عما إذا كان ثمة شىء كفيل بأن يجعل الزوارق تبتعد أبعد قليلاً عن خط الشاطىء.. وأن....

ـ وأن ذلك كان عين ما فعله ألونزو.

ـ كان ذلك أحد الأشياء التى فعلها. لقد تمكن من إبعاد اليخوت بعيداً فى يسر، وبعد ذاك تولى إبعاد الزوارق السياحية.

هذا أمر معقول. لقد اتضح كل شىء الآن وصار صائباً. وكان ألونزو بنخبط، وهو يبذل قصارى جهده فى تأمين سلامة لوران.

ولقد أثار قلق لوران اكتشافه أن جمهور ألونزو لم تؤد إلا إلى إثارة فضول لوسى؛ كما أثارت قلقه الأكبر أخبارها إياه عن تعليقات «آنا». ولقد كان ذلك هو آخر مايود أن يسمعه، وهى الآن بوسعها أن تتفهم وترى، كيف تدور الأمور من حولها.

قالت لوسى فى هدوء :

ـ غير أن كل ذلك أخفق فى إحداث التأثير المطلوب.

ـ لقد بدت فى الأول وكأنها نافعة على نحو يقينى. وبعد أن أخبرتنى وحدثتنى عن آنا، ترددت فى الخروج مرة ثانية، حتى مجرد أن

أصاحبك على العشاء. وبعدها، عندما أمسك بلو ألونزو فى الڤيلا...

قالت لوسى صائحة :

ـ لقد تخيلت ما هو أسوأ.

ـ لم أعتقد أنه توقف حتى ليتخيل الأمور، لقد تصرف برد فعل فورى. وأنت لم تكونى فى خطر حقيقى ـ إن المسدس لم يكن عامراً بالرصاص. وأنا أعرف أنه قد روعك، ولكننى لا يمكن أن توجهى لى ولا له اللوم على ذلك. إنه كان يبذل قصارى جهده لتنفيذ تعليماتى. وإنى لآمل أنك سوف تتفهمين ذلك بما فيه الكفاية، على الرغم من أننى تكلمت وعنفته بقسوة وشدة، ولا أستطيع أن أطرده ببساطة فى تلك الظروف.

وافقته لوسى على ذلك قائلة :

ـ بطبيعة الحال، لا تفعل ذلك.

إنها لم تحب فكرة مواجهة ألونزو مرة ثانية، ولكنها تستطيع أن ترى وتتفهم الصواب والعقل فيما قاله لوران. بل تفكرت فيما هو أبعد من ذلك. قالت فى بطء :

ـ أما الأمر الذى لازلت لا أفهمه، فهو كيف ولماذا أنت فى مأمن الآن ولا تخاف.

ـ لقد حدث ذلك كله عبر الساعات الأربع والعشرين الماضية. لقد هزنى بشدة، هروبك وجريانك من الڤيلا ثم وقوعك ذلك السقوط المروع. ومن حسن الحظ، أنك أصبت فقط برضوض وكدمات، غير أننى لا أستطيع تحاشى التفكير فى أن الأمور وحالتك ربما كانت قد تحولت إلى الأسوأ. وفيما بعد ذلك، كنت أنتظر شفاءك، وعلمت بأننى لا يمكننى الاستمرار على هذه الحال.

أنا لا أستطيع الحفاظ وإقامة سياج بينى وبين العالم من دونى إلى الأبد، لقد كان يتعين على أن أعيد التفكير فى الموقف. ولذلك خاطبت الشرطة فى ماهون، وكذا بوليس باريس، وقمت بإجراء اتصالات

Scanné avec CamScanner

بالانتربول «البوليس الدولى»، ونجحت فى اثارتهم بما فيه الكفاية كى يقوموا بتقييم ودراسة الموقف كلية.

ـ وأخبروك بأنك فى مأمن.

أصدر لوران ابتسامة معبرة عن القلق، وصاح:

ـ وهذا هو ما يجعلك تشعرين بالأمان أيضاً، وهو ما فهمتيه أنت. إن ذلك عبارة عن تركيبته من الأشياء، حقاً. وأعتقد حينذاك، وبوصولنا إلى هذه الدرجة من الفهم، أننى صرت على وشك الجنون. وبرجاحة عقل، على سبيل المثال، رأيت أن «آنا» ومرشدات الزوارق الأخرى يعتبرننى على وجه الخصوصة غير مشوق أو مسل لركابهم وأنهم كانوا فى الاحتمال الأكبر يزعجهم ويقض مضجعهم أن يذكرونى بالإسم. وبدلاً من أن أخبر نفس بأن البوليس عرضة للخطأ أيضاً أثناء حرصه على استتاب الأمن، فإننى قد فعلت كل شىء نصحونى به من أجل حماية نفسى، وبضعف ما كانوا يأمرون.

وثمة سبب آخر هو انحسار وتلاشى وزوال الخطر حقاً. فإذا كان الارهابيون قد تآمروا ليقتلونى، لتصرفوا بسرعة وخفة، بمجرد ما صار واضحاً بأننى لن استجيب إلى الخطاب. أما صفقة الأسهم، فلقد صارت أخباراً قديمة بمرور الوقت. ثم بعد ذاك أخبرنى البوليس فى باريس أخيراً بأنهم قد أخضعوا كافة الارهابيين المشتبه فيهم تحت المراقبة الدقيقة على مدار الأسابيع القلائل السالفة، وانتهوا الآن إلى أن الوعيد والتهديد ماهو إلا محض خواء.

ـ أحقاً؟

ـ حقاً. إن المشتبة فيهم لم يفعلوا أى شىء يثبت عكس ذلك، لا شىء البتة. إنهم لم يقوموا حتى بتحديد الأماكن الحساسة فى البنك. بصرف النظر عن إقتفاء إثرى إلى جزيرة مينوركا. ولقد ولوا شطر وجوههم وانتباههم إلى قضية مختلفة، وكانوا يكتبوا خطابات مماثلة للمسئولين فى وزارة الداخلية.

قالت لوسى وهى تستشعر الألم:

ـ يالهم من مسئولين مساكين.

ـ أجل، إنهم مسئولون مساكين، ولكننى محظوظ.

ـ وكذا أنا.

ضحك لوران، وقبلها مرة ثانية، واضحى ضغط شفتيه على شفتيها أكبر وأشد فى هذه المرة. قال:

ـ هلم بنا. إن خوان وصوفى لابد وأن يكونا يتساءلان أين ذهبت. سوف أعيدك ثانية إلى الفيلا، وبعدها إذا شعرت بأنك قادرة ومعافاة، ربما استطعنا الخروج على العشاء هذه الليلة معنا.

قالت لوسى مؤكدة قوله:

ـ لوران، أنا أشعر بأننى سعيدة ورائعة.

Scanné avec CamScanner

الفصل السابع

طمأنت لوسى لوران قائلة له :

ـ لن أتأخر عليك طويلاً .

وهى تتركه على أعتاب الدرج فى الفيلا ، وأضافت :

ـ لا داعٍ للعجلة . إن صوفى سوف تعتنى بى .

وقالت فى نفسها إننى لأراهن أنها سوف تفعل ، بينما كانت تنظر إليه وهو يختفى عن ناظريها . وأية امرأة تختلف عنها فى ذلك ؟

ولكم هو بحاجة إلى العناية والرعاية ! تألم وأخفق قلبها لدى تذكرها المآزق التى تعرض لها طوال ذلك الصيف . وبقدر ما تعلم ، ليس له من ونيس أو رفيق مثل صوفى وخوان يستطيع أن يفضى إليهما بمتاعبه ، كان هناك فحسب ألونزو الذى يحول بينه وبين وقوع الكارثة . ولكم كان شعوره بالوحدة مريراً ومريعاً حينما قرأ ذلك الخطاب المرعب . ولكم كان احساسه كبيراً بالعزلة ، لما أتى إلى جزيرة غريبة ، موحشة له ، إلى بيت زوجته السابقة الذى اشترته ، وجاءت إليه بدونه فى العام المنصرم . إنها حقاً امرأة غبية بلهاء بالغة الحماقة . لا استطيع أن أتخيل أية امرأة تهجر لوران !

أما هى ، أى لوسى ، فلن تفعل ، إن هذا أمر برقى لمرتبة اليقين . كما أنها لن تستطيع الفوز به فى المقام الأول ، إذا ما مكثت هنالك تنفق الوقت متكاسلة طوال الليل ! لقد تخلت عن أحلامها على عجل وهرعت إلى أعلى الدرج للإستعداد للخروج حسب الموعد .

إن لوران ليس أمامه أية فرصة لتغيير ملابسه ، ولذلك كان يتعين عليها أن ترتدى أى شىء يتماشى مع قميصه وبنطلونه الذين كان يلبسهما ذلك اليوم . نفضت الغبار عن دولابها الصغير الذى يحتوى على ملابس السهرات والأجازات ، وأخيراً استقر رأيها على ارتداء فستان أزرق فاتح ذى أزرار تفتح ناحية الصدر ولأسفل . وكان عنق الفستان المصمم على هيئة حرف ٧ يعنى أنها لن ترتدى السوتيان من تحته . وقد شعرت بالسعادة ؛ لأن لديها صغيران ومتماسكان ، ليسا بحاجة إلى سوتيان يدعمهما .

أكان ثمة وقت لكى تسرح شعرها ؟ كلا ، إنه لم يحب أن يراها وشعرها ملفوف . لقد كان يحب أن يراها طلقة الشعر مثل سندريللا . أمضت خمس دقائق تصفف التجاعيد التى لحقت بشعرها على ظهر الزورق ، وهى بعد تشعر بالارتياح لأنها كانت قد غسلته فى ساعة مبكرة فى ذلك الصباح . لقد كان يحب منها أن تبدو طبيعية ، إلا أن هذا فى حد ذاته لم يعن أن الطبيعة لم تسدى صنيعاً وتضفى جمالاً بارعاً بديعاً عليها ، ولذلك فقد زينت عينيها الخضراوين بلمسة من قلم الماكياج الأزرق ، ونثرت بعض الظلال على صدغها مستعملة أدوات التجميل . لابد وأنه سيشعر بالراحة والاسترخاء النفسى عندما يراها الآن ، بكل تأكيد . كما أنه لن يخالجه التوتر وتلك النظرة القلقة ، بعد الآن ، إذ أنه قد أيقن وعلم أنه فى مأمن .

وهو لن يحاول بعد ذلك أن يباعد بينه وبينها . إن العلاقات الروحانية التى تحدث غالباً فى الأجازات بين العشاق ، يمكن أن تحدث الآن بينهما بشغف . وفى نفس الوقت يمكنها البدء بشغف ولهفة فى أن ترى ما إذا

Scanné avec CamScanner

كان هناك أية فرصة لكى تجعل من تلك العاطفة علاقة دائمة مستديمة بالزواج منه.

لم يكن عاقداً العزم على الزواج مرة ثانية، وكان يجاذب نفسه أطراف الحديث مفضياً إليها بتلك الحقيقة. يالها من حقيقة كئيبة موحشة، غير أن سائر الرجال المطلقين كانوا يحادثون أنفسهم بذلك فى البداية، هذا أمر يقينى أم ماذا؟ ربما أقنعته أحداث فصل الصيف بأنه يعوزه امرأة دائمة فى حياته، إمرأة يثق فيها، وأن يركن إليها ويفضى إليها بمكنون قلبه.

إنه أحد رجال البنوك. وليس مجرد أى رجل من رجال البنوك، إنه يعمل فى أحد البنوك التجارية. ويشغل منصب رئيس قسم فى «براون آند ليفيفر». كانت لوسى قد سمعت كلاماً تردد عن «براون آند ليفيفر»، إنها أحد الديار المصرفية الدولية ذات السمعة والشهرة الدولية، التى كانت تتوق إلى العمل فيها بنفسها عقب تخرجها من الجامعة.

ما الذى سوف يظنه لوران، عندما تخبره بأن طموحها الذاتى هو الإلتحاق بالعمل مهنياً فى أحد البنوك التجارية؟ راحت تعجب لوسى وتتساءل. إنه لا يزال متوتراً مشدوداً متحفظاً ومخفياً لأسراره كما عهدته دوماً، ولم يشجعها على معرفة شىء عن نفسه وأحواله، مثلما كان يدفعها إلى أن تخبره بكل شىء عن نفسها وحياتها. والآن، لقد حانت الفرصة فى أن تسبر أغواره وتنقب بطريقة غير مباشرة فى طيات المسارات العابرة بينها عن أفكاره وأحاسيسه الحقيقية، وكذا عن معتقداته وآماله ومخاوفه. والآن يتعين عليها بالمثل أن تنتهز تلك الفرصة كى تخبره عن لوسى الحقيقية. وبطبيعة الحال، كانت لوسى التى عرفها قبلاً هى لوسى ذاتها الحقيقية بمعنى أو آخر، بيد أنه كانت ثمة لوسى أخرى، لوسى التى عاشت فى المدن الشمالية الرمادية، لوسى التى تشبه إلى حد كبير حقيقتها عينها، والتى تواجدت هنالك لمدة طويلة وقدر طويل من الزمان.

ملست على شفتيها مسحة طفيفة من أحمر الشفاه الروج بلون القرنفل، ومسحت نصفها، ثم انطلقت تهبط أسفل الدرج.

كان لوران فى الغرفة الأمامية، يتحدث مع صوفى التى لم يشوش عليها الصوت المدوى للتلفاز، والجدال والشجار المحتدم بين مانويل وماريا، وصرخات كارا بينما كان خوان يضعها على ركبتيه.

استدار ملتفتاً وراح ينظر إليها من أعلى إلى أسفل. ثبتت لوسى بلا حراك، وهى بعد واعية ومدركة لتفحصه ونظراته. كان ثمة شىء معقد وغير بسيط يشوب الطريقة التى كان ينظر بها إليها وإن كانت تنم عن المدح والثناء على فتنة جمالها. لقد كان مختلفاً عن حوف، وعن الشبان الذين عرفتهم فى الجامعة. وكان أمراً مدهشاً مفاجئاً، لما علمت أنه يطيش بصوابه أن يراها منطلقة على طبيعتها بدون تكلف أو تصنع. وربما كان يفضل أن يراها فى أبهى حلة ترتديها، وهى بعد قد أخذت زينتها وصففت شعرها، وتحلت من الجواهر بما ارتفع ثمنه وقيمته، وهى تمضى معه أوقاتاً سعيدة فى باريس.

غير أنها ليسا الآن فى باريس، إنها يمضيان شطراً من العمر على جزيرة مينوركا، وكانت الشمس تلقى بأشعتها الذهبية ولا تزال مشرقة، أما السماء فقد كانت زرقاء. سألته لوسى على سجيتها بروح مرحة قائلة:

ــ إلى أين نحن ذاهبان؟

سيوداربللا. حسبا نصحتنى صوفى.

ــ حسناً.

التفت خوان إليها وقالت:

ولسوف نعود بحلول....

منتصف الليل؟ أوه، إنه خوان، وليس بمقدورى أن أعود فى الساعة الواحدة بل يتعين أن تكون العودة فى منتصف الليل؟

قالت صوفى:

ــ لوسى، يا حبيبتى. لقد مر يوم واحد فقط منذ كنتى طريحة فى الفراش. فهل يناسبك العودة فى الساعة الثانية عشرة؟

هل ثمة شىء يكرهها على أن يعاملاها كما لو كانت تلميذة فى

Scanné avec CamScanner

أحدى المدارس أمام لوران؟ تفكرت لوسى فى ذلك وقد ألم بها الشعور بالتمرد والعصيان. غير أن صوفى لم يكن لديها حيثية فى تصرفها: ألا يمكن التحكم أبداً فى ذلك الطنين والأزيز الذى فى رأسها، والذى لم يكن بمثابة الصداع، والذى لا يزال دائماً وأبداً يلازمها؟

قال لوران بحزم:

ــ حسنا، إلى اللقاء أيها الأطفال.

قال الأطفال فى صوت جماعى، بينما كان هو ولوسى يشقان طريقهما نحو الباب: إلى اللقاء.

تساءلت لوسى، حينما أصبحا داخل سيارة لوران قائلة:

ــ ألا يذكرك مانويل بابنك چيل؟

ــ چيل؟ كلا ليس على وجه الخصوص.

وأحدق فيها عابساً بعض الشىء، كما لو كان قد نسى أنه قد ذكر ابنه لها من قبل. كان ذكر أمراً يم عن أنه ليس منطلقاً على سجيته، وأنه غير مستريح. وأنه بمثابة رفض للمناقشة فى ذلك الموضوع. ربما كانت متطفلة جداً، ومتسرعة جداً. فأخذت تفير من المادثة على عجل.

ــ وبالطبع لم تنسن لى أو تسنح الفرصة للإعتذار لك عن عدم حضورى إليك فى الموعد السابق.

ــ أوه، لقد شرحت صوفى أنها لم توصل إليك الخطاب. ولقد علمت بأن تلك الطريقة لم تكن موثوقة ويعول عليها فى الإتصال بك. لقد كنت أنوى الاتصال هاتفياً، غير أنها لم أعرف رقم التليفون الخاص بك.

ــ ليس لدى صوفى وخوان تليفون. أما صوفى فهى تكره الهواتف، وأما خوان فلا يعنيه الأمر فى شىء أن يعيش بدون تليفون.

مضت لوسى تشرع وتبرر اليوم الذى أنفقته كله خارج المنزل فى الرحلة.

قال لوران:

ــ إنى لسعيد أن الأمر لم ينطو على خطورة. ولم تبدو صوفى منزعجة البتة، ولكن اتضح من كلامها أنها لم تحبذ أو تحب منك التأخر هكذا إلى ساعة متأخرة بدون إخطارها وإشعارها بذلك.

قالت لوسى وقد استبد بها التوتر قليلاً:

ــ كلا، الأمر ليس على هذا المنوال. لابد أن تعلم أننى كدت التعرض إلى كارثة: التوقف فى عرض الميناء، والبحث عن الوقود، والجنوح بالقارب فى وسط الجزيرة بدون بترول للتشغيل. ولكن فى الواقع أنا انسانة هادئة رابطة الجأش ومتماسكة.

قال لوران بصوت مداعب:

ــ أحقاً ماتقولين؟

راحت لوسى تلعن بينها وبين نفسها فلن يكون مدهشاً إذا هو اعتقد فى ذلك مثل صوفى. وكان من الواضح أن تلك اللحظة لاتناسب أن تحاول فيها أن تقدم نفسها إليه، وتعطيه صورة طيبة عن نفسها، على إنها امرأة عاملة مهنية واعدة بمستقبل باهر ــ إذ أنه ساعتئذ سوف ينطلق ضاحكاً وينفجر فى القهقهة. وبدلاً من ذلك سألته:

ــ هل حدث أنك زرت من قبل سيوداديلا؟

ــ كلا، أبداً، خبرينى عنها.

شرعت لوسى تحادثه عنها وعن العاصمة القديمة حاضرة الجزيرة. إنها سيكونان هناك بعد أقل من ساعة من الزمن، وعلمت أنها يمكنها أن تقتنص الفرصة لتبين له وتوضح بعضاً من المبانى العتيقة، قبل أن تغيب الشمس غاربة. كانت سيوداديلا مدينة أعرق قدماً من مدينة «ماهون»، أخذت لوسى تشرح له ذلك، وأنها لاتزال تحتوى على المبانى التى ترجع إلى العصور الوسطى، المشيدة على الطراز الإسلامى الذى بناه فاتحو الاندلس من المغاربة. وصفت بعضاً من المعالم السياحية التى تقرر أن تغلق أمام الزوار فى الموعد الذى وصلا فيه: وهى الكاتدرائية، وصالة المدينة ذات التيراس الأنيق الجميل المشرف على الميناء، والكرسى الأسقفى.

Scanned with CamScanner

وبينما كانت تتحدث، كان لوران يقود السيارة، بسرعة وإتقان، على طول الطريق المؤدى عبر أقصى إتساع فى الجزيرة من مدينة ماهون فى الشرق إلى مدينة سيوداديلا فى الغرب. إنه لم يزر المدينة العتيقة من قبل، غير أن الطريق جعل من المتابعة أمراً يسيراً، وهو يعبر ويشق ثلاث مدن صغيرة، مثل ألايور، التى كانت فى حقيقتها أصغر من القرى.

ركناً السيارة فى أحد الشوارع الجانبية ليس بعيداً عن مركز مدينة سيوداديلا، وقادته لوسى عبر الشوارع الضيقة، التى اصطف على جانبيها المبانى الشاهقة المنحوتة زخارفها من الحجر الأصفر الناعم. وبينت لـلوران الأروقة المقنطرة الخاصة بالكاندرانية والتى يشغلها الآن البوتيكات الحديثة، والمزدحة فى الأمسيات، وكذا أطلعته على قصر «بلازا ديس بورن» ذى الثلاثة جوانب، المحاط بالمبانى المدينة العظيمة وقصور النبلاء القدامى؛ والمنظر البديع المؤدى إلى أسفل الميناء الضيق الطويل، الذى ترسو على شواطئه اليخوت والمطاعم المشيدة بجوار المرفأ. كما أنها تجولا حتى داخل الأبواب المفتوحة الخاصة بالمنازل القديمة والتى تحولت إلى مكاتب، وكذا الصالات المشيدة من الحجارة، وبها طرق الدرج الضخمة التى تلتف سلالمها لأعلى على هيئة الزنبرك.

قال لوران:

ــ رائع بديع، تلك المتعة التى تأتى فى أعقاب مشاهدة المبانى الخراسانية فى مدينة ماهون. إنها تؤسفنى، حقاً، حقيقة أن الڤيلا الخاصة بى ليست واقعة وكائنة فى هذه المنطقة. لقد كانت محض اختيار من كاترين، التى اتخذت الطابع والطراز الدولى، إنها مشيدة على المذهب الوظيفى، غير أنها لا أجدها جذابة مشوقة على وجه الخصوص.

قالت لوسى:

ــ إنى لسعيدة لأننى أتفق معك تماماً فى الرأى. لقد كان حلماً من أحلامى، حين رأيت تلك المنازل أول مرة، أن أعيش فى إحداها، فى منزل يشبهها. غير أننى لا أعتقد أن الكثير منها يستخدم كمنازل وبيوت يتم

فيها تقضية أوقات الأجازات ــ إن العملاء الدوليين لا يبدون وكأنهم يستعملونها.

وافق لوران لوسى فى رأيها وقال:

ــ ربما كان ذلك صحيحاً. هل أنت مستعدة لتناول الطعام الآن؟

ــ ثمة أماكن أخرى أريد أن أريك إياها.

كانت فانيسا قد اصطحبت لوسى ذات يوم إلى أحد البارات، الواقعة على أقصى أطراف المدينة العتيقة، فى مبنى كان أصلاً مشيداً ليصبح مطحنة قديمة. إن المطحنة نفسها، كانت لاتزال تطل بأبراجها هناك، تلك التى لاتخطئها العين، وكانت قاعدتها الدائرية تسيطر على أسفل البار. وفى أعمال القبو الحجرى المحيط بالقاعدة، كان أهل مينوركا يلعبون الكونشينه، وفى أفواههم السيجارات التى توشك على السقوط، والزجاجات المترعة بالبراندى التى تنتظرهم على مقربة من أكوام فطائر البتزا الواقعة تحت أكواعهم.

تساءل لوران قائلاً:

ــ أنت دائما تتجنبين مآوى وأماكن تواجد السياح، أليس كذلك؟

وكانا قد وجدا أحد الأركان التى جلسوا فيه وفى أيديهما فناجين القهوة الصغيرة. قالت لوسى:

ــ ثمة سياح فى كل بقعة من جزيرة مينوركا. إنها إحدى متع الجزيرة، أنهم لا يشعرون أبداً أنهم مرحب بهم ومرغوبون. غير أننى أحب البارات الشبيهة بهذه، حيث يقوم أهلها بزيارتها دائماً. إن أهل الجزيرة يعرفون أفضل الأماكن. على أية حال، أما السائحون منهم غالباً لا يجدونها ولا يعثرون عليها.

كانت لوسى تراقب لوران وهو يختلس نظرة أخرى حول البار. وعلى الرغم من أنه كان مزخرفاً ومزدافاً، إلا أنه كان وضيعاً حتى وفقاً للمعايير المتوسطة الخاصة بمدينة سيوداديلا، إلا أنها كذلك افترضت أنه سوف يشعر بالراحة ههنا، كما يستشعر فى أحد المطاعم الفاخرة فى باريس. إنها

Scanné avec CamScanner

نستطيع أن نجزم من خلال خبرتها، ومن خلال تعابير وجهه أنها كانت على صواب. قال لوران مداعباً.

ـ لم أر ولا راقصة من راقصات الفلامينكو منذ وطأت قدماى الجزيرة.

ـ القليل منهن يؤدى تلك الرقصات فى الفنادق الكبرى. إنها متعة كبرى أن تشاهدها، على الرغم من أنها تؤدى خصيصاً للسياح.

أما أهل مينوركا أنفسهم فهم لا يتصرفون على هذا المنوال. إن فانيسا تقول إنهم يرقصون على متون الزوارق السياحية خارج جزيرة ماجوركا رقصة «فيفا أسبانيا» ويجعلون جميع الركاب يعزفون موسيقى الصنج. أما نحن فلا نفعل ذلك ههنا. إننا نحب للأشياء أن تكون طبيعية وهادئة.

وكذلك أنا. هلم تعالى. إننى أموت جوعاً.

اختارت فانيسا المطعم أيضاً: أحد المطاعم فى الشوارع الخلفية للمدينة، أكثر هدوءاً من أماكن تجمعات السياح حول الميناء، وهو الذى يقدم أصناف الطعام الأصلية لأهل جزيرة مينوركا. تناولا السردين الطازج المجمد بالنوابل والثوم والبقدونس، وأعقبه شرائح البفتيك.

قال لوران:

ـ لم تخبرينى بعد، كيف حدث أن أتيت إلى الجزيرة.

ـ الفضل يرجع إلى خوان وصوفى أساساً فى المقام الأول، ولأننى أردت أن أشغل نفسى فى أحد الأعمال الصيفية التى من شأنها أن توفر لى فرصة تحسين لغاتى.

ومضى يستمع إلى لوسى وهى تقص عليه دراساتها ومناهجها فى الجامعة. لقد كانت تدرس منهجاً متخصصاً فى دراسات الأعمال التجارية الدولية، وهى من الموضوعات التى تخلط وتجمع بين دراسة اللغات والمحاسبة والقانون التجارى. قال لوران صائحاً:

ـ وهذا هو ما يفسر سبب تحدثك الفرنسية والألمانية بإتقان».

ـ والأسبانية ـ لهجة كاستيلان، على الأقل، برغم من أن تحدثى بها لا يزال ضئيلاً بعض الشىء. ولى معرفة سطحية باللغة الإيطالية، أيضاً.

ويمتعنى دائماً دراسة اللغات، وكان والداى يأخذاننى معهما فى سفرياتهما كثيراً حينما كنت صغيرة السن ومنذ نعومة أظافرى. غير أننى أومن بأنهما كانا على صواب حينما نصحانى بضرورة الإنخراط فى دراسة أكثر تأهيلاً للعمل فى إحدى المهن العلمية بصرف النظر عن اللغويات، وعلى الرغم من أن الكثير من الناس يعتقدون ويشعرون بأن المحاسبة مادة تصيب دارسها بالملل، إلا أننى أجد أن دراساتى لها مشوقة للغاية.

ـ إذن، ما الذى سوف تفعلينه عقب تخرجك؟

قالت لوسى:

ـ شيئاً شبيهاً بما تفعله أنت.

لاحظت الدهشة تعلو وجه لوران. ولم يكن الأمر غير متوقع، فراحت تضحك، وهى تردف قائلة:

ـ إذا تحدثت بجدية، فإننى أقول إن هذا هو ما يشغلنى فعلاً. أحب أن أنخرط فى العمل المتعلق بالتمويل الدولى، وفكرت فى العمل خارج البلاد برهة من الزمن على الأقل، فى باريس أو فيينا أو أحد المراكز المالية العالمية الأخرى. ربما لا أكون طموحة بما فيه الكفاية، كى أخوض التجربة حتى منتهاها، بيد أننى أفكر وقتاً لعمل مهنى ملائم، وبمجرد تخرجى سيكون لدى من المؤهلات القدر الكافى الذى يرشحنى لمنحة تدريبية فى أحد البنوك التجارية، أو أى مكان من هذا القبيل. وعلى المدى الطويل، أعتقد بأننى أهدف إلى شىء شبيه جداً بنوع العمل الذى تخصصت أنت فيه.

تلاشت الدهشة من على وجهه، وحل بدلاً منها تعبير ينم عن التهذيب والاهتمام. إذ قال مبتهجاً:

ـ لم يرد ذلك على خاطرى أبداً، ياسندريللا. أنت على حق، إذ أن تلك هى نوع المؤهلات التى تحتاجينها فى مثل هذا النوع من التخصص فى العمل الذى اضطلع به. ولا أستطيع أن أنكر أنه يعود بالمكافأة على المرء.

Scanné avec CamScanner

ـ إلا أنه عمل شاق.

ـ نعم. ثمة ظلم واجحاف علنى ضد النساء فى عالم المصارف هذه الأيام، غير أن هذه الأمور لا تصل إلى مستوى مجالس الإدارات، وأعتقد أن السبب فى ذلك يعزى إلى المشقة التى تقع عليهن، إذ يتطلب ذلك التفرغ التام وخلو الذهن للعمل دون سواه. فأنت لا تستطيعين فى الواقع أن تجمعى بين مهنة عالية المستوى فى عالم التجارة والمال وبين أسرة سعيدة عائلياً.

قالت لوسى:

ـ هل استطعت ذلك.

ـ فشلت ولم يحالفنى النجاح.

كانت استجابته ورده كئيباً لدرجة أن لوسى لم تشأ أن تسبر غور الموضوع والدلوج إلى أعماقه قالت بعناية:

ـ إنه لأمر شاق على النساء فى هذه الأيام، أن يجمعن بين العمل ورعاية الأسرة، والزواج. ويقيناً سوف أتزوج ذات يوم. وأتخيل أننى لن أكون سعيدة فى حياتى مع رجل غير ناجح فى عمله.

غير أننى أحسب أنها حقيقة مشقة كبيرة بالنسبة للمرأة أن تركز حياتها حول رجل مشغول وغارق حتى أذنيه فى وظيفة تستحوذ عليه وتبعده عنها. وأتخيل نفس وحيدة فى المنزل طوال النهار، أو مع أطفال صغار فحسب، ثم يتعين على أن أستجيب وأتصرف بكياسة ولطف حينما يدق الزوج جرس الهاتف ليقول إنه سوف يتأخر ساعتين أو ثلاث ساعات على موعد العشاء!

أصدر لوران ابتسامة ساخرة، وصاح معترفاً:

ـ لقد اعتدت على فعل ذلك مراراً وتكراراً فى الأسبوع الواحد مع كاترين.

ـ يا لها من امرأة مسكينة كاترين هذه.

ـ أوه، لقد علمت الآن كم كنت ظالما لها. غير أنها كانت عادة

لا يمكننى تغييرها حتى أتجاوب وأكون مناسباً مع ما يريحها.

ـ وبناء عليه ألا يكون هناك شىء ما يمكن قوله عن المرأة التى يستغرقها عملها فتغرق فيها وتنس بينها وزوجها؟

ـ ثمة مساوىء لهذا النمط من الحياة أيضاً.

ـ واثق من ذلك، غير أن تلك المساوىء لا يمكن أن تكون بنفس المقدار من البشاعة التى يستشعرها المرء الذى يعيش وينفق مدى حياته وحيداً.

رشف لوران رشفة من القهوة، بدلاً من أن يرد عليها، وأحست لوسى أنها قد تجاوزت الحد الذى ترضى عنه فى المحاولة الأولى للإقتراب منه. وقالت مستطردة:

على أية حال، أنت لست وحيداً، أليس كذلك؟ هناك ابنك جيل.

ـ أجل، هناك جيل.

ـ هل تراه غالباً؟

ـ بقدرما أستطيع.

وابتسم ابتسامة حزينة بعض الشىء، وأردف:

ـ فى الواقع، أكثر مما كنت أفعل حينما كنت أنا وكاترين نعيش معاً. وفى هذه الأيام أرتب مواعيد لكى أقابل جيل: لمدة ساعة بعد إنتهاء اليوم الدراسى وخروجه من المدرسة مرة فى كل أسبوع، كى أصطحبه إلى ممارسة كرة القدم، ثم نخرج سوياً فى ظهيرة كل يوم أحد.

ـ ربما كنت تفعل ذلك حينما كنتما أنت وكاترين غير منفصلين.

ـ ربما كان ذلك صحيحاً. إن الزوجين المشغولين على قدر علمى يفعلان نفس الشىء، مع بعضهما البعض، ومع أطفالهما. إنهما يحجزان ويرقبان للخروج من أجل تناول الغذاء والعشاء معاً خارج البيت مبكراً مدة ستة أسابيع.

ضحكت لوسى، حينما بدا لها أن لوران ينوى أن يفعل ذلك معها. واعتقدت فى قرارة نفسها كم أن تلك الحياة سوف تكون مروعة. وهى

Scanné avec CamScanner

تنخيل وجوب العمل من أجل إيجاد الوقت الذى ينفقه مع شريك حياته! غير أنه لم يكن عدلاً أن تسخر وتهزأ به، وراحت تتدبر ذلك فى نفسها؛ إن أى زوجين تمكنا من أن ينجزا النجاح فى الزواج الحديث يستحقان الإعجاب، وليس صب الانتقادات على الحلول التى يتوصلان إليها من أجل مشكلاتها؟

ـ قالت: هل لديك صورة لـ جيل.

كان ذلك أمراً مربكاً، وهى قد علمت ذلك بمجرد أن نطقت بالسؤال، ولكنها لم تستطع مقاومة الفضول فى رؤية ابن لوران ومعرفة المزيد عنه. كما أنه أحسن الظن بالسؤال. قال وقد مد أحد يديه إلى محفظة الجيب الخاصة به، وجذب صورة صغيرة، وأحدق فيها بعطف وحنان قبل أن يناولها إياها، مردفاً:

أجل، بالطبع، تم التقاط هذه الصورة فى أعياد الميلاد العام الماضى.

نظرت لوسى فيها. كانت تتبين صبياً صغيراً يتبسم ابتسامة عريضة، وهو يحمل نموذج طائرة يبدو جميلاً موتراً. وكان جيل أكثر جمالاً من أبيه، ذا عينين زرقاوين بدلاً من عينى لوران البنيتين، ولكن لوسى حسبت أنها استطاعت رؤية التشابه بين الإثنين فى الفم الواسع وعظم الوجنتين البارز لأعلى. وأعربت عن ذلك للوران.

طأطأ لوران رأسه بالموافقة، وصرح قائلاً:

ـ إن جيل مثلى أيضاً فى عصبيته. إنه طفل كثير التفكير والتدبر، غير أن له قدراً كبيراً من المتعة والاستمتاع يحس بها من يصاحبه. لقد افتقدته بأكثر مما كنت أتوقع فى هذا الشهر الأخير.

ـ أرنى لك عدم استطاعتك أن تحضره معك إلى هنا.

ـ لا أحبذ أن أفعل ذلك فى مثل تلك الظروف.

وحتى ذلك الحين، كانت لوسى قد تمكنت من نسيان كل شىء عن التهديدات بالاغتيال. ولقد آلمها وجرحها تذكر ذلك. إن هذا النوع من الأحداث لا يناسب ولا يلائم الحياة العائلية فى شىء. غير أنه طالما كانت

التهديدات بالاغتيالات تطارد رجال البنوك وتمثل خطراً ماثلاً. وعلمت لوسى أنه من العقل والحكمة أن يبعد لوران طفلة عن أية مخاطر. شعرت بأن الأمر سيكون يسيراً للغاية بالنسبة إليه، إذا ما وجد إنسانة يحبها وتحبه، كى تساعده للخروج من محنته والوقت العصيب. تمتمت لوسى قائلة:

ـ ربما كان ذلك فى العام التالى فتأتى به معك.

وهى تعيد إليه الصورة الفوتوغرافية. وضعها لوران فى أحد جيوبه. وحول مجرى الحديث برشاقة إلى المياه الضحلة والموضوعات الهامشية.

كان الجو مظلماً فى الخارج حينما حل وقت انتهائها من احتساء الفنجان الثانى من القهوة. دفع لوران فاتورة الحساب. وبينما غادرا المطعم، وضع ذراعه حول كتفى لوسى. وكان يسيراً عليها أن تحس بجسده يلامس جسدها بينما كانا يسيران عبر الطريق.

وجال بخاطرها، أنه لابد وأنه مشتاق للغاية يستشعر الوحدة. ومهما يتظاهر، لم يبدو بالنسبة لها من النوع من الرجال الذين يمكنهم المعيشة بسعادة بمفردهم، يتخلص من شهيته إلى الحب والغرام بالانغماس فى العلاقات الجنسية القصيرة العابرة الأجل. لقد قال عن «جيل» ابنه إنه على قدر كبير من الإمتاع الذى لم يستخدمه حتى أقصاه وحتى اختالة مدة طويلة، حسبما أحست. إنه يعوزه الحب فى حياته، وحتى إذا وجده ولاقاه، يجد عسراً فى إيجاد الوقت.

وعلى جزيرة مينوركا كان لديه الوقت على الأقل؛ ولم يكن ثمة مكاتب للعمل فى الجزيرة تشغله، وتختطفه بعيداً عنها دائماً وأبداً. وعلى جزيرة مينوركا لديها الفرصة، للاستحواذ على الكثير من وقته وانتباهه بأكثر مما يتوقع أن يفرده هو لأية امرأة أخرى يحدث أن يقابلها فى باريس بصورة عارضة عابرة.

إنها لن تثبت مكانتها فى حياة لوران الحقيقية، وحياته العملية، إنها فحسب سوف تثبت نفسها لديه باعتبارها رفيقة تمضى وقتاً سعيداً معه فى

Scanné avec CamScanner

الأجازات. هل يمكن أن تقوم بعمل الإنتقالة من أحد الحالتين إلى الحالة الأخرى؟ هل سوف يحدث ذات مرة أن ينظر إلى ما وراء سندريللا، إلى ما وراء لوسى مرشدة الزورق السياحى، ويبدأ فى رؤية المرأة الذكية المتفكرة التى ربما شاركته حياته ذات يوم؟

لقد كانت مدركة أن سائر المحاولات المخلصة التى تبذلها من أجل أن تبدى له الجانب الجاد من شخصيتها، لم تلفت انتباهه بعد. وصلا إلى سيارته، ودخلا فيها. كان الشارع الجانبى هادئاً ومظلماً، ولم يكن ثمة شخص آخر تراه العين. مد لوران ذراعه وأخذ لوسى بين ذراعيه.

كانت قبلات خفيفة، ترقص على ثغرها وحوله، ثم تنتقل بسلاسة إلى ملامسة وحك وجنتيها وعينيها، وخصلات الشعر الواقعة فوق أذنيها، لقد كانت تلك لذيذة، ومحبطة فى نفس الوقت. لقد أحست كما لو كانت لم تلامس رجلاً قد أمضه البعد والشوق، كل ما هنالك أنه كان يغازلها رفيق بحث فحسب عن العلاقات الغرامية الرومانسية العارضة. وبدت لها لمسات لوران حينئذٍ كما لو كانت تقنيات باردة، بدون عواطف خلفها. ولم يكن يقبل لوسى ساندرش الحقيقية، لقد كان فحسب يمتع نفسه بملامسة سندريللا.

وعلمت لوسى أن كل ذلك برمته خطأ. إذ لم تشأ له أن يأخذ الإنطباع بأنها ترحب بذلك، إذاً أخذها عائداً إلى الفيلا الخاصة به، ومضى يغازلها بهذه الطريقة الخبيرة الطارئة. إنها أحست بما سوف يحدث آنذاك، سوف يلقى بها ويرميها بمجرد أن تؤدى له الوظيفة اللحظية التى يتطلبها فى حياته.

ولكن فى نفس الوقت، أحست بأنه سوف ينزعج ويبتعد إذا استجابت له بكثافة أكبر كثيراً.

وإذا أوقفته ببساطة، ربما يفقد بسرعة اهتمامه الضئيل الذى أبداه حتى الآن بها، وسيكون لديها لاشىء من الفرص حتى تنحت لها مكاناً حقيقياً فى حياته.

كان عقلها وذهنها شاردين فى يأس، كانت متأكدة أنها تحتاج إليه. لقد كانت تريد ذلك كله وأكثر. لقد مضى وقت طويل بالنسبة لها أيضاً ـ أكثر من العام منذ أن لامسها أحد الرجال ملامسة حميمة. أما هذا الرجل فقد كان خبيراً محنكاً، كانت لمسته بهجة، وعرف كيف يستطيع أن يثيرها ويثيرا استجاباتها البدنية الفيزيائية. إذ انسدلت يده إلى أسفل شعرها، ثم ألقى به جانباً، ونحرات إلى الربت على أكتافها. وكانت أصابعه الرغدة الخبيرة، تتعقب كل موضع من الأماكن الحساسة تحت بشرتها وجلدها.

لقد كانت لحظات لذيذة ولكن هل ستكون قادرة على احتمال الأمر إذا مكث هكذا رجلاً مرغوبا، معقداً غريباً؟ هل سوف تكون قادرة على مواجهة نفسها بعد ذلك، إذا ما أسلمت نفسها له، ولم تعط أكثر من الإشباع والارتواء الجسدى الزائل فى مقابل ذلك؟

وأحست بكيانها يتجاوب معه.

وفجأة نهض لوران، مشيحاً بوجهه عنها. وأودع قبلة أخيرة على فمها. وقال بهدوء:

ـ لوسى يا حبيبتى. أفضل أن نكون فى طريقنا عائدين.

شاهدته لوسى وهو يغلق حزام مقعده ويضغط على زر التشغيل والاحتراق. فشعرت بأنها فى حالة من الترنح واللين والتلاشى. يالها من لهفة، لقد نسيت تماماً إنها جالسان فى السيارة فى أحد الشوارع الجانبية، حتى أن الظلام وحده هو الذى وفر لها تلك الخلوة بالكاد.

شغل مفتاح شريط الكاسيت، فملأت موسيقى سونانة موزار ذات الأناقة والظرف، السيارة بالعزف. أخذ يقود السيارة فى صمت، يطوى المسافة بما عليها من منازل فى مدينة سيوداديلا خارجاً إلى الطريق الرئيسى المتوجه إلى مدينة «ماهون».

نظرت لوسى إلى الساعة المثبتة فى لوحة أجهزة القياس الخاصة بالسيارة. لقد تناولا الطعام فى ساعة متأخرة، لقد كانت الساعة الحادية

Scanné avec CamScanner

عشرة. وحتى إذا فاد السيارة مباشرة إلى مدينة فيلا كارلوس، ستكون الساعة الثانية عشرة تقريباً فى الوقت الذى يصلان فيه إلى فيلا خوان وصوفى. ولن يستطيع أن يأخذها معه إلى الفيلا الخاصة به ثم يوصلها ثانية إلى بيتها بحلول منتصف الليل كما وعد بذلك خوان. كما أنه لا يستطيع أن يبادل الغرام معها فى السيارة.

لم تكن لديها الخبرة الكافية التى تمكنها من التجاوب مع عواطفه. أنثاها صبى مزعج لضياع هذه الفرصة. فإذا كان قد حاول التقرب إليها فإنها لم تستغل الفرصة كما ينبغى لدفع علاقتها فى الاتجاه الذى تريده. لقد كان رجلاً محنكاً بالتأكيد لا يقنع بسطحيتها.

وإذا وافقت على أن تراه مرة ثانية، فسوف تكون على قدر من الاتقان كى تسايره وتجاريه.

غير أنها راحت تساءل نفسها قائلة: لوسى، لوسى، ما الذى تريدينه؟. حسناً، ثمة إجابة واحدة بسيطة جداً ــ أنت تريدين ذلك الرجل. ولكن هل أنت تريدينه على أى أساس؟ هل على أساس أمل واقعى ناء بما فيه الكفاية من أجل الإسنحواذ عليه؟ ألا تقبلين حقيقة أنه يقترب منك بأكثر سرعة مروعة للغاية، مما تبدين أنت عليه فى أقترابك منه؟

التفتت لتنظر إليه. كان وجهه ذو التجاعيد متوجهاً لينظر إلى الأمام وهو يقود السيارة. كم هو عزيز بالنسبة لها، وكم أصبح عزيزاً عليها منذ فترة خلت. وراحت تقول فى نفسها، ولكم سيكون قادراً على جرحها إذا ما تركت نفسها تنجذب بأى قدر من العمق إلى هذه العلاقة الغرامية.

قال فجأة:

ــ لقد استمتعت بالرحلة التى قمنا بها اليوم. ربما أكررها مرة ثانية ذات يوم. أو ربما أتيت للانضمام إلى الرحلة القادمة معكم.

ــ لست واثقاً من أنك سوف تتمتع بالرحلة القادمة على وجه

الخصوص.

قالت لوسى ذلك بأمانة وصراحة، وأضافت:

ــ إنها فى حقيقة أمرها رحلة بحرية تستكشف أى شاطىء ترسو عليه، وهى معدة للعائلات فى المقام الأول. وأحسب أن الرحلة التى تحبها، تلك التى تقوم بها العبارة التى تذهب إلى لازاريتو. وهناك الكثير مما تراه العيون على جزيرة الحجر الصحى القديمة.

ــ هل يقوم زورق «سان فيليب» بهذه الرحلة؟

كلا، إنها عبارة مختلفة. ما هى إلا رحلة قصيرة، غير أن العبارة تشرع فى الإبحار مرتين فقط فى كل أسبوع: فى أيام الجمعة والاثنين أسبوعياً عند الساعة الخامسة والنصف.

ــ هل أنت متفرغة ولديك الوقت للذهاب معى فى يوم الجمعة؟

يوم الجمعة؟ إن ذلك اليوم سيحل بعد يومين من الآن. لقد كان هذا هو عين ما أرادت، حتى نستطيع أن نتفق بعض الوقت مع لوران على أساس من النسلية، وفى نفس الوقت بين القوم الآخرين فلا يلاحظون شيئاً.

قالت بعد تفكر وتدبر ملياً:

ــ سوف يكون بمقدورى أن أقوم بتلك الرحلة.

أصدر لوران ضحكة قصيرة، وصاح:

ــ أجل، عندما تريدين ذلك أنت فلن يكون ثمة مانع.

إذن سيكون علينا أن نتقابل فى كاليس فونس.

أخذت لوسى تشرح من أين تبحر عبارة لازاريتو، ومن أين يستطيع لوران أن يشترى التذاكر، قال لوران:

ــ سأراك آنذاك.

وهو يسحب سيارته الرينو إلى الخارج من فيلا خوان وصوفى.

ــ ألا تأتى الآن إلى داخل الفيلا؟

ــ إن الوقت متأخر، لا أعتقد أننى سأفعل.

Scanné avec CamScanner

وانحنى مائلاً نحوها يقبلها. ولم تمكث شفتاه على شفتيها كثيراً من الوقت، ثم تركها ليفتح باب السيارة، وهو يقول:

استمتعى بنومك.

شرعت لوسى تتدبر وتفكر، إذ أن يوم الجمعة سيكون بعد يومين من الآن. يومان كاملان سيمران قبل أن تراه مرة ثانية، ألا فانعمى يا لوسى، بتلك الفترة الفاصلة، التى توفر لك الفرصة فى التفكير مرة ثانية قبل أن تنبى إلى الانخراط معه فى أية علاقة عاطفية.

وبينما كانت تضع المفتاح فى كالون الباب، سمعت صوت السيارة خلفها، ودوران محركها مزمجراً ومنطلقاً إلى أسفل الطريق نحو مدينة قيلا كارلوس.

الفصـــل الثامـن

كانت ساعة لوسى تشير إلى الخامسة والخامسة والثلاثين دقيقة عندما رسا زورق سان فيليب فى ظهيرة يوم الجمعة. قال لها خوان مبتسماً أنها تستطيع مغادرته وتركه يؤدى الخدمات للركاب ويساعدهم فى الهبوط، وبرغم ذلك كان يتعين عليها أن تطوى الطريق جرياً وتصعد الدرج المؤدى إلى الميرادا، وعبر المدينة الصغيرة متوجهة إلى الميناء، الآخر.

وصلت فى موعدها تماماً؛ إذ كان زورق لازارينو لا يزال راسياً حينما وصلت فلهث إلى جانب الرصيف. توقفت برهة تبحث عن لوران، ثم رأته واقفاً داخل الزورق يلوح لها لكى تعرف أنه موجود.

قال مبتسماً، وهو يرشدها إلى المقعد الخشبى الذى كان يجلس عليه:

ــ لقد حجزت لك مكاناً.

ــ حسبت أننى لن أجد مكاناً لى: كما ظننت أن الرحلة فاتتنى.

ــ وكذلك ظننت أنا. ولقد وعد النوتى بأن ينتظر حتى السادسة إلا ثلثاً، وعلمت أننى لن أستطيع أن أحجزه وأؤخره إلى ما وراء ذلك.

أحسب أنه يمكننا تناول القهوة. لقد كنت انتظرك فى كاليس فونس.

سدد لوران بها نظرة مفاجئة، وقال:

ـ أوه، لم يكن لى أن أقوم بالرحلة بدونك.

علمت لوسى أنه لم يكن ليقوم بالرحلة من غيرها، حتى بالرغم من أنه كان يعرف سلفاً أنها قامت بتلك الرحلة مراراً من قبل.

كانت لوسى قد أعملت فكرها وذهنها فى التفكير جدياً بشأن علاقتها على مدار اليومين الماضيين. ولقد كانت حاقة منها، حسبما أيقنت هى الآن، حينما تخيلت أن لوران ليس مهتماً بها فى الواقع.

إنها فهمت الآن الذى لم يكن يتصرف البتة تصرف الرجل الذى همه الوحيد هو الإتيان بها إلى الفراش.

ولقد علمت أنه فى البداية كان خوفه من الارهابيين، وامتناعه عن مغادرة الڤيلا، هو السبب فى حجبه عن الخروج معها كثيراً ورؤيتها. أما الآن وقد تلاشى التهديد، فإنها راحت تتشكك وترتاب فى أن دوافعه فى الإمتناع عنها، ربما كانت مثيلة لدوافعها بنفس المقدار. فلم يكن صواباً أنه لم يرغبها، لقد كانت موقنة من أنه يرغب فيها. بل الأكثر من هذا أنه كان أيضاً يعانى من الوحدة وعرضة للإثارة. وكان مفهوماً تماماً أنه يتردد فى إلقاء نفسه والزج بها فى علاقة، وهى فى اعتقاده، لن تدوم سوى فترة وجيزة هى التى ينفقانها على تلك الجزيرة.

وربما جاز أنه لم يحاول أن يبثها حبه وغرامه بعد كل شىء. وإذا كان هذا مسلكه، فإن ذلك يعنى حينذاك ـ أنه يعزى ويرجع لأسباب تتعلق به هو أساساً. فذاك سوف يكتف ويقاوم من ألم الفراق ووطأته على نفسه فى أعقاب ذلك، تماماً مثلما سيحدث لها هى. ذلك أنه كان عاشقاً خبيراً، ولا يمكنها أن تفترض أنه لم يكن هناك أحاسيس ملتهبة كامنة وراء عناقه وقبلاته وتربيت أصابعه.

ويجوز أن الخلاف الوحيد كان منحوراً حول اقتناعه بأنها سوف ينفصلان ويفترقان حينما يغادران الجزيرة. ولقد كانت تريد بل تحتاج إلى الشعور والإحساس بأنها سوف يستمتعان بمستقبل طويل الأمد معاً وسوياً.

لقد تخيلت أنه لن يكون ثمة ألم للفراق فيما بعد، وأما لوران فقد كان واضحاً أنه على يقين من حدوث ذلك واحتمال وقوعه.

كان تأمل أن تقنعه بأنه على خطأ وأن الصواب قد جانبه. ولكن ماذا سيكون عليه الحال، إذا كان على صواب ولم يجانبه الصح؟ وبالتالى ألا يكون من العقل وسلامة الفكر أن تنبذ إليه الأمر كى يحدد هو مقدار سرعة سير علاقتهما واقترابهما من بعضهما البعض، وكى يقدر إلى أى مدى سوف تصل إليه فى النهاية؟

إنه أكثر خبرة وحنكة منها، ليس فحسب فى فنون الحب الظاهرية، ولكن المشاعر التى تتكثف فى وجدانيا، سواء تلك الطيبة أو السيئة.

حينذاك، أمسك بيدها، وعصرها ضاغطاً عليها. فضغطت لوسى بدورها على يده. وراحت تجادل نفسها قائلة، فلتنتفى فيه حسناً، إنه ليس قديساً، غير أنه برهن على أنه مخلص وأمين ورجل متدبر لعواقب الأمور، يستطيع أن يزن ويقدر احتياجاتها من العاطفة، وتأثرها بالآلام تماماً على نفس قدر زنته لمشاعره واحتياجاته هو.

سرعان ما خرجا من كالا كوريب، وكانا يتحركان عبر الميناء الرئيسى متوجهين إلى لازاريتو. أشارت لوسى إلى لوران لكنة برى تمثالى الأسدين الحجريين الذين يحرسان بوابة مستشفى الحجر الصحى. إنهما تمثالان حجريان صنعتهما بريطانيا، وكان خوان دائماً يرد قوله بأن التماثيل الحجرية للأسود المصنوعة بأيد أسبانية، كانت دائماً مبتسمة، أما أولئك البريطانية فهى متجهمة كالحة الوجه. قال لوران:

ـ لاغرو فى ذلك ولا عجب. إذ لا يمثل إرسالها إلى لازاريتو أية مزاح أو هزل.

ـ حقاً لقد مات أقوام كثيرون متأثرين بمرض الكوليرا وأمراض أخرى حتى أنها لم يتم دفنهم فى المقابر. أما عمال المستشفى فقد كان لهم مدافن خاصة.

لكن جثث المهاجرين كانت تنبذ ويلقى بها فى قبور جماعية. ولذا

فقد كانوا من حين لآخر يتعادون على الحفر واستشكاف العظام.

قال لوران مازحاً:

ـ لم أكن أعلم أنك تحفظين سلسلة دموية من أحداث التاريخ.

ـ كلا لا أحفظ، إن التاريخ هو الذى يسرد الوقائع الدموية ـ ولا علاقة لى بذلك.

ـ لست واثقاً من ذلك، وكل ما أركن إليه أنك تتميزين بخيال مخلق، ومفعم بالحيوية.

أخذت لوسى تتفكر قائلة أجل. أحياناً ما أحلق فى الخيال، خيال مفعم بالحيوية وزاه.

وعلى الرغم من أنها رأت كل شىء على زاريتو من قبل، إلا أنها استمتعت برؤية معالمها مرة ثانية من خلال عيون لوران. لقد بدا شغوفاً مهتماً بالرحلة، وراح يسألها هى والمرشد الأسبانى أسئلة كثيرة لم يستطع كلاهما العثور على إجابة لها!

شاهدا غرفة الدخان حيث يجب على الزوار أن يمروا عبرها خلال سحابة كثيفة من الدخان الأسود للتطهر بالتدخين. فى مذبح كنيسة القديس «سانت سيباستيان».

كما عبروا أيضاً خلال مستودعات الغذاء حيث يتم حفظ احتياطات الغذاء الكافية لسكان الجزيرة.

وزارا المتحف الصغير الذى يحتوى على صفوف من جرار ومرطبات الصيدلة. أخذ يتأمل لوران وهو يقول:

ـ إنهم الانجليز خارج أوطانهم.

بينما كانت العبارة تعود بهم أدراجها إلى كاليس فونس بعد زيارة وجيزة، ورحلة قصيرة شاملة، وأضاف قائلاً:

ـ إنى لأعجب لحال هذه الجزيرة، أكانت يكتب لها الشهرة والشعبية لو كان الإنجليز يسيطرون عليها ويحكمونها اليوم، وإذا لم نكن قد قنا باحتلالها وامتلاكها منذ مائتى عام خلت؟

قالت لوسى مازحة:

ـ أقول «نحن». أنت لست بالإنجليزى أنزل. إنك لتتحدث قائلاً «قنا باحتلالها»!

ـ أوه. ولكننى ـ على الأقل، لا أدعى طالما أننى أقدر على الزعم بانتمائى إلى أية جنسية. إن أمى فرنسية الجنسية، أما أبى فهو انجليزى. إن لقبى انجليزى التسمية، وهو باكلى، وأحمل جواز سفر بريطانى.

راحت تتفكر لوسى فى كلمة السينور باكلى، لقد كانت سمعت قبلاً ذلك الإسم فى مكان ما، ولكنها لا تتذكر. كم هو ضئيل مقدار معرفتها بلوران فى حقيقة الأمر، وحتى الآن! قالت لوسى بقلق وانزعاج:

ـ أنا حتى لم أعرف اسمك.

ـ وأنا كذلك لا أعرف لقب اسمك.

ـ قالت مترددة:

ـ إنه ساندرسون. انجليزى الأصل ومفرق فى انجليزيته.

ومضت تقول:

ـ هل عشت طيلة حياتك فى فرنسا؟

ـ كلا. لقد ترعرعت فى انجلترا، والتحقت باحدى المدارس هناك، على الرغم من أننى دائماً أقضى أجازاتى لدى عائلة أمى فى نورماندى. ثم قررت أن أنضم إلى الجامعة فى باريس، حيث التقيت بكاترين، فكان هذا هو ما حدد وقرر مصيرى.

ـ وأنت تقول على المقام فى فرنسا إلى الأبد؟

ـ من المحتمل هذه حقيقة، عندما كان جيل طفلاً. أنا لا أقدر ولا أحتمل أن أراه كل حين بصورة دورية إذا ما عشت فى أى مكان آخر بخلاف باريس.

ـ وأنا على يقين من أنه بحاجة إليك فى حياته.

اتفق لوران معها فى الرأى قائلاً:

ـ وهكذا أنا بالمثل. إننى بحاجة إليه أيضاً.

Scanné avec CamScanner

أخذت لوسى تتدبر حال لوران وكيف أنه لا يستطيع أن يقاوم أعباء ومتطلبات وظيفته، وكيف أنه يحب الأطفال حباً متأصلاً فيه: لقد لمست هذا عن قرب بنفسها حينما واجه وقابل صغار خوان وصوفى.

قالت لوسى:

ــ إنه عمر ظريف فى فترة سنية لطيفة، السادسة من عمره. أليس كذلك؟

ــ أجل. إن أطفال السن السادسة كبار بما فيه الكفاية كى يفردوا اهتماماً بالأشياء. وهى الحقيقة التى تذكرنى، بأننى اقترحت على صوفى أن ترسل معنا ماتويل للصيد فى أحد الأيام عند الظهيرة.

دهشت لوسى وتساءلت فى نفسها قائلة، أو قد فعل؟ بيد أن الأمر لم يكن هناك مفاجئاً. وليس من اليسير أن يكون المرء أباً لبعض الوقت، ويعول على العطف على أحد أطفال السنة السادسة من العمر الذين هم أتراب لابنه، فيصطحبهم معه فى نزهات خلوية.

ولكم كان لوران يتوق أيضاً إلى كسر رقابة وقسوة انفصاله عن ابنه جبل عن طريق انفاق المزيد من الوقف مع صبى آخر صغير.

وكان هو قد بذل جهوداً متواصلة من أجل أن يلاطف ويخلب ويسحر صوفى وخوان منذ أن قابلها. قالت لوسى:

ــ لدى أجازة فى ظهيرة أحد الأيام من الأسبوع فقط. إنه يوم الثلاثاء هل نستطيع أنت نخرج فى ظهيرة ذلك اليوم وأصحب معنا مانويل؟

وبمجرد أن قالت ذلك، شعرت برغبتها فى قضم لسانها. إن يوم الثلاثاء سوف يحل بعد ثلاثة أيام من الآن. فهل يعنى ذلك أنها لن ترى لوران على مدار نهاية الأسبوع، وأجازة نهاية الأسبوع؟ كم هو أمر يدعو إلى الأسى!

قال موافقاً إياها فى الرأى:

ــ ولم لا؟ سوف آتى معك إلى فيلا صوفى وأرى بنفسى إذا ما كان

الأمر سيكون على مايرام معها أم لا.

قالت لوسى فى التو واللحظة:

ــ لقد أمرتنى بأن أدعوك على العشاء الليلة.

كانت صوفى ترحب بضيوفها وكانت دائماً ممتازة فى حسن مقابلة وتقديم الطعام إلى الزوار المفاجئين.

ــ سيكون ذلك أمراً لطيفاً وظريفاً.

وتوقفا لدى أحد المحلات الكبرى فى مدينة فيلا كارلوس، واختار لوران بعناية زجاجتين من الخمر قبل أن يقود السيارة ليوصل لوسى إلى فيلا خوان وصوفى.

قالت لوسى وهى تلهث، بمجرد أن وصلا إلى داخل الدار:

ــ لقد قال لوران إنه يرحب بقبول دعوتكم والبقاء لتناول العشاء.

قالت صوفى وهى تعرب عن سعادتها بدون أن ترفع رأسها:

ــ عظيم.

كانت أمسية ممتعة ولذيذة. وحبذ لوران أن يسابر ويجارى خوان وصوفى فى الأمور التى يحبانها. إذ كانت لديه القدرة على التكيف بصورة طبيعية جداً مع الضحية الذين هم حوله، أخذت لوسى تتفكر فى ذلك، فلم لديها ثمة شك أو ريبة أنه وهو فى باريس سيكون أحد رجال البنوك المخضرمين، فى بلاده داخل معمعة الأوساط والدوائر الأكثر إزدحاماً. ولكنه بدا مرتاحاً بنفس المقدار وسط الفوضى الضاربة فى حجرة معيشة صوفى.

راح يتسامر فى يسر وسهولة مع خوان وماتويل بشأن صيد الأسماك وكرة القدم الأسبانية، وأخذ يمتدح ويثنى على طعام صوفى بحرارة وحماس، ويستشيرها ويناقشها فى وصفة إعداد ذلك الطعام.

أخذت لوسى تتدبر فى كل هاتيك الأمور، وكيف أنها تستطيع إعداد مثيل ونظير لتلك الوجبة بدون ممارسة سابقة، أو بالقدر القليل منها. وكان يتعين عليها أن تخبره وتفضى إليه بذلك وتقنعه إذا كانا قد قررا أن يتنزه

Scanné avec CamScanner

فرصة بناء علاقة زيجية دائمة بينهما.

وإذا كان الأمر يعنى التمادى فى العلاقة بدون أية وعود بالزواج، حتى تفوز لنفسها بفرصة إظهار مقدرتها على التصرف على هذا النحو، ألا يستحق ذلك المخاطرة؟ وقد علمت، أنها إن فعلت ذلك، فإنه سيكون مخاطراً بنفس المقدار.

قال بينما كان يصافح يد صوفى قبل أن يقول إلى اللقاء؟

ــ يتعين على فى الواقع أن أرى المجاملة وأن أدعوكم جميعكم على العشاء فى الڤيلا الخاصة بى.

هزت صوفى كتفها وصرحت:

ــ إن ذلك سيكون مأزقاً، اصطحب الأطفال. إن كارا فى سن لا أحب لها فيه أن يفوتها مواعيد نومها، وإعداد مضجع للطفلة يستغرق وقتاً طويلاً فى خارج المنزل. ألا تعلم أنك يجب عليك أن تستأذننا أنا وخوان فى نفس الوقت الذى ندعو فيه لوسى. أن مديرة منزلك سوف يتعين عليها أن تتصرف كما لو كانت وصيفة مصاحبة ترى النظام وقت تواجد الأطفال؟

ــ خوانا؟ أجل، بطبيعة الحال. إذن ألا يتسبب لك أية احراج يا خوان أن أدعو لوسى للمجيىء وتناول طعام العشاء معى غداً فى الڤيلا عند المساء؟

أن تذهب معه على العشاء، وأن تصاحبه وهو وحيد فى الڤيلا الخاصة به، حتى إذا تواجدت خوانا ــ فإن ذلك كان يعنى حتماً، حسبما أيقنت لوسى، أنه قد قرر أن يبثها حبه، بصرف النظر عن الألم الذى سوف يلحق بها فى النهاية.

ابتسم خوان ابتسامة عريضة وقال:

ــ كلا البتة.

ارتدت لوسى أبهى فستان لديها لزيارة ڤيلا لوران. وتعد هذه الزيارة الثالثة التى تذهب فيها إلى هناك، وكانت تحادث نفسها بتلك الحقيقة

ــ وأول مرة يتم توجيه الدعوة إليها فعلياً!؟

تعمدت لوسى أن تحاول جادة أن تبدو فى مظهر يوحى بأنها امرأة باريسية. إن دولاب الأجازات الخاص بالملابس التى ترتدى العاملة فى أحد البنوك كسيد صغيرة السن، وكانت واثقة من ذلك:

قامت بتصفيف شعرها، وارتدت الجيبة والجاكيت الذى كانت ترتديه على ظهر الطائرة التى أقلتها إلى الجزيرة، كما ارتدت مايجعل ساقيها غير مكشوفين. كلا، لن يكون هناك تشوق مالم تفسر سبب ارتدائها تلك الملابس، إنه ولا ريب هو العلاقة الغرامية التى سوف تلى فيما بعد.

فمن الأحسن والأفضل أن تكون سيندريللا المعزية، سعيدة بحفر مكان لها فى حياة لوران، ومستعدة، لأن تنتهز فرصة الزواج منه فى المستقبل.

ارتدت الفستان الأزرق الذى كانت ترتديه إبان تناولها الطعام على العشاء فى سيوداديلا؛ وهو الفستان الذى شعرت بأنها تكون فيه من أجمل الجميلات. وقامت بغسل شعرها قبل الخروج مباشرة، وتركته يجف فى ضوء وحرارة الشمس حتى أنه انتثر مبعثراً فى موجات ناعمة على أسفل وإلى الوراء من كتفيها.

أعاد خوان لها سيارته. إذ كانت قد رفضت عرض لوران فى أن يحضرها ثم يعيدها للمنزل ثانية، وهى بعد تعلم أنه ليس من الأمان أن تقود فى ساعة متأخرة من الليل مستأجرة إحدى المواصلات، أو وهى تقود الزورق الصغير الـ«صوفى» كما أنه لا يمكنها المكوث حتى الصباح هناك. إن خوان ربما انخرط فى نوبة عصبية إذا ما هى قد افترفت أو حتى اقترحت أن تقوم بذلك!

ارتفعت روحها المعنوية حينما قادت السيارة خارجة من مدينة ماهون على طول الطريق نحو الڤيلا، مطوية وراءها المزارع الذهبية، والبيت الأحمر الكبير الذى يقال إن القائد نيلسون قد عاش فيه. أخذت لوسى تقول فى نفسها لا يجب أن تأخذى الأمور بهذه الجدية، وهى تغنى الأغانى

Scanné avec CamScanner

الأسبانية الشعبية الصادرة من راديو سبارة خوان. فلنستمتع بهذه الليلة، فإن هذا فى حد ذاته أمر جيد. أما ماهون بعد ذلك،

إذا اتضح أنه مناسب لك، وأنت مناسبة له، فلن يكون ثمة ما يدعو إلى القلق والإنزعاج. وإذا لم يكن هو، وإذا لم تكونى أنت... فعلى الأقل سوف تكونين قد تعلمتى شيئاً. ومن يعرف أو يعلم، فربما تعودين إلى المنزل مزودة بذاكرة رائعة تجعلك منتعشة وتشعرين بالدفء، فى الأمسيات الطويلة الموحشة التى ستلى فيما بعد.

لوح لوران مجيباً إياها عند أعناب الفيلا، وهو فى حالة استرخاء يرتدى البنطلون الأزرق، وسمح لها بالدخول إلى المطبخ. تساءلت:

ــ أو ليست خوانا هنا؟

هز رأسه مجيباً:

ــ لا تخبرى خوان، لقد أعطيتها هى وألونزو أجازة هذا المساء. وأقوم أنا بإعداد الطعام بنفسى.

ــ أو أستطيع المعاونة والمساعدة؟

ــ لا إن هذه ليلتى.

ألقى بشريحتى لحوم فى الطاسة بينما كان يتكلم، وفى نفس الوقت الذى كانت فيه الشريحتان تئزان وتطشان عند القلى، قطع شرائح الخبز بسرعة وألقى بالسلاطة، وفتح زجاجة خمر. جلست لوسى على منضدة المطبخ ــ التى كانت مرتبة سلفاً لعشاء شخصين ــ وراحت تراقبه، وقد أخذتها المفاجأة وتأثرت بالثقة العرضية التى يتمتع بها. لقد كانت قائمة الطعام التى اختارها وأصنافها غير متقنة، غير أنه قدم الطعام بألفة وسلاسة.

نبل شرائح اللحم بالأعشاب والتوابل القادمة من حديقة خوانا. وكانت لذيذة الطعم. قال عندما انتهى من إعداد الطعام وتناولاه:

ــ لم أصنع الحلوى. هناك جبن، أو سآتى ببعض الآيس كريم من الثلاجة...

قالت لوسى:

ــ ربما كان الجبن أفضل.

تباطأ كلاهما وهما يأكلان الجبن، ويتحدثان أساساً عن الطعام، فى الجزيرة وفى فرنسا كانت لوسى قد أمضت فصولاً طويلة متعددة وحارة فى جنوب فرنسا، وهى تقضى الأجازات مع والديها، وهى تستطيع أن تشعر بذكريات لوران على أفضل نحو، عبر بعض المطاعم التى ذكرها، وكانت هى تعرفها بمجرد السماع عنها وشهرتها.

اعتادت لوسى على الأصدقاء الانجليز، غير أنها كانت تتأثر بحديثها الطلق باللغة الفرنسية مع لوران، غير أن لوران لم يشوقه ذلك، وهى قد علمت ذلك الآن. لقد كان يتحدث لغات عديدة مثلها، وكان يبدو كما لو كان يعتبر مهاراتها أمراً لا يدعو إلى العجب أو الدهشة.

كان الجو هادئاً للغاية فى المطبخ. ولم يكن ثمة ستائر على النوافذ الشاسعة. وكانت العتمة تلقى بظلالها فى ضوء باهت منعكس على المائدة التى بداخل المطبخ، قادماً من كلا النافذتين.. وكان كل صوت صادر عن حركة كرسيها، وكذلك كل صليل صادر عن حركة السكاكين، مسموعاً بوضوح. وربما لو كانت لوسى تجلس مع رجل آخر لوجدت أن الصمت موحش ضجر، غير أنها مع لوران، وكونها معه يشعرها بالراحة على نحو محبب لها.

قال لوران:

ــ دعينا نمضى فيما نحن بصدده:

ذكرت لوسى غسيل أوانى الطعام، غير أنه أخبرها بأن خوانا سوف تعالجها فى الصباح، إذ سوف تضع الأطباق الفارغة فى حوض الغسيل.

اصطحبها إلى غرفة الجلوس، ألقى بنفسه إلى جانبها، وهو يشرع ساقيه منفرجتين، على أحد الأرائك المنخفضة الارتفاع.

وقال:

ــ يجب أن تكون هناك موسيقى. أنا آسف، لقد عشت ههنا فترة

Scanné avec CamScanner

وجيزة للغاية. وليس لدى أية تسجيلات هنا، أو كتب، أو...

علمت لوسى من فورها أنه لم يغو أو يغر أية امرأة فى الفيلا من قبل. وربما كان فى شقته فى باريس رقيقاً ومهذباً ودمثاً، يعلم تماماً ما هى التسجيلات التى يحسن تشغيلها، وأين يجلس، وكيف يرشدها على أفضل نحو إلى غرفة نومه، ولكن هناك كان يتعين عليه أن يرتجل تصرفاته، مع انقضاء وقت الأمسية. وعبر مدار علاقتها الوجيزة كان يعاملها كما لو كانت شخصاً عزيزاً عليه للغاية، وكان لطيفاً وجميلاً أن تشعر أن هذا أمر سوف يطـرد ويستمر، وكان يطربها ويجلب إليها الابتسامة أن يرد على خاطرها تلك الأفكار.

أخذت تتفكر فيما تقول له رداً على كلامه وصاحت:

ــ أيها أكثر تسلية ومتعة؟

ثم أضافت:

ــ لقد كنت أتسائل فحسب عن نوع الموسيقى التى تفضل أن تختارها للإستماع إليها.

قال لوران وهو ينهض منتصباً على قدميه:

ــ أوه. أنه مونسار، بطبيعة الحال. إنها موسيقى رقيقة ولافتة للنظر والخيال.

اقترب منها وأمسك بيدها، وبينما كان يفعل ذلك، راحت تجاربه وسمحت لعينيه بالاتصال بعينيها. فسرى التيار الكهربائى عبر لوسى. وشرعت تتفكر فى أنها تريده بإلحاح. إنه هذا الرجل الذى تحتاجه. وتحتاج وجوده بجانبها على الدوام.

لامست شفتاه منطقة النبض فى يدها. أحست رعده تسرى فى أوصالها وانبعثت موجات كهربائية فى حنايا جسدها.. وتسارعت أنفاسها وهى تهمس:

ــ لوران:

كانت دعوة أكثر منها رفضاً. تلاقت عيناه بعينيها. ضحك فى صمت

كما لو كان يستمتع بسيطرته وهيمنته عليها ومبتهجاً بهذه اللعبة الخطرة الأثيرة بين رجل وامرأة.

مضت عيناه تتفحصان جسدها فى افتتان ثم تركزتا على فمها. والتقت شفاههما فى قبلة طويلة حارة.

ثم كان لوران هو من تحرك أولاً. واستدار حول نفسه ثم نظر إليها وقال:

ــ هيا تعالى نسبح ونعوم.

نظرت لوسى إلى الخلف نحوه. لقد كانت لا تزال تشعر بأنها لا تستطيع الكلام. ولم يكن ثمة حاجة بها إلى أن تخبره كم كان الوصال رائعاً ــ وكان يعلم ذلك، إذ أن كل حركة من حركات جسدها كانت تنبئه بذلك.

وراح يعبر الغرفة. وكان لها أبواب زجاجية مزلاقة، وعرفت لوسى الآن أنها تقود إلى الفناء وساحة الدار. فتحها، وخرج، وبعد ذلك بلحظة، غمر الساحة طوفان من الضوء الدافىء.

وبعدها بلحظة سمعت صوت ارتطام جسده بالماء قبل أن تستجمع شتات نفسها للتحرك، ومشت بخطى بطيئة نحو الباب، وذهبت إلى حافة حوض السباحة. لقد كان يسبح تحت الماء، وكان شبح جسده غير واضح من جراء انعكاس الضوء على سطح الماء فى حوض السباحة.

طفا إلى السطح فجأة، ولف رأسه فى عنف ليزيل عنها الماء وقال:

ــ أتريدين منى أن أجذبك إلى الحوض؟

خلعت فستانها وكانت ترتدى تحته مايوه من قطعتين.

أخذت نفساً عميقاً وغطست، وسبحت مسافة ضربتين من القدم مقتربة من المكان الذى كان ينتظرها فيه.

لقد كان الماء أكثر برودة مما تتوقع؛ لقد كان يتعين عليه أن يحذرها من ذلك، وورد ذلك على خاطرها حينما طفت على سطح الماء. وقف هناك لحظة، جاعلاً إياها تستعيد وتسترد أنفاسها، ثم تعقبها، فى سباحة

Scanné avec CamScanner

قصيرة خبيرة متبخترة .

لم تكن على يقين مما إذا كان يتوقع أن تتحرك هى ، غير أنها فعلت، تنزلق نحوه أن يستشعر موقعها وتغير الاتجاه . لقد كانت لوسى سباحة ماهرة ، وعلمت أن لوران كان كذلك سباحاً جيداً أكثر منها مهارة .

كانت ضرباته السريعة المقتصدة غير ذات قيمة كبيرة فى حوض السباحة الصغيرة وبرغم ذلك ، كان يغطس للعمق ويطفو ويسبح ، فوق وتحت سطح الماء ، متعقباً لوسى ، التى راحت تراوغه عدة دقائق قبل أن يأسرها ويحجزها فى أحد الأركان .

مضى عليهما بعض الوقت فى لهو وضحك ومرح .

أن رجلاً مختلفاً عنه ربما انتهز تلك الميزة من الهدوء اللحظى ليخبرها بأنه يعشقها ، غير أن هذا الرجل ، لن يفعل ما ورد ذلك على بال لوسى وهى تفكر . لقد أعطاها المزيد وأكثر مما توقعت ، ولكنه الآن سوف يحاول أن يمسك عليه قلبه . وحتى ذلك الحين كان يعتقد ويؤمن بأنها سوف يفترقان قبل أن يمضى وقت طويل . وعلى الأقل هو لن يكذب عليها . لم يقم بإغرائها بوعود زائفة أو كلمات لا قيمة لها عن الحب ، لقد جاءت إليه باختيارها ، وكم تملك منها حبه .

الفصـــل التاسـع

تساءل لوران :

ــ إلى أين نحن ذاهبان ؟

ــ أفضل أن نتمشى عبر شوارع كالا بيدريرا . إن هناك الخليج الصغير فيما وراء المدينة الصغيرة ، حيث أخذنا الزورق فى رحلة المبناء . نستطيع أن نمشى نحو البحر هناك ، عبر الحقول ، وأن نجمع بعض القواقع ، ثم بعد ذاك نأتى ثانية إلى الخليج الصغير لكى نصطاد الأسماك .

ــ هذا يبدو جميلاً .

كانت الساعة تشير إلى الرابعة . وكانت الشمس على وشك المغيب ، وكانت مدينة ڤيلا كارلوس هادئة تصحو من القيلولة بعد الظهر . وكان لوران ولوسى يتباطئان عبر ڤيلا صوفى وخوان منذ طعام الغذاء ، والآن صار مانويل نافذ الصبر يتوق إلى أن ينفذا وعدهما له باصطحابه معهما فى رحلة اصطياد الأسماك .

كان ثلاثتهم لوسى لوران ومانويل يتمشيان عبر الشوارع متوجهين إلى كالا بيدريرا . وكان الطريق يضيق مستدقاً ويتسع مفضياً إلى منطقة رملية

Scanné avec CamScanner

عند رأس الخليج الصغير، ثم يؤدى إلى باحة ظريفة حيث يضم مجموعة من الشقق التى يقضى فيها القوم أجازاتهم. فى مبانى كبيرة واسعة وحديثة:

قال مانويل:

ــ أنظرا ذلك مدافع.

رد لوران قائلاً:

ــ مدافع؟ أوه. أجل. ذلك الرابض عند الإشارة فى أول الطريق. وهو يتتبع نظرة الصبى الصغير.

قالت لوسى:

ــ إن مانويل يعشق تلك المدافع، إنه كثيراً ما يتوقف ليقتفى أثر وآثار المدافع فى الصور.

كان الطرق برمتها تحمل أسماء الشوارع على بلاطات، مثبتة فى قوائم أسمنتية على كل ركن، وكان ثمة عنوان استوقف ولفت نظر لوران.

قرأ لوران اللافتة وكان مكتوباً عليها «كاربر ليبانتو» وقال:

ــ ألا تنعش ذاكرتى. إن ليبانتو كانت إحدى المعارك الحربية، أليس كذلك؟

ــ هذا صحيح، وكانت من أشهر المعارك. وكانت آخر معركة بحرية تمت الحرب فيها باستخدام القوادس وهى السفن الشراعية العظيمة ذات المجاذيف، منذ حوالى أربعمائة سنة خلت.

ــ أو كانت فى ميناء «ماهون»؟

ــ كلا. لقد ظننت ذلك عندما رأيت اللافتات أول مرة، غير أننى نظرت الكتب وقرأت عنها فى المكتبة، واكتشفت أن ليبانتو تم النزال فيها والقنال ناحية الشرق، على سواحل اليونان. غير أنها كانت أمراً هاماً بالنسبة إلى جزيرة مينوركا، إذ أنها أنقذتها كما ا ــ الجزر البليارك الأخرى من غزو الأتراك.

ــ إذن هى لا علاقة لها بالتحصينات الضاربة حول ثغر الميناء؟

ــ كلا، لا علاقة لها بذلك فى شىء،

ردت لوسى بذلك القول، وأضافت:

ــ لقد رأيت التحصينات؟ أفرأيت حصن ومعقل سان فيليب؟

قال لوران:

ــ رأيتها فحسب من الماء.

ــ إذن سوف نمشى ذلك الطريق. وإذا ما صلنا غاية هذا الشارع، وعبر الحقول المترامية هناك، بوسعنا الإقتراب من الأطلال. إن مانويل قد سبق له رؤيتها من قبل، بطبيعة الحال، غير أنه لا زال يجد إستياقاً وتسلية فيها. إن زورق سان فيليب. قد تم تسميته باسم ذلك الحصن، وهذا أمر كاف ليعطيه مبرراً خاصاً فى أن يشعر بالإنتماء إليه. ليس هناك المزيد الآن مما يمكن رؤيته، غير أنك تستطيع أن تتسلق إلى القمة، وتنظر إلى حيث تبحر السفن وكيف أنها هاجمت وشنت الحرب والهجوم على مدينة «ماهون».

بوم بوم!

مضى ماتويل يقلد بتمثيل صامت فعل المدافع. فضحكت لوسى وأخذت يده، تستحثه على المضى قدماً عبر الطريق الطويل الملىء بالأتربة.

ــ إن صوفى لا تمانع فى أن يلعب بالمدافع؟ أليس كذلك؟

تساءل لوران، حينما أفلت الصبى من يدها للمرة الثانية واتطلق يعدو أمامها.

ــ إنها لن تعطيه لعب على هيئة المدافع. غير أنك كما تعلم، إذا أوقفت ومنعت الصبية الصغار عن اللعب بالمدافع الصغيرة الوهمية والأقواس والنبال والأسم وخلافه، فإنهم سوف يتوقون إلى فعل ذلك عندما يكبرون.

قال لوران:

ــ كنت أظن أن چيل وحده هو الذى يحب ذلك.

Scanné avec CamScanner

ـ أوه ، كلا ، ليس جيل فقط يفضل هذه الالعاب .

كانت كاريرلبيانتو تؤدى وتفضى إلى طريق آخر يحيط به سور كبير من الحوائط الحجرية . مشوا عبره حتى وصلا إلى بقعة منخفضة إلى الحائط ، يتبعها طريق من آثار الأقدام عبر الأرض الصخرية بالقرب من حافة الميناء .

كانت التحصينات تضرب حول وبطول ميناء وشواطىء مدينة ماهون . وكانت لا تزال قائمة الثكنات العسكرية الخاصة بمدينة فيلا كارلوس، وكانت لا تزال مزدحمة على حال ما كانت عليه منذ مائتى عام خلت، وكان وراء الحصن العتيق مباشرة بداية منطقة من المناطق العسكرية الحديثة . والحصن نفسه برغم ذلك كان قد تم تفككه ، ولم يكن ثمة شىء يرى سوى الأطلال والبقايا : الحوائط الحجرية الشاهقة الكثيفة البنيان . ومواضع تثبيت المدافع تعزز صخرة الجرف ، وحدود التحصينات التى اتخذت شكل النجوم ، والخنادق ، وبعض الدُرك الأسفل من الأحجار التى لا تزال قائمة ، المليئة فى ء منها بالمخلفات .

هرع مانويل يعدو إلى قمة الهضبة التى كانت تحتضن الحصن؛ أما لوسى ولوران فقد تبعاه فى خطو بطىء هادىء . قال لوران :

- هل أتيت إلى هنا من قبل ؟

- لقد جئت إلى هنا مرة واحدة . غير أننى أعرف المكان من خلال الميناء، بطبيعة الحال. وأنت تعرف الكثير عن ذلك، أليس هذا بصحيح ؟

كان مانويل يلهو غارقاً فى التخطيط بالدفاع عن الحصن ضد القصف والنسف المدفعى القادم من البحر ، وسرعان ما انضم إليه لوران، وهو بناقشه أين تكمن مواضع تنصيب المدافع ، وكيف يمكنهم أن يردوا بالهجوم بعد أن كانوا فحسب يدافعون عن المعقل .

اتكأت لوسى على امتداد حائط حجرى ، وراحت تراقب الرجل

وتصرفاته مع الصبى الصغير. لقد كان غريباً، كما ورد على خاطرها، حيث إن ثلاثتهم كانوا صورة منقولة عن عائلة لوران تلك التى افتقدها . رجل وامرأة وصبى يبلغ من العمر السنة السادسة . وقد كان يسعدها أن تعتقد أنها كانت فكرة لوران أن يجتمع ويأتى إلى ذلك المكان ثلاثتهم ويخرجوا يتنزهون معاً .

إذ لابد أن طلاقه من زوجته قد تسبب له فى الكثير من الجروح . أن يجد زوجته قد هجرته ، وأن يجد نفسه بعيداً محروماً من ابنه ، ثم أن يتحمل قضاء فصل الصيف تحت تهديد دائم دائب من الاغتيال كسيف مسلط على رأسه . فلا عجب أن يتراجع إلى قوقعه ، خلف متراس من الأدب . ولكنها الآن قد كسرت حدة ذلك كله ، وقد شعرت ذلك . ولم يكن لوران يخفى عنها شيئاً الآن . وهو يتمدد على العشب الأخضر مع مانويل ، يلاعبه فى غير خفيظة أو تحفظ ، بدا لها سعيداً مسترضياً ، مختلف تماماً عن الرجل العصبى المتوتر التى رآته أول مرة فى بار السيد « مال » .

إن ذلك هو كل ما يريده ، وقد علمت المسألة : أجازة طويلة ، بعد سنوات طويلة من العمل عبر أجازاته التى لم يكن يتمتع بها . إن السلام والسكينة الكائنة فى جزير مينوركا ، تعوضه عن سرعة إيقاع الحياة المروع فى باريس .

نظر هو إليها عند ذلك الحين ، وتلاقت عيناه بعينيها . ابتسمت لوسى ابتسامة عريضة ، وبعد لحظة ابتسم لوران رداً عليها . أسر فى أذن مانويل بشىء ، ثم وقف ناهضاً وأتى لكى ينضم إليها .

ـ ألم يصيبك الملل بعد ؟

ـ كلا ، البتة .

ـ أخبرنى عندما تريدين الانصراف .

عاد أدراجه إلى اللهو. وكانت لوسى تراقبه . لم يكن الملل قد تطرق إليها ، إذ كان يروق لها أن تشاهده ، وكان يحلو لها أن تنظر إلى مانويل وتلاحظه . وكان الجو بحرارته محتملاً عن ذى قبل إذ بدأت درجة الحرارة

Scanné avec CamScanner

تنخفض ، وكانت ثمة بوادر وبشائر رياح تهب من نسيم البحر.

كان مانويل أول ثلاثتهم فى الشعور بالملل والسأم. إذا كان سريعاً فى افتقاده الاهتمام بالاشياء طبيعة أترابه ممن هم فى السنة السادسة من العمر.

قالت لوسى:

ـ تعالى. لقد حان وقت اصطياد القواقع.

أخذ مانويل يلفت انتباه لوران فى شغف إلى القواقع ذات اللون الرمادى المشحوب باللون البنى، والتى كانت تتجمع عند كل ساق من سيقان الشجيرات. وكان كلاهما يتنافسان مع بعضهما البعض فى أن يروا من يجمع أكبر قدر من القواقع فى الحقيبة البلاستيكية التى أحضرتها لوسى. وفى خلال عشر دقائق كانت قد امتلأت، وأخذ مانويل ينبه بأنه فاز فى جمع القدر الأكبر بهامش ضئيل عن لوران، وكانوا يمشون الهوينى فى عودتهم أدراجهم إلى الخليج الصغير. قال لوران متسائلاً:

ـ أين يمكننا القيام بصيد الأسماك؟

ـ عند أقصى طرف الخليج الصغير. إن معظم الأماكن والبقاع الممتازة للصيد تقع هناك أعلى الجرف، غير أننى لا أحبذ اصطحاب مانويل إلى هنا إنه سباح جيد، غير أنه ربما يرتبك، ويفقد توازنه فيقع من جراء اثارته، فى قلب الماء.

أصابهم الجهد وهم يتسلقون حول نهاية الخليج الصغير، وعبر رقعة من الصخور المنخفضة الواطئة، ووقفوا عند صخرة عريضة واسعة، كانت جافة بما فيه الكفاية حتى يمكنهم الجلوس عليها، وكانت تقع على مسافة ملائمة تمكنهم من إلقاء حبال أجهزة وأعواد صيد الأسماك الخاصة بهم فى المياه العميقة.

وسرعان ما تمكنوا من اصطياد أربعة أسماك صغيرة جمعوها فى الدلو. وكان كل من لوران والصبى مانويل يتنافسان فى جمع وصيد الأسماك والإسراع فى ذلك بقدر ما أمكنها. وكانت مياه الخليج الصغير تعج

بالأسماك الصغيرة . وتمكنت إحدى السمكات من الوثوب من الدلو مرة ثانية ، فراح مانويل يطاردها حول الصخور وهو يضحك حتى أمسكت بها لوسى فى يديها قبل أن تنزلق إلى مياه البحر.

وبعد برهة ألقى مانويل بعود الصيد الخاص به ، وجلس يراقب الأشكال وهى تقوم حول أنفسها فى داخل الدلو واستغرقت لوسى نفسها وهى تنظر فى سعادة نصف الوعى أو شبه الوعى فى عود الصيد إلى الناحية الكائنة فى الجانب الأخر كانت كذا تنظر وترمق فى لطف الفلين الطافى على الخاص بعود صيدها لإرشادها إلى التهام الأسماك للطعم.

حجبت الشمس سحابة عابرة ، فراحت لوسى تختبركم مضى من الوقت بالنظر فى ساعتها وهى بعد ترتعش وترتجف. لقد حان واقترب موعد العشاء. قالت فى فتور وعلى مضض:

ـ لو أن الوقت يعود كرته الأولى ، أو يرجع إلى سيرته الأولى.

ـ صاح مانوير مبتهجاً:

ـ وظيفتى هى أن أحمل الدلو.

يتعيت علينا أن نعرفه من محتوياته.

ـ ولكننى أريد أن أرى ماما الأسماك التى اصطدتها.

هزت لوسى رأسها فى حزم وقالت:

ـ آسفه. عندما تكون معى يجب عليه أن تذعن لقواعد نظام صياد السمك. وهذا يعنى إلقاء الأسماك فى مكان اصطيادها مالم تكن بصدد أكلها. إننا لا نستطيع أن نأكل هذه ، إنها صغيرة ومليئة بالأشواك ، ولذلك فسوف نرمى بها ثانية إلى البحر.

فقال مانويل:

Scanné avec CamScanner

ـ إن أباك لن يسمح لك بذلك. أليس كذلك يا مانويل؟ وهل نعلم لماذا؟ لأن الأسماك سوف تموت. إن درجة حرارة الماء فى الدلو مرتفعة لا نستطيع احتمالها، كما أن الأسماك تتنفس بصعوبة. ألا ترى أن السمكة القوس قزحية الصغيرة لا تكاد تستطيع التحرك. لسوف تنتعش إذا ما ألقينا بها مرة ثانية للماء الآن، أما لن تستطيع المعيشة والبقاء على قيد الحياة ساعة أخرى فى بوصات ضئيلة من المياه تجاهد فيها للتنفس.

رشق مانويل أصبعاً، واستثار السمكة القوس قزحية. فحركت زيلها فى فتور.

قالت لوسى، حينما أمسك بالسمكة الصغيرة، وأخرجها من الدلو فى راحة يده:

ـ كن حذراً.

ـ إنها تصدر أضواء ساطعة باهرة.

ـ إنها جميلة للغاية، خسارة أن تموت وهى على هذا القدر من الجمال، لا تلق بها، ولكن زلقها فحسب فى المياه الضحلة.

وأطلقوا كذلك سراح السمكات الأربع جميعها، ووقفوا يتفرجون عليها حتى انتعشت آخرها وبدأت تسبح وتعوم بعيداً عن الشاطىء

قال لوران:

ـ هلموا، تعالوا. سوف أبتاع لكم الآيس كريم من السوبر ماركت الواقع على أطراف المدينة، إن الجو لا يزال حاراً، ولكم كنت صبياً ظريفاً.

وفى لوران بوعده حتى عندما اختار مانويل الكراميل بدلاً من الآيس كريم. وعندما بدأت أقدام مانويل فى المسير فى العودة إلى الڤيلا، أخذ لوران يغنى أغنية «دوق مدينة بورك العجوز العظيم»، وراحت لوسى تضحك، وهى تشترك معه فى الغناء. وانخرطوا فى غناء عدد كبير ووافر من الاغنيات من شتى المشارب ومن كل حدب وصوب، واللون العاطفى والوطنى والرومانسى، والحالم... الخ من عشرات الأغنيات التى استطاعوا

أن يتذكروا كلماتها، الأمر الذى أدهش وأفرح السياح المارين بجوارهم عبر الطريق.

انطلق مانويل إلى الطريق المؤدى إلى الڤيلا، بمجرد أن وصلوا إلى البداية، متوجها إلى صوفى وكارا الذين كانا فى النافذة.

توقفت لوسى والتفت إلى لوران. قال:

ـ يجب أن أعود أدراجى الآن. لدى بعض المكالمات الهاتفية التى يتعين القيام بها. هل سوف آتى هنا إليك فيما بعد أم إلى بار السيد «مال»؟

ـ ينبغى أن أزور فانيسا. ولذلك فسوف أراك فى بار السيد «مال» ربما معها أيضاً. فى حوالى الساعة التاسعة والنصف؟

ـ أو مبكراً عن ذلك.

ثم انثنى برأسه، وقبلها فى رقة وخفة، وذرع الطريق متوجهاً إلى سيارته.

تركت لوسى الڤيلا فى الساعة الثامنة والنصف، وتوجهت إلى فانيسا وعزفنها فى فندق دون كارلوس. صاحت فانيسا قائلاً:

ـ أحد الغرباء!

وهى تفتح الباب مباشرة، بعد أول طرقة من طرقات لوسى. ابتسمت لوسى، ابتسامة تنم عن الإعتذار، إذ كان حقاً أنها لم تر فانيسا منذ فترة طويلة.

ـ كيف حال بالما؟

ـ حارة ومزدحمة. لقد كان لدى الوقت الكثير الوفير. كان يتعين عليك إن تأتى.

ـ لقد كنت أمضى وقتاً ظريفاً ممتعاً ههنا.

اتسعت ثم ضاقت عينا فانيسا الواسعتان الزرقاوان وهى تصيح:

ـ إنه لوران إذن؟

ـ كيف تسنى لك أن تخمنى ذلك؟

Scanné avec CamScanner

— حتى أكون أمينة، لقد قال لى «مال» شيئاً عن ذلك، وأسر به إلى. أبروفك ذلك، يا لوسى. إنك تبدين مشرقة متألقة بالحب والسعادة على نحو إيجابى.

— إن هذا لا يجعلنى أهتم باستذكار دروس ومناهج الجامعة.

إذ أننى لم أفتح كتاباً منذ أيام. ولسوف أشن عليها أعنى هجماتى المفاجئة حينما أعود أدراجى إلى لندن.

— وتنسين وتتناسين قلبك الكسير.

— شيئاً هذا القبيل.

أسرحت فانيسا مشطة سريعة عبر تجاعيد شعرها الأحمر، ومدت يدها فى حقيبتها، وهى تردف:

— على الأقل سوف لا يكون لك أوهام آنذاك. بشأن نهاية العلاقة.

صبت فانيسا لنفسها الويسكى عبر زحام الناس الذين يمضون أجازاتهم باللهو فى الردهة، ووقفت لوسى تنتظرها بينما كانت تتسامر فى حب ووداد مع البنات الجالسات خلف مكتب الاستقبال.

كم كانت فانيسا واقعية، أخذت لوسى تتفكر فى ذلك متأثرة فى عواطفها. لم تكن فانيسا حقودة، وبدت حقاً مستمتعة بسعادتها الشخصية. لقد كانت على حق، بطبيعة الحال: لم يكن هناك أى صالح فى أن تتشبث بالأوهام. حاولت لوسى ألا تنفق مزيد من الوقت فى أحلام اليقظة بشأن أحتمال الأرتباط بالزواج فى المستقبل مع لوران والمقام فى باريس. إن لوران لم يعطها أية إشارة بأنه يفكر فى أى شىء من هذا القبيل، واعترفت على مضض لنفسها بأنها لم تكن فكرة عملية.

إن الحقيقة كانت تتمثل فى الذهاب إلى لندن، إلى الجامعة، حيث سوف تمضى فصل الخريف الممطر، بين تلك الكومة من الكتب والعمل الذى يتعين عليها أن تنجزه.

ولن يكون هناك آنذاك أى لوران. ألم تكن تعلم ذلك وتعرف ذلك الواقع، يا لها من حقيقة محبطة.

إن شطراً من وجدانها يصدق ويوقن بالفراق، غير أن الشطر الآخر لا يزال غير مصدق بأن ذلك سيحدث وأنه عين الحقيقة. لقد صار لوران يعنى لها المزيد والشىء الكثير، بذلك القدر الكبير من السرعة. حتى أنها لم تعرف كم ستكون قادرة على احتمال الألم، حينا.. وإذا... ما قسم الله أن يفترقا عن بعضهما.

أخذت تدير ذهنها قائلة، أجل، حسنا، بينما كانت فانيسا تشق طريقها برشاقة عبر زوجين من الزبائن القلقين، وتتوجه إلى العودة أدراجها نحو جانب لوسى، لقد كانت دوماً تعلم علم اليقين، أيضاً، أن ذلك هو ميناء، المياه العميقة، ذلك ميناء الحب. وفى النهاية، لم يكن ذلك ليردعها عن الغوص فيه.

• • •

كانت الأيام العشرة التالية أياماً مجيدة. وذات صباح توجهما للغطس، يقلهما الرزوق الضخم إلى جزيرة الهواء «إيللا دى لا يرى» الواقعة تواً إلى خارج ساحل بونتابريما، على الشاطىء الجنوبى من الجزيرة، حيث انطلقوا من هناك إلى المياه العميقة الصافية، فى البحر المتوسط. كانت لوسى تعرف أفضل الأماكن التى يمكنهم فى الغوص، وادت لوران إليها. ولقد أثبت وبرهن على أنه غطاس أكثر مهارة منها، وساعدها فى صبر على أن تحسن من تقنياتها، حتى أنها استطاعت الغوص لمسافات أعمق، وأن ترى المزيد من أعماق المياه.

وصادا السمك سوياً أكثر جدية فى صباح آخر من الأيام التى أمضتها معه لوسى، تقلهما زورق سانتا كاتيرينا إلى خارج البابسة نحو أعماق المياه العميقة، فيما وراء ثغر الميناء. وفى اليوم الثالث الذى خرجت فيه لوسى، ذهبا لزيارة دير «مونت تورو»، والقيام بنزهة خلوية يتناولان خلالها طعام الغذاء، فى أحد المطاعم الظليلة الواقعة إلى الشمال من الجزيرة. وفى كل مساء تقريباً، كانا يخرجان معاً، إلى المطاعم والبارات... يصطحبها أحياناً صوفى وخوان، أو مع فانيسا، وأصدقائها. وفى نهاية كل أمسية،

Scanné avec CamScanner

سواء كانت بمنزله أو بأى مكان آخر كانت تجد نفسها مترعة بالحب لذلك الرجل.

وفى كل يوم، كانت الشمس تشرق من جديد. وكان زورق سان فيليب يطوف بالمرفأ فى الظهيرة، وكانت لوسى ترفل فى السعادة، وهى تمضى أجازتها وتتوهج وتتورد فى أعقاب كل مرة تلتقى فيها بلوران وبعد ذلك، حل ذات صباح، على نحو غير ممكن تجنبه، أن استيقظت وأفاقت على سماء ملبدة بالغيوم.

إذ كان ثمة طبقة رقيقة من السحب، تغطى كبد السماء، وتحجب الشمس. ولم تكن بالكثيفة ولا بالممطرة الصيبة ــ وهى كذلك ــ لا تتبدد أو تتبخر، حينما ارتفعت الشمس وتوسطت عرصة السماء.

وكانت صوفى، وهى تتناول طعام الإفطار، تفلسف الأمور.

قالت:

ــ حسنا، إنه شهر سبتمبر. لابد أنك لاحظتى التغير فى عدد السياح على ظهر المركب. كل أولئك الأطفال الانجليز الصخبين الذين يملأون الدنيا بالضوضاء والعجيج، بصدد العودة إلى مدارسهم. وكل الزبائن الآن عبارة عن زوجين من الرجال والنساء، والنفر القليل من السياح الذين يأتون عرضياً.

ــ لم أفكر فى هذا الموضوع حقاً.

قالت صوفى مازحة:

ــ وإنى لأعجب لماذا لم تفكرى فيه؟ تعالى يا كارا، كلى خبزك وعسلك.

متى يعود لوران أدراجه إلى بلاده؟

ــ يعود إلى باريس.

قالت لوسى ذلك، وقد بدا كما لو كان ثقل بارد قد استقر على معدتها.

وأردفت قائلة:

ــ لم أسأله.

قالت صوفى:

ــ لا يمكنه المقام لفترة أطول. إذ كان يتعين عليه أن يكون قد غادر الجزيرة منذ شهر مضى.

علمت لوسى، أنه مرت فترة خمسة أسابيع منذ رأته أول مرة فى بار السيد «مال».

ــ إن الصيف لم ينته بعد.

ــ ربما يكون الجو صحواً مشمساً غداً أيضاً، هذا أمر صحيح. غير أن الجو غالباً ما ينقلب إلى الأسوأ فى أواخر سبتمبر أو أوائل أكتوبر. إن الموسم قد نفق بحلول نهاية أكتوبر كما تعلمين.

كانت لوسى تعلم ذلك، إذ أن (مال) وڤانيسا كان يتحدثان من قبل عن خططها لتقضية فصل الشتاء. إذ تغلق معظم الفنادق والشقق بحلول منتصف شهر أكتوبر، ومعظم البارات والمطاعم. دفعت كرسيها عن منضدة المطبخ، ولم تلاحظ الكشط الذى أحدثه فى الأرضية المصنوعة من البلاط. قالت صوفى متسائلة:

هل لديك خطط بشأن الصباح.

ولم يكونوا يخططون ويضعون خططاً مقدماً. لقد كان الصباح نوعاً من أنواع الأجازات، وكان كل شىء يكاد يكون مقرراً فى النو واللحظة.

لم يقل لوران أنه سوف يأتى إلى كالاكوريب، ولذلك فهو يتوقع منها أن تأتيه فى الڤيلا. لم تفكر لوسى فيما هو أبعد من ذلك. قالت:

ــ ليس ثمة شىء خاص. سوف أرى خوان فى الميناء إذ ليست هنا حمامات شمسية، كما ترين؛ والسياح حينئذ سوف يبحثون عن شىء آخر يشغلهم.

قالت لوسى فى صوت يزحف عليه آثار واهية من الضجر والسأم.

ــ لن أتأخر.

أخذ قارب الـ«صوفى» متوجهة إلى الڤيلا. وقد استغرق منها برهة

Scanné avec CamScanner

من الوقت أن تجعل ذاكرتها المتعلقة بالمسدس تتلاشى، وأن تشعر بالراحة وهى تمشى وتصعد الدرج بدون أن تعلن مجيئها لأحد، قادمة من الرصيف، إذ أنها الآن تشعر كما لو كانت فى بيتها تماماً، فى الڤيلا، وحتى ألونزو تمكن من اعطائها إيماءة بالرأس مرحباً بها. أرسلت الزورق بنفسها. وبدا وذلك العمل شاقاً بأكثر مما هو معتاد، برغم من أنها كانت تقوم بذلك العمل غالباً من قبل، وراحت ترمق وتحدق فى الدرج لكى ترى ما إذا كان لوران سوف يأتى لمعاونتها ومساعدتها أم لا. غير أنه لم يأت.

لقد رأته حينما وصلت إلى ساحة الدار. كان داخل المنزل، يتحدث بالهاتف، وكانت يده تلوح لها فى الهواء مرحباً بها، أما ظهره فقد استدار نحوها. انزلقت جالسة على أحد الكراسى الخشبية المطلية بالدهان الأبيض، والتقطت صحيفة من الصحف الصادرة محلياً، تلك التى كان يجمعها فى كومة للوران، السيد ألونزوا كل صباح، وكانت تشمل صحيفة برشلونة اليومية، والصحافة الصادرة فى باريس ولندن ومتخصصة فى عالم المال والتجارة، غير أنها كانت تصل متأخرة يومين.

كانت قد وصلت بقراءتها إلى صفحات الرياضة قبل أن ينفتح الباب، ويدخل لوران. قال:

ــ لقد أخبرنى خواناً بأنك ههنا. لم أسمعك عندما وصلتى.

ــ لقد كنت تتحدث بالتليفون، ولذلك ظننت أنه من الأفضل عدم ازعاجك.

ــ أجل. أجل.

وأجرى احدى يديه عبر شعره، فكان مثالاً لرجل الأعمال المتوتر.

قال لوران:

ــ أنا آسف يا لوسى، سوف أكون مشغولاً معظم هذا النهار. وأتمنى أن أنتهى من عملى بحلول موعد الغذاء.

ــ لقد وعدت بالعودة إلى كالاكورب عند الساعة الثانية عشر.

هز رأسه قائلاً.

ــ آسف. هل أحضرت معك كتاباً لقراءته.

ــ كلا، كلا. لم أحضر، ليس اليوم.

ــ جيد، امكثى ههنا إذا أردت، واستعملى حوض السباحة أو افعلى أى شىء.

ومضى يذرع المسافة مشياً بعد أن قبلها قبلة روتينية، متوجهاً إلى داخل الڤيلا. وأغلق الباب مصرعاً إياه وراءه.

جلست لوسى لحظة، تنظر فى أعقابه، وتناست كل شىء عن الصحيفة المطوية الرأسية على حجرها. وعبر الباب الزجاجى أمكنها أن ترى لوران، وفى أحدى يده سماعة التليفون، والأخرى تتعامل مع لوحة مفاتيح الكمبيوتر «الحاسب الآلى» الخاص به.

لقد كان ينبغى عليها أن تمضى، وورد ذلك على بالها. إذ كان ظريفاً منه أن يسمح لها بالبقاء، ولكن لم يكن ثمة سبب فى أن تمكث حوله، إذا كان سينخرط فى العمل مشغولاً به طيلة الصباح. كما لم يرقها فكرة السباحة بمفردها فى حوض السباحة، وتنظر إليه كل حين لكى تراه ناسياً إياها فى الجانب الآخر فيما وراء الزجاج. لم يكن ثمة شىء آخر بالنسبة لها تقوم به فى الڤيلا.

فماذا كانت عادة تصنع تمضى أوقات الصباح؟ كيف كانت تملأها قبل أن تقابل لوران؟ إنها لا تستطيع أن تتذكر ذلك فى الواقع. وذات لحظة، بدا لها أن ليس ثمة ما تفعله البتة فى ميناء مدينة «ماهون». فألقت بالصحيفة على كومة الصحف الأخرى مشيحة بذراعها فى ضربة عنيفة بعض الشىء، ثم نهضت واقفة.

كان يجب عليها أن تعمل هى أيضاً. كان ثمة كومة من كتب المناهج المقررة التى لم تقرأها، مركونة على المنضدة هناك لدى صوفى. لقد كانت غير مهيأة ذهنياً للذهاب ومهاجمتها.

بدلاً من ذلك، راحت تتجول فى ساحة الدار وفى أرضية الڤيلا،

Scanné avec CamScanner

على غير هدى. كان بمقدورها أن تأخذ حماماً شمسياً على النيراس، إذ كانت الشمس ساطعة ــ ولكنها لم تكن كذلك. ولم يكن صباحاً سيئاً غير ملائم لصيد الأسماك. إنها حتى لم تشعر بالرغبة فى صيد الأسماك.

بدا المطر ينهمر لما وصلت إلى النيراس. وأخذت قطرات المطر تنصب عليها فجأة بعد فترة من الجفاف تصيب رأسها وذراعيها العاريين، ثم فجأة هطل، بجناح السماء. فعلت لوسى الشىء المعقول الوحيد، ألا وهو العو والعدو إلى الفيلا. فاقتحمت الباب الخاص بغرفة لوران، واصطدمت بالباب ودخلت وهى تلهث.

لم تقصد عمداً التوجه إلى غرفة الجلوس، ولكن بدا لوران من باب غرفة النوم الداخلية، بعد لحظة فيما بعد، قال:

ــ أتعجب ماذا لو أحاطت بك الأمطار الهاطلة. أوه لقد أحاطت بك فعلاً.

وأخذت ينظر إليها متفحصاً، وفهم ذلك من ابتلال قميصها الدتى ــ شيرت والبنطلون القصير المشبعين بالماء. قالت لوسى، وهى تتحسس بأصابعها القماش الرطب:

ــ يجب على أن أخلع هذه الملابس، وأنا آسفة على الإزعاج.

ــ عفواً...

وانطلق إلى مجموعة أدراج يفتحها، وقال:

ــ يحسن أن تستعيرى بعضاً من ملابسى.

وجذب زوجاً من بنطلوناته، ونظر فيها منتقداً ومتفحصاً. قال:

ــ هل تعتقدين أنك يمكنك ارتداء هؤلاء؟

ــ أظن ذلك، حتى مجرد أن أعود إلى صوفى.

ومضت تأخذهما منه. فابتسم وكشر عن ابتسامة أمامها، وأحضر لها كذلك قميصاً من قصان الدتى ــ شيرت.

قال:

ــ سوف آتى إليك أطالبك بردها ثانية هذا المساء.

ــ هل سوف تأتى إلى فيلا صوفى لتناول العشاء؟

ــ كلا، أريد أن آخذك إلى مكان ما خاص هذه الليلة.

وابتسم ثانية، وكانت عيناه تضيقان عندما يلتقيان بعينيها.

وأضاف:

ــ سوف آتى إليك حوالى الساعة الثامنة حسناً؟

ــ حسناً.

ومن فورها، جذبته إليها وقبلته. فأسدل ذراعيه عليها، وأمسك بها هنيهة. وعندما انفرجا وانفصلا، رأت أثر الماء والملابس المبتلة مطبوعاً على قميصه الأبيض والبنطلون الشاحب.

قال لوران:

ــ فلتأخذى حماماً قبل أن تنصرفى. لسوف أعود إلى غرفة المعيشة، ولكن ليس هناك حاجة أن تقولى لى «إلى اللقاء» فسوف أراك هذه الليلة.

كان ذلك يعنى «لا يضايقينى مرة ثانية»، ولكن لوسى كانت قد أرضاها عدم التفكير فى ذلك. أخذت حماماً هادئاً، طالما كان يجب عليها الإنتظار حتى يتوقف هطول المطر، وارتدت ملابس لوران الجافة. أما البنطلون القصير فقد كان بلائمها تماماً ومضبوطاً عليها على نحو مدهش. إذ أن جسده كان نحيلاً رشيقاً ممشوقاً، غير أنه أطول منها.

مع حلول تلك اللحظة كانت الأمطار قد توقفت، فعادت فى نفس اللحظة إلى غرفة لوران. ثم انطلقت فى لحظة واحدة بعدما سددت رمقة إلى لوران.

والأمر الذى أزعجها أنها رأت حينما وصلت إلى آخر عتبة من الدرج أن ألونزو كان متواجداً على الرصيف. كانت ملابس لوران محتشمة عليها، ولكنها شعرت بالزهو بذاتها، وانتظرت لحظة حتى اختفى ألونزو عن الأنظار قبل الهبوط نحو الرصيف.

كان واضحاً أن يعمل فى إصلاح محرك الزورق السريع، وكانت

Scanné avec CamScanner

أجزاء وقطع منه منتشرة بطول الرصيف الخشبى، مختلطة بأشياء أخرى، وإناء فيه زيت، وآلات ومعدات مختلفة ومتنوعة. كان الباب المؤدى إلى مقر الزورق مفتوحاً مشرعاً، وتراجع داخله ألونزو متظاهراً بإحضار آلة أخرى.

ظهر وفى يده مفتاح ربط، قبل أن تفك زورق الـصوفى، وأومأ برأسه لها مودعاً إياها، قالت متسائلة:

ــ ألبس زورق سانتا كاتيرينا يعمل؟

تمتم وهمهم كلاماً باللغة الكاتالانية لم تستطع أن تفهمها؛ ثم، عندما رآها حيرى، اقترب منها عدة خطوات، وقال ألونزو:

ــ أننى أنظف الزورق، حتى يكون جاهزاً للشتاء، إن السنيور باكلى، سوف يأتى غداً. وأنا أزيت وأشحم المحرك حتى أوقف الصدأ.

السنيور باكلى سوف يذهب. أم يأتى غداً؟ وأى غد؟ لم تستطيع لوسى أن تجد الكلمات لتجيب عليه. فأومأت برأسها له، فرد ألونزو عليها بطأطأ رأسه، وعاد ثانية إلى عمله.

ولم تسمح لوسى لنفسها بأن تفكر مرة ثانية حتى أصبحت فى وسط القنال. وأوقفت محرك قارب الـ(صوفى)، ثم علمت أن القنال الرئيسية للميناء كانت مزدحمة بما فيه الكفاية حتى يمكنها أن تجد مكاناً هناك، وأعادت تشغيل المحرك ثانية، جاعلة القارب الصغير يقترب من الصخور الواقعة إلى الشمال من كالاكورب.

كان يتوجب عليها أن تتوقع ذلك. إن كل شىء، طوال هذا الصباح، كان يفضى إليها بتلك الأسرار. ولكن فى الغد؟ أنه سوف يعود إلى باريس غداً؟ إنها لم تواجه حقيقة أن المحظور سوف يقع وشيكاً لا محالة.

وعلى الأقل، راحت تحدث نفسها بذلك، لقد كانت قد تلقت انذاراً. إن لوران لم يقصد بوضوح أن يخبرها بأنه سوف يغادرها الجزيرة حتى اللحظة الأخيرة. ربما قصد أيضاً ألا يخبرها حتى فى آخر لحظة. أن

يقضى معها أمسية عشق وهيام أخيرة وبعد ذلك ــ لا شىء؟

تشتت ذهن لوسى بوحشية، وتوارد على خاطرها ضرورة مواجهة الموقف، إن المآل سيكون هكذا لا محالة. إن لن يصلح ذلك ولن يستمر طالما أنك فى الجامعة فى لندن ولوران فى باريس. إن حياتكما ستكون مختلفة تماماً، والمسافة بينكما كذلك شاسعة. ربما تتخيلين مستقبلاً أشرق وأبهر من ذلك، مستقبل تبدأ بوادره وبشائره فى أعقاب التخرج، ساعتها ستضيق الفجوة بينكما، غير أن مدة الفراق طويلة، وكيف تواجهين الانفصال لمدة عام كامل على ذكرى علاقة زائلة عابرة ذات أجازة. فلتستمتعى بآخر أمسية ودعيه يذهب.

قالت ذلك فى نفسها مراراً وتكراراً، على مدار الطريق عائدة إلى كالاكورب. ولكن على أية حال لقد بدأت لوسى وهى بعد مفهرة ومحبطة فى الاستعداد لرحلة الظهيرة حول الميناء. أحدقت عبر فيلا لوران حينما عبر زورق سان فيليب بجوارها، ورأت أن الأبواب مغلقة، وأن الزورق الضخم الأبيض لم يعد له وجود فى المرس المجاور للرصيف.

أحضر لوران معه وروداً وباقة أزهار حينما وصل إلى فيلا صوفى ذلك المساء، باقتين، أحدهما لصوفى والأخرى للوسى. أما ماريا الصغيرة فقد اعترضت إذ لم يكن ثمة باقة من الورود لها، فشرع يستل زهرة ووردة من كل باقة، وراح يقدمها لها وهو ينحنى انحناءة إعزاز.

ورد على خاطر لوسى كم أن لوران ساحر وفاتن، ولكنها فى نفس الوقت أحست بأنه فيما وراء لوران المتورد المبتهج يكمن شخص مشتت الذهن ومنطوى العزيمة. وأخذت تعجب وتتساءل: أتكون مشكلات الأعمال التجارية والمشروعات التى كانت تشغله ذلك الصباح، لا تزال تستغرق تفكيره وذهنه، غير أنها لم تحب أن تسأله عن ذلك.

قــال:

أريدك كلك لنفسى هذه الليلة. لقد حجزت فى مشواة بارشلونة، أيروقك ذلك؟

Scanné avec CamScanner

لقد كان اختياره أختياراً موفقاً، إذ أن ذلك المطعم كان الأكثر شهرة والأكثر ارتفاعاً فى أسعاره على الجزيرة. قالت لوسى:

ـ أجل، هذا يروقنى.

وقادا السيارة متوجهين إلى مدينة ماهون فى صمت. ركن لوران سيارته، وأخذ ذراع لوسى بينما كانا يمشيان الباردات القليلة إلى المطعم.

لم يسبق لها أن كانت هناك أبداً. لقد كان مزيناً ومزخرفاً وفقاً للأسلوب والطراز الأسبانى فى الزخرفة القائمة. ومزوداً بالفسيفساء من خشب البلوط (السندان)، والكراسى المرتفعة المسند ذات المقاعد المخملية الحمراء، والأضواء الصادرة المنبعثة من القناديل. كان الوقت لا يزال مبكراً، وكان ثمة أناس قلائل متفرقون فى المطعم. قادهما النادل إلى إحدى المناضد فى أحد الأركان.

طلب لوران الشمبانيا. وجلس ينتظر النادل حتى يصب الشراب، ورفع كأسه إلى كأسها، وهو يقول:

ـ فلنشرب نخب الأجازات السعيدة.

رددت صدى قوله:

ـ الأجازات السعيدة.

وهى تقول فى نفسها فلنستمتع بها وحدك، غير أن الثقل الرصاصى الذى أصاب معدتها لم يفارقها.

قال لوران متلطفاً:

ـ إن هذه تمثل أجازة عزيزة على، يا لوسى، لقد شعرت بانحطاط معنوياتى والاحباط قبل أن أراك تماماً مثلما شعرت حينما غادرت باريس فى الشهر المنصرم. ولا تزال هذه الأسابيع القليلة الفائتة تعد من أسعد أيام حياتى. والفضل فى ذلك يرجع إليك.

ـ لقد انتابنى نفس المشاعر.

ـ آمل واتعشم ألا تنقضى، غير أن تلك الأجازة كانت طويلة للغاية، ولقد تجاوزتها بعشرة أو اثنى عشرة يوماً. ولقد كنت اعتزم أصلاً

العودة إلى باريس منذ أسبوع، غير أننى لا أستطيع أن أقاوم نفسى وأرحل. والآن لم يعد لى أية استطاعة فى التأجيل إلى أبعد من ذلك. واعتقد أنك قد استشعرتى ذلك سلفاً وأن هذه الليلة سيكون آخر ليلة لنا.

إذ سوف أطير فى الساعة الحادية عشر أصباح غداً.

همست لوسى قائلة:

ـ إنها إذن نهاية الصيف.

قال لوران بلطف:

ـ إن ذلك أمر لا حيلة لنا فيه. غير أنه كان صيفاً طيباً جداً ولسوف يخلف لى بعض الذكريات السعيدة للغاية،

ذكريات سعيدة لقد أحبت وعشقت ذلك الرجل حباً جماً، وبدا ملائماً لها تماماً، وعند حلول بشائر الصباح الجديد، ستؤول الأمور إلى ما قدر لها أن تكون: ذكرى سعيدة. أرادت لوسى أن تصرخ وتزعق، أن تصرح له بأنها لن تحتمل ذلك الفراق، وأن تركع على ركبتيها وتتوسل إليه أن يكتب إليها، وأن يخاطبها بالهاتف، إلى حد ما، وأن يعطيها الأمل ولو كان ضئيلا فى مستقبل يجمع بينهما.

رفعت كأسها مرة ثانية إلى كأسه ورددت صدى قوله:

ـ ذكريات سعيدة. فلنشرب نخب الذكريات السعيدة.

Scanné avec CamScanner

الفصـــل العاشـــر

قالت جانيت ذات صباح للسيدات فى الدور الرابع فى قسم «براون آند ليڤبر»:

ــ لم يحدث أن قابلتم مارتين من قبل، أليس كذلك؟

كانت جانيت السكرتيرة المشرفة على المجموعة من الخريجات المتدربات التى ضمت لوسى. لم تعرف لوسى الفتاة ذات الشعر البنى التى كانت معها: إذ ظنت أنها سكرتيرة أخرى، من مكان أو قسم آخر بالمبنى. قالت:

ــ لا أعتقد فى ذلك. أن اسمى لوسى ساندرسون.

قالت لوسى ذلك وهى تمد يداً تصافحها.

ــ إنه مارتين ليمونين.

وأخذت تشرح جانيت وأردفت:

ــ إن مارتين يعمل سكرتيراً فى الطابق العلوى. ولقد كانت زوجته محظوظة، إذ كانت تعيش مع رئيسها فى العمل الذى هو وسيم على نحو غير معقول، ولكنها تطلقت منه.

قالت جانيت:

ــ حسناً، إن هذا يجعلنا نغير. إذ أننى لا أخفى إعجابى به، كما أننى قد منذ عهد طويل ومنذ فترة طويلة من الزمن أرمقه وأراقبه بعينى هاتين وقد استبدت بى مشاعرى فى الاشتياق إليه، ولكن لى أحظى بفرصة لفت انتباهه. ربما كانت لوسى تستطيع أن تلفت انتباهه.

قالت لوسى بخفة:

ــ لا أعرف أن هناك أى شخص وسيم على نحو غير معقول فى «براون آند ليڤبر». لقد ظنت أن أرنو كان جميلاً للغاية يغطى على ما سواه.

كان أرنو متدرباً يجلس على المكتب التالى لها، صبى نحيل يرتدى نظارة أنيقة، قال مارتين:

ــ أوه، كلا، إن ذلك يبرهن ويدل على أنك لم ترى موسيو باكلى.

موسيو باكلى. منذ ستة أسابيع كانت لوسى تعمل فى قسم «براون آند ليڤبر»، وكانت تلك هى المرة الأولى التى يذكر أمامها موسيو باكلى. إذ أنها لم تكن تصدق أنه حتى يعمل فى ذلك المبنى عينه، إذ أنها لم تر اسمه على قائمة أرقام التليفونات الداخلية.

ولكن ألم تكن هى مهيأة لذلك، حتى منذ أن أتت إلى مكتب باريس لإجراء أول مقابلة لها فى فرع البنك التجارى، الذى كانت تعرف وتعلم أنه يعمل فيه؟ ألم تكن تدرك أنها سوف تسمع عنه فى آخر المطاف؟ وأنها إن عاجلاً أو آجلاً سوف تهرع إليه؟ ألم تخبر نفسها كيف أن الأمر يعنى لها الكثير، وكيف أنه ميسور لها أن تتعامل مع الأمر؟

بعد كل شىء، وعلى أية حال، ما الذى كان يمثله موسيو باكلى لها، وما الذى كانت تمثله هى له؟ لقد كانت علاقة رومانسية وجيزة فى أحد الأجازات، هذا هو كل ما هنالك، وانتهت برمتها منذ عام خلى وانصرم.

قالت فى صوت رزين:

ــ أظن أننى تشرفت برؤيته:

قالت جانيت:

Scanné avec CamScanner

ـ ينعين علينا ان نرتب وننظم اجتماعا .

ـ أوه ، كلا !

كانت لوسى توشك أن تفضم لسانها فيما بعد ، غير أنها لم تكن قادرة على منع استغرابها من الظهور. وأضافت مبتسمة :

بطبيعة الحال ، يسعدنى ذلك . ولكننى .... لدى صديق أحبه قبلاً .

تمتمت جانيت وهى تقول :

ـ ألديك صديق ؟

وكانت نبرة حديثها تنم عن اهتماما متصاعد ، ثم أقطبت جبينها وعبست ، قالت :

ـ إنك لا تعنين أرنو ، أليس كذلك ؟

ـ كلا بالطبع. إنه يعمل صحفياً فى « البارى مانش »

مزحت جانيت وهى تقول :

ـ لوسى ! فلنحجبى ذلك عنا ! إننى لأراهن أن مسيو باكلى أكثر ظرفاً ولطفاً منه ، وأكثر غنى وثراء كذلك . ولك ألم تكن هناك شائعات من أنه يواعد ويخرج مع ميشيللا ليبرون ؟

ميشيللا ليبرون الممثلة ! جاهدت لوسى نفسها كى تهدىء من الاضطراب الكريه التى أصاب معدتها ، وأن تبقى على تعبير وجهها فى إبداء الاهتمام المهذب بالحديث ، فى حالة اضطراد واستمرارية .

إنها لم تستطع مقاومة الشعور بالارتياح ، برغم ذلك ، عندما ردت إحدى النساء الحاضرات اللائى يعملن فى نفس المبنى بهزة من الرأس دليلاً على الرفض وانكار ذلك ، وقالت فى وضوح :

ـ لقد كان هناك كلام فى أعمدة الشائعات منذ حين ، ولكن صدقينى ، إنه غير صحيح . إن ذلك الرجل لم أره أبداً يخاطب امرأة ما على التليفون ، فيما عدا مرات عابرة عارضة مع زوجته السابقة . كما أنه يعمل حتى ساعة متأخرة كل مساء حتى أننى لا أستطيع أن أظن أن هناك حياة عشق وغرام خاصة بها كفيلة وتستحق أن تخلق بشأنها

التأمات .

قالت جانيت :

ـ يا له من حديث مضيع للوقت ، وكلام فارغ للصحف .

ـ هذا حقيقى . ربما تحسنت حالته العصبية إذا كانت له عشيقة أو خليلة . لقد اعتاد على أن يكون ذلك الرجل الساحر ، ولكن بالنسبة إلى العام الماضى ، أو مايقارب ذلك ، كانت لديه نزعة فى القاء الأوراق التى أعمل فيها خطأ مطوحاً بها فى الهواء .

أكرهت لوسى نفسها على التباطؤ عدة دقائق إضافية ، حتى انصرفت الفتيات ، يتناقشن مع الرجال الآخرين فى المكتب . ثم أخذت حقيبة اليد الخاصة بها وفتحت المرآة والتقطت « الروج » أحمر الشفاه ، ثم انصرفت فى سكينة وصمت وهدوء . قالت فى نفسها لا تفكرى فيه ، بينما وصلت إلى المكتب المجاور لمكتب أرنو . تفكرى فى الصحفى فى جريدة الـ « بارى مانش » ماذا كان اسمه ؟ جين ، أليس كذلك ؟ من الأفضل أن تتصلى به هاتفياً يا لوسى ، وتخبريه بأنه لو كان عرضه لا يزال سارياً ومفتوحاً ، فإنك ترحبين فى الذهاب معه إلى الكونشيرتو يوم الجمعة ، على الرغم من كل شىء .

كان ذلك اليوم طويلاً لا نهاية له . وكانت لوسى يريحها أن تعود أدراجها أخيراً إلى شقتها الصغيرة فى أحد الشوارع المنزوية فى المنطقة الواقعة خلف « غارى مونتبارناس » . توجهت مباشرة نحو المطبخ الصغير ، وصنعت لنفسها فنجاناً كبيراً من القهوة السوداء . ثم جلست على المتكأ ، وأخذت تحتسى القهوة ببطء .

نظرت فيما حولها . لقد كانت الشقة ضيقة ، وكان معظم الفراش والأثاث قديماً وبالياً ، إلا أنها بذلت قصارى جهدها حتى جعلت منه فراشاً مريحاً وثيراً . وكانت الرسوم التى ترمز إلى الحركة الانطباعية فى فن التصوير تضيىء وتزين الحوائط . وكانت ثمة نباتات ظل على عتبة النافذة ، وكانت قد قامت بتكسية فراش اشترته حديثاً على أحد الأرائك

Scanné avec CamScanner

فزانتها بألوان زاهية.

فاذا كان عليه منزل لوران فى باريس؟ راحت تتساءل وتعجب. ليس مثل هذا فى شىء، وكانت مستعدة على الرهان على ذلك. إذ كان لا يزال هناك بون شاسع يفصل بين حياتها وبين حياته.

إلا أنها لم تأت إلى باريس لمقابلة لوران باكلى مرة ثانية، أو قد فعلت؟ إن العلاقة به قد انتهت، تماماً، ولم يكن سوى عنادها الغبى وحده الذى جعلها متشبثة بعدم نسيانه. لقد أتت إلى باريس لكى تباشر مهنتها العملية الخاصة بها، وأن تمضى وقتاً طيباً. ولقد كانت قد استمتعت بقضاء الوقت الطيب. أليس كذلك؟

بطبيعة الحال، استمتعت بوقت سعيد. يا للسماء، لقد أصبحت الساعة الآن السادسة، إنه وقد أخذ الحمام وتغيير الملابس قبل أن تقابل صديقاتها عند النادى الليلى الصغير فى أحد الأركان.

فى شهر أكتوبر، حينما كانت قد أمضت ثلاثة أشهر فى «براون آند ليفبفر»، تلقت لوسى دعوة للشراب فى حفل نظمه رئيس القسم الذى كانت تتلقى فيه تدريباتها، بالبنك.

كان النادى الذى لم تطنه قدم لوسى من قبل مشاغراً وحافلاً بالناس وكان نصفهم من بين الوجوه التى تآلفت عليها فى العمل، وكان الشركاء، فى أغلبيتهم ممن لم تشرف بمقابلتهم قبلاً، نظرت فيما حولها ووقع ناظريها على «هرشليمان»، رئيسها، واقفاً تلو إحدى النساء النحيفات التى ترتدى فستاناً من التركواز. فأومات برأسها عبر الغرفة لها.

تسامر شليمان بأدب مدة خمس دقائق، ثم بدأ يشيح بوجه هو ومن معه ناحية لوسى لكى يتابعوا تقدم شخصية وصلت تواً. بادرها هر شليمان قائلاً:

ــ هل رحبتى بمدام باسكييه، وقلتى لها «مرحباً» أم لا؟

قالت لوسى فى نفسها، وورد على خاطرها أن تلك السيدة لابد وأن تكون زوجة رئيس القسم. قالت:

ــ لست متأكدة.. أنا لا أعرفها.

ــ إنها هناك، ترتدى الفستان الأحمر.

وطأطأ رأسه بإيماءة تشير إلى الاتجاه الذى كانت تتواجد فيه. توجهت لوسى إليها مبتسمة وقالت مرحبة فى تودد:

ــ لكم أسعدنى أن أقابلك يا مدام شليمان.

كانت مدام باسكييه جذابة وساحرة وفاتنة. ولكنها هى وزوجها كانا مشغولين فى الترحيب بجميع الضيوف، وخففت لوسى بسرعة من أنها لن تحظى بسوى خمس دقائق من وقتها. وكانت توشك على التحديق مرة ثانية فيما حولها، متعشمة، ويحدوها الأمل فى أن. ترى صديقاً، تستطيع الإنضمام إليه والتحدث معه، حينما قالت مدام باسكييه:

ــ آه لوران. دعنى أقدمك إلى الآنسة....

قالت لوسى تلقائياً، قبل أن يسجل عقلها حقيقة أنها فعلاً مع لوران:

ــ لوسى ساندرسون.

ثم التفت عيناها بعينيه. وكان النظر فيها مثيراً للقلق حتى أنها سرعان ما خفضت رأسها وغضت من بصرها.

قال لوران فى صوت غريب مثير للعجب:

ــ لوسى.

تنفست لوسى الصعداء، وقالت:

ــ كم يروقنى أن أراك.

قالت ذلك بابتهاج، بدون أن تنظر إلى لوران تماماً وصاحت:

ــ إننا معارف قديمة، يا مدام باسكييه، ولكن مضى وقت طويل منذ أن تقابلنا.

كرر لوران قوله:

لوسى.

قالت مدام باسكييه، تستأذنها فى الإختفاء حتى تحادث شخصاً آخر:

Scanné avec CamScanner

ـ استأذنكما فى الإنصراف.

بدا القوم الذين كانوا بالغرفة يتلاشون واحداً تلو الآخر، حتى صار هناك لوسى ولوران فحسب، معاً.

لقد كان لوران ابن باريس، بطبيعة الحال، يرتدى بذلة داكنة جداً، وقميصاً أبيض ورابطة عنق خاصة بالبنك، أما شعره فقد كان غير متغضن، وكانت هى لوسى التى عرفت باريس وهى تواجهه، وذكرت نفسها بذلك. ولم تعد الفتاة التى ترتدى القميص الدنى ـ شيرت التى كان هو قد غطس ليخرجها من مياه ميناء ماهون لإنقاذها. والآن أصبحت محاسبة صغيرة فى بداية حياتها. لقد كانت جزيرة مينوركا تمثل ذكريات الماضى البعيد بالنسبة لها وكذلك بالنسبة له.

ولذلك لماذا كان ينظر إليها بمثل هذه الطريقة، بدهشة وتعجب فى وجهه، لماذا كانت اللمسة الخفيفة من يده على يدها تجعل من ركبتيها رعشة، وأحشاءها هلاماً؟ لماذا شعرت كما لو كانت الشهور الطويلة الخالية منذ أن رأته آخر مرة، تنمحى، ولم تمضى سوى لحظات قلائل فقط وأصبحت أخيراً بين ذراعيه؟

لم يسبق لها أن شعرت أبداً من قبل بأنها أنثى بذلك القدر من الكثافة، تشعر بتلك الحدة بتأوهات جسدها المتخفية تحت ثوبها الأزرق المتحفظ. قال لوران:

ـ هيا فلنخرج من هنا.

وأحكمت يده قبضتها على يدها، وسحبها تقريباً نحو الباب. وكان الضيوف لا يزالون يصلون إلى الحفل.. أرشدها لوران عبرهم، فى أدب وتصميم، يوماً برأسه لهذا، ويتمتم بالكلام لذاك من معارفه كما لو كان يؤكد لهم أنه سوف يعود أدراجه إليهم فيما بعد.

انتظر هينهة، حتى استردت معطفها، ثم سرعان ما خرجا إلى الشارع. وأتيا إلى موقف خالى على الرصيف.

نظر لوران فيما حوله، وقال:

Scanné avec CamScanner

ـ إن هناك أحد البارات فى الركن الكائن بهذا الشارع، فلنذهب إلى هناك.

وذهبا إلى البار، واشتر لها كأسين من البراندى. وجلسا بجوار بعضهما البعض على المقاعد المعدنية.

قال لوران فى بطء.

ـ إنها أنت إذن فى حقيقة الواقع.

ـ أجل.

ـ لم يكن لدى فكرة فى أنك كنت فى باريس.

ترددت لوسى. ولم تكن تعرف ما الذى تقوله. لقد كان هو لوران بعينه، إنه يبدو ويحس وتسمع أنه هو لوران. إن مجرد النظرة منه كفيلة بأن تقلب عالمها رأساً على عقب، ولكن فى نفس الوقت، كان غريباً عنها، وكانت هى غريبة عنه. ولم تعلم شيئاً عن حياته فى باريس، ولم يعرف هو حتى أنها كانت تقيم وتعيش فى نفس المدينة.

ـ لقد وصلت إلى هنا منذ شهر بوليه. وتخرجت هذا الصيف، ثم بدأت العمل ههنا.

ـ لقد قلت بأن هذا هو ما أردت أن تفعليه، العمل فى باريس.

إذن إنه يذكر ذلك، قالت لوسى فى يأس:

ـ أو قد فعلت.

ـ أنت تنزلين ههنا بمفردك؟

ـ أجل. وكيف حالك أنت؟

قال لوران:

ـ أوه، لا زلت أعيش وحيداً.

ثم صمت لحظة، واضعاً البراندى بين يديه، ثم قال مقاطعاً.

هل تريدين أن تحاولى مرة ثانية؟

هل كانت تريد؟ بدت لوسى برهة وهى تبدو كما لو كانت غير موقفة، على نحو لا يصدق، من اجابتها. إن ذاكرة فصل الصيف فى

Scanné avec CamScanner

مينوركا كانت مكتفة حتى أنها كانت تحس بأنها تستطيع شم رائحة الماء المالح فى الميناء، وأن تتشعر بالسمك على جسدها، والريح الغادمة التى تهب على زورق صان فيليب وتداعب شعرها. غير أن هذه لم تكن مينوركا، ولم تعد كذلك. وكان هناك عام من العمل الشاق، والوحدة و التى يفصل بين لوسى القديمة ولوسى الجديدة.

نظرت إليه من جوانبه، نظرات تكاد تكون مكتومة سرية. ولم يكن ينظر إليها. لقد كان عصبياً، وعلمت ذلك على حين فجأة، وهى بعد يساورها شىء من الخوف من تأثير الإجابة التى سوف ترد بها عليه. وكان هيـوراً أن ترى الخطوط قد حفرت آثارها على أعمق نحو على عينيه وفمه. وكانت ثمة خصلات قليلة من الشعر الأبيض وسط الشعر البنى عند وجنتيه لقد قال «أوه. أننى لازلت وحيداً». وتذكرت تعليقات زميلاته فى العمل عنه، وعن الرئيس الطلق فى معاملاته الذى أصبح عصبياً يطيح بالأوراق لأى سبب بسيط.

وشعرت فجأة بأنها واثقة ثقة مطلقة فى أنه يحتاج إليها، حتى بأكثر مما تريده هى. قالت: فى صوت هادىء مضطرد:

ــ أظن ذلك.

التفت عنه ذاك، ولاقت عيناه عينيها.

قال لوران:

ــ أعلم أن سيكون ثمة مشكلات. إذ دائماً هناك المشكلات، التى تصاحب أية علاقة. ولكن معاً، أعتقد أننا سيكون بمقدورنا أن نعالجها.

أعتقد فى أننا سنكون كذلك.

فلتتصرفى بهدوء، أخذت لوسى تقول ذلك فى نفسها. فلتتصرفى بهدوء فى هذه المرة. إذ ليس هناك موعد لاينبغى تجاوزه، وليس ثمة سلكاً قصيراً قد أضاء وأشعل وأضرم النار فى نفسها وفى لوران. إن كليهما لايستطيعان احتمال الانتظار إلى أى لحظة أخرى، ولم يمض وقت طويل قبل أن وجدا أنفسهما يشاوران للتاكسى ويتوجهان إلى منزله.

Scanné avec CamScanner

أنزلها التاكسى فى أحد الشوارع الهادئة فى جزء من المدينة، التى كانت برمتها غير مألوفة لدى لوسى. لقد كان الشارع من نوع الشوارع التى توقعت منه أن يعيش فيها، ولا يزال لا يجعل أية تشابه مع أى مكان من التى وردت بمخيلتها عن حياته فى باريس. لقد كانت تتصورة يعيش فى إحدى الشقق فى عمارة حديثة، من نوع المدن والمبانى المناظر والشبيه بالڤيلا الخاصة فى مينوركا، ولكن بدلاً من ذلك، كان هذا البيت بيناً عتيقاً، طويلاً وضيقاً، به خطوات ودرج يؤدى إلى أعلاه نحو الباب.

عبث لوران يبحث عن المفتاح، وفى لحظة كانا فى ردهة الصالة، التى كانت كذلك ضيقة، وألقيت نفسها بين ذراعيه للمرة الثانية.

وأمضيا ساعات وساعات يتذاكران الأيام الحلوة فى مينوركا ويستوجبان ضحكها ولهوها حتى عادت أحاسيسها كأنها يعيشان فى تلك الأيام.. أحاسيس قوية ملتهبة.

* * *

تساءل لوران:

ـ فى «براون آند ليڤيڤر» أنت تعملين فى «براون آند ليڤيڤر»:

احمر وجه لوسى وتوردت، أكدت له قولها:

ـ لم أكن أطاردك. بكل أمانة. لقد كانت هذه هى أفضل عرض لوظيفة أحصل عليه. وأظن أننى ليس بمقدورى أن أرفضه أو أزهد فيه ببساطة.

لم يستمع لوران لها، وقال:

ـ ولكن كم أمضيت ههنا من الوقت؟

ـ ثلاثة أشهر.

ـ ولم أرك؟ ولم تلتقطى سماعة التليفون وتتصلى بى؟ ولم تخبرينى حتى بأنك فى باريس!

بدا لوران ميالاً للشك، حتى أن لوسى اعتقدت أن ما فعلته كان هو

Scanné avec CamScanner

الشيء الصائب. وذكرت نفسها بذلك. وكانت تتفكر وتتدبر ذلك لساعات، وأقنعت نفسها بأنها لم يكن لها أن تفعل العكس.

— أنا.. أوه، يا لوران، لقد كان الأمر يعني كثيراً!

صاح:

— بالطبع كان يعني لك الكثير.

وقفز فجأة وأضاف:

— يا للسماء، أيتها الفتاة. هل علمت كم أنفقت من الوقت بحثاً عنك، بعدما تركت جزيرة مينوركا؟ ولا أستطيع تخيل مقدار غبائي حينما لم أسألك عن عنوانك أو رقم تليفونك. وكنت مقتنعاً بأنك لن تكوني في باريس، ولكن على أية حال، لقد اعتدت على تخيلي بأنني أراك. في الميترو، وفي الحانات، وفي الشوارع؛ وفي كل مكان وفي كل مرة ألمح فيها فتاة ذات شعر طويل أشقر، وكنت أقاوم الاغراء في أن أطاردها وأتعقبها.

ضحكت لوسي وقالت:

— لم أرسل شعري مطلقاً متحرراً منذ أتيت إلى باريس.

— كان يجب عليك أن تفعلي. ليس في البنك. ولكن خارجه، من أجلي فحسب.

مد يده نحو شعرها وهو يتكلم. لقد كان لا يزال مشبثاً بالدبابيس، تقريباً، في طياته البديعة المنشقة. استل دبوساً ثم دبوساً آخر.

اعترضت لوسي، وهي نصف ضحكى، وتحاول أن تدفع يده بعيداً في رفق ولكنه أرسل يديه.

وأرسل يديه عبر شعرها بينما كان يسترسل ويتدفق متهدلاً كيفما اتفق على كتفيه هو، ثم اجتذبها إليه في شبق ونهم ليطبع على شفتيها قبلة أخرى.

أيقظ لوسي جرس المنبه. وكان جرساً غير مألوف، وكان أزيزه الكهربائي متناغماً ومنسجماً على نحو غير متآلف. تقلبت وهي نعسى، إشرأبت لكي تنظر

Scanné avec CamScanner

عبر الغرفة إلى الساعة الحائطية الرقية المضيئة. كانت تشير إلى السادسة.

لقد كانت فى إحدى غرف منزل لوران حيث قضت ليلتها. وعندئذ فتح الباب برفق وأكل بوجه باسم وتمتم قائلاً:

ــ الساعة لا تزال السادسة إنه ليس موعد الاستيقاظ بعد حفل ساهر.

قال لوران مازحاً، وقد أصبح الآن يقظان وواعياً:

ــ بصرف النظر عن ذكر ليلة مثل الليلة الماضية. أوه. أجل، أستطيع أنا. وكذلك أنت. مالم تكونى تفكرين فى الذهاب إلى العمل وأنت ترتدين فستان الحفل.

جلست لوسى وقالت:

ــ أعتقد أنك على صواب.

وبمرور الوقت كانت قد أخذت حماماً وارتدت ملابسها مؤقتاً ــ الملابس التى كانت ترتديها فى الليلة الماضية، وكان لوران قد سبقها إلى المطبخ، وكانت المنضدة قد أعدت بالإفطار، وكانت الرائحة اللذيذة للقهوة الطازجة تعبق بأرجاء المنزل.

أخذ لوران يشرح ويقول:

ــ إننى أستأجر مديرة للمنزل، غير أنها لا تأتى إلى هنا قبل الساعة الثامنة. هل تريدننى أن أحضر لك الكرواسان؟

ــ من فضلك. واحدة كرواسان.

ــ ها هى ذى. وكيف تحبين القهوة، بدون سكر، أعرف، لقد تذكرت؟ كشر لوران عن ابتسامة ودفع بفنجان واسع مليىء بالقهوة إليها.

ــ أنت تتذكر كل شىء.

تمتمت بتلك الكلمات بينما كانت تنثر طبقة كثيفة من مربى المشمش عبر الكرواسان.

ــ كل شىء وآخر شىء. على الرغم من أننى لدى المزيد مما أعرفه عنك الآن.

ــ وأنا أعرف القليل.

Scanné avec CamScanner

راحت تراقبه حينما جلس وبدأ يمزق ويقطع قطعة الكرواسان الخاصة به. لقد كان حقاً، أنه يتعين عليها أن يقطعا شوطاً طويلاً. وهى لم تره فى صبيحة الأيام الماضية. لقد كان جديداً عليها فى كل شىء، هذا الخليط من التأهب المفاجىء المتحد والمركب بالحساسية المفرطة.

لقد كان منزله غريباً عليها، أما أصدقاؤه فهم غرباء، وابنه جيل كذلك ــ إنها حتى لم تعرف ماهو طراز السيارة التى يقودها فى باريس. وجه إليها سؤالاً مفاجئاً.

ــ ما الذى تتفكرين فيه.

كشرت لوسى عن ابتسامة، وقالت:

ــ كم أن الأمر غريب، إذ أننى أعرفك عنك أقل القليل، ومع ذلك أحبك بهذا القدر من الحب.

مزح لوران قائلاً، وهو يرفع فنجان قهوته إلى فنجانها:

ــ إنها الكيمياء. وهذا يصدق على أنه أيضاً. إذ لم يستوقفنى أبداً على الجزيرة تخيل ماستكون عليه حياتك الحقيقية فى لندن عندما تعودين أدراجك إلى هناك. وماهى نوعية الأشياء التى سوف تفعلينها، وماهى نوعية الملابس التى سوف ترتدينها، وكيف تسرحين شعرك. وقلت لنفسى من فورها وابتدرتها منذ البداية، أنك أنت وأنا فردان جاءا من عالمين مختلفين، وأن أية علاقة سليمة قويمة بيننا لايمكن تخيلها. غير أننى فى كل مرة أراك فيها أجدنى أحتاج إليك وأريدك أكثر فأكثر. فى البداية علمت واعتقدت أننى ليس يعوزنى أية صداقة أو زواج، ثم بعد ذلك اعتقدت بنفس المقدار، أننى تعوزنى رؤيتها أى زوجين مرة ثانية، غير أننى لن أدع الأمور تتفاقم وتتحول إلى أمر شائك حاد. وعند ذاك علمت أننى من الصعب أن أفارقك، ولكن ذلك لن يكون أكثر من علاقة غرامية عابرة وجيزة فى أحد الأجازات فى نهايات الأسبوع.

ــ ثم بعد مضيت وشعرت فى....

ــ ثم بعد ذلك، علمت، بأننى لاأطيق افتقادى لها، وحتى عندما

Scanné avec CamScanner

كنا معاً لم أخبرها حتى أبداً كم أننى أحببتها!

قالت لوسى وقد زايلتها مسحة من الحزن والكمد:

ـ أنت لم تخبر أحداً قط بذلك.

ـ بالى من أحمق أعمى! لقد كنت غارقاً فى بؤس ملاقى حتى أننى لم أعلم حتى بأننى سوف أتغلب على المحنة. وحتى بعد ذلك، ربما لم أكن مستعداً للإنخراط والتورط فى علاقة وارتباط عاطفى جديد. إلا أننى جاهز الآن، وأعدك بذلك.

همست لوسى قائلة: وهكذا أنا أيضاً.

ـ لا يمكننا إتمام ذلك فى عشية وضحاها. إذ لا زلنا بحاجة إلى معرفة المزيد عن بعضنا البعض، وهناك «جيل» إنى وينبغى التفكير فيه، أيضاً. إذ سيقتضى وقتاً أن يتعرف عليك، وأن يعتاد على فكرة وجود زوجة أب. غير أننى واثق الآن، كما أثق فى أنك توقنين أيضاً بذلك، فى أننا سوف نصبح قادرين على حل جميع المشكلات التى تعترض حياتنا، وأننا سنكون معاً للأبد أخيراً.

ثم ابتسم ابتسامة هادئة وهو يردف:

ـ ربما استطعنا أن نحول أجازاتنا فى جزيرة مينوركا فى الصيف القادم إلى شهر العسل.

قالت لوسى:

ـ حبيبى، هناك ثمة مكان آخر فى العالم أفضل الذهاب إليه.

ـ نظر لوران إلى ساعته، وصرح:

ـ وكذلك أنا لا أفضل قضاء شهر العسل فى مينوركا، ولكن الآن فحسب، ينبغى الشروع فى العمل!

وانتصب واقفاً، وأخذ الجاكيت من على ظهر كرسيه، وهو يقول:

ـ هل أنت جاهزة للإنصراف؟

قالت لوسى:

ـ أجل، أنا جاهزة.

Scanné avec CamScanner

الفصـــل الحـادى عشـر

كان يوماً حاراً من أيام شهر أغسطس حينما هبط كل من لوران ولوسى اكلى وجيل فى مطار ماهون. وكان ألونزو ينتظر وصولهم كى يؤدى لهم التحية والترحيب. ابتسم ابتسامة عريضة حتى أن لوسى قررت من قررها أن تنسى الماضى، وأن تبدأ فى عدم كراهيته. كومت هى ولوران حقائبها فى السيارة، وتركا جيل يجلس فى المقعد الأمامى عندما كان ألونزو يقودها موصلاً إياهم على طوال الطرق المألوفة من المطار، عبر مدينة ماهون، وعبر طوال الطريق المؤدى إلى جانب ميناء ماهون، مارين بمزرعة «غولدين فارم فيلسون»، متوجهين إلى الفيلا الخاصة بهم.

وبمجرد أن تم تفريغ الحقائب فى الصالة، وأدت خوانا لها التحية، سرعان ما اختفى ألونزو مدة لحظة واحدة فقط قبل أن ينطلق مندفعاً أسفل الدرج إلى المرفأ، وتلاحقه اغاذير كالصدى تقول له كن واعياً يقظاً. هرع لوران إلى الهاتف ليؤدى مكالمة عاجلة للبنك. أما لوسى فقد نظرت نظرة سريعة إلى كومة الحقائب التى تحتاج إلى فكها، ثم راحت تتجول بدلاً من أن تفعل ذلك فى ساحة الفناء.

Scanné avec CamScanner

وكانت الشمس الصفراء ترسل بلهيبها عبر السماء الخالية من السحب، وتنصب مباشرة فى المياه الباردة المتواجدة فى حوض السباحة. وكانت المياه تبدو للرائى زرقاء على غير حقيقتها.

خلعت لوسى الصندال الخاص بها، وغطست فى الماء على أطراف أصابع قدميها. لقد كانت المياه باردة تماماً كما توقعت، وكما كانت تتذكرها فى الماضى.

لقد مضى عامان منذ أن كانت فى الفيلا، غير أنها كانت تماماً كما تتذكرها. لقد أعاد ألونزو طلاء الحوائط بنفس الطلاء الأبيض. وهى بمقدورها أن ترى عبر الأبواب المفتوحة على غرفة الجلوس، حيث يجلس تورانس مغطياً ظهره ناحية الشمس، فقد كان يؤمىء أثناء كلامه فى الهاتف. وكانت هناك الأبواب المؤدية إلى غرفة نومه — وهى الآن غرفة نومهما معاً —

كانت هناك المنضدة والكراسى حيث كان يجلس كلاهما فى ذلك اليوم الأول وتناولا معاً طعام العشاء، لما كانت لوسى ترتدى المايو البكينى المبتل. وتعقبت حتى المسار المؤدى إلى ساحة خوانا، حيث تنمو الأعشاب فى مزارعها، وبدت نامية أكثر ارتفاعاً وأكثر كثافة كالشجيرات.

لقد كانت الفيلا تخزن لها ذلك الكم من الذكريات العزيزة عليها. إذ أنه ليس كلهم كانوا سعداء، فبعض الذكريات كانت سعيدة، والأخرى حزينة تعسة، أما التعسة الحزينة فقد طواها النسيان والزمن، وأما السعيدة فقد تنامت وأصبحت أكثر أشواقاً وبهجة، والآن علمت لوسى كم وكيف انتهت قصة حياتها نهاية سعيدة.

مشت إلى مقدمة درج الميناء، ونظرت لأسفل على الدرابزون الخشبى. لقد كان جبل يجرى ويذرع الرصيف صعوداً وهبوطاً. ولقد توقف عند الدرج فى المنتصف، ومد جسده بطوله كله على خشب الرصيف الذى دفئته حرارة الشمس، وغطس يده فى المياه الخضراء. ثم بعدها قفز ناطحاً، وهو يحفها - وشرع يجرى ناحية مكمن الزورق.

Scanné avec CamScanner

خلت لوسى بينه وبين ما أحب. إن ذلك استكشافاته، ولابد من أخذ يستغرق وقته فى التذكر، لقد مكث فى الفيلا من قبل، مع أمه. ولقد أعادت تعقب واقتفاء أثر خطواتها مرة ثانية ودخلت إلى الدار.

وكانت ثمة باقة عظيمة من الورود والزهور، الحمراء القرنفلية، والبيضاء، والحمراء الفاتحة، متروكة لدى وفوق منضدة المطبخ فى زهرية صفراء وزرقاء جميلة، لم تنتبه إليها فى البداية. وكانت مذكرة صغيرة موضوعة فى أحد جوانب الباقة، تقول كلماتها:

ـ مرحباً فى بيتكم.

وكانت مكتوبة بخط يد صوفى المندبر اغنريش. وكانت لوسى لاتزال تنظر فيه حينما دخل لوران فى الغرفة. واقترب من جانبها، مزلقاً ذراعه حول خصرها، ومال ليقرأ الكلام المكتوب. قال:

ـ عظيم، وممتع، إن هذا بالضبط هو ما كنت بصدد أن أقوله بنفسى ولنفسى.

Scanné avec CamScanner

حب من أول نظرة

سالى وينت ورث

ثار كاريج غاضبا «إذن، أخبرينى».

أجابت شارلوت «حسنا، إنها فبرتى، أنت وهى».

تراجع كاريج للخلف قليلا «آه، بدأت أفهم» ونظرت إليه متفحصة تبحث عن تأثير إعترافها عليه؛ بينما لم ينبىء وجهه بأى أثر. «هكذا، ماذا بخصوصى أنا وفبرتى؟»

إحتد صوته ثانية، بينما هى ترتعد؛ لكن فات أوان التراجع. فقالت «ظللت أفكر فى هذا الأمر - فيكما أنتما الإثنين» ظل هو صامتا، منتظرا إكمالها الحديث، لكنها إبتعدت وهى تقول «لا أستطيع فهم خبقة مشاعرك تجاهها».

«أفهم. ترهقين عقلك بشىء حدث منذ ستة أعوام مضت».

التفتت إليه «هل حدث شىء؟».